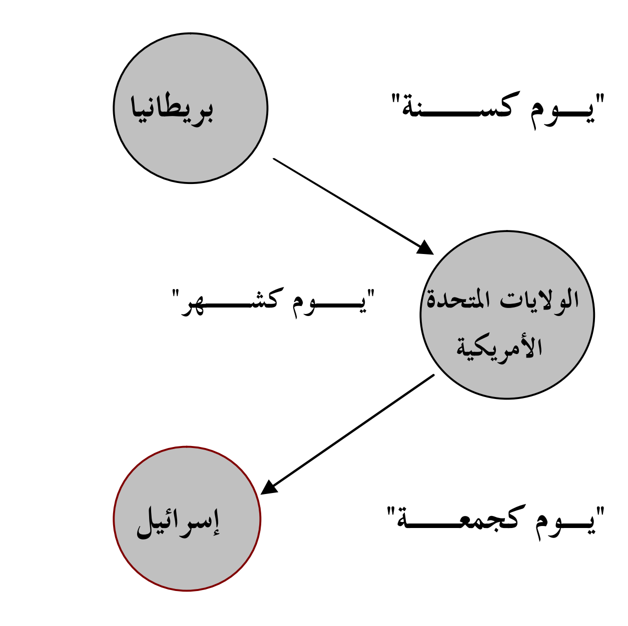
سلسلة الأنصاري التذكارية

عمـــــــــران ن. حســــــــين

الـــقـــــــــــــــــــــــــدس
فـــــي الـــقـــــــــــــــــــــرآن

نـظـــرة إســـــلامـيـة فــي مســــــتـقـبـل الـقــــــدس

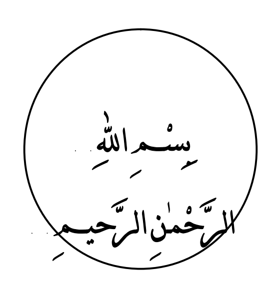
بما في ذلك: رد إسلامي على هجوم 11 أيلول/سبتمبر الذي وقع على أمريكا



تـــــرجمـــــة: محمــــــود الســــــــــوقــــي

إن مصير القدس يعطي المسلمين أكبر ثقةٍ وأملٍ في أن ينتصر الحق على الباطل والطغيان.

لقد كُتِبَ هذا الكتاب لهذا الغرض بالـــذات — أن يفـــسِّرَ للمسلمين هذا العالَمَ الغريب الذي نعيش فيه اليـــوم. إنـــه عـــالم 'يـبـدو' فيه أن قضية الإسلام قضية خاسرة. لكن القارئ، بعد أن يقرأ هذا الكتاب، سيعرف، إن لم يكن يعرف من قبل، أن **الحقيقة** غير ذلك تماماً. وعندما يستيقن المسلمون من أن مـــصير القـــدس يُثبت بما لا يقبل الشك صحة ادِّعاء الإسلام بأنه **الحق**، يستجمعون القوى لمقاومة الحرب التي تُشَنُّ الآن على الإسلام، والتي يبذل فيها العالم الملحد كل جهدٍ ممكنٍ للقضاء على إيمانهم بالإسلام.



القدس في القرآن

عناوين أخرى في هذه السلسلة

OTHER TITLES IN THE SERIES

1. THE IMPORTANCE OF THE PROHIBITION OF *RIBA*
(أهمية تحريم الـــرِّبـــــا)

2. THE PROHIBITION OF *RIBA* IN THE QUR'AN AND SUNNAH
(تحريم الـــرِّبـــــا في القرآن والسنة)

3. THE STRATEGIC SIGNIFICANCE OF THE FAST OF *RAMADAN* & *ISRA'* AND *MIRAJ* (الأهمية الاستراتيجية لصوم رمضان والإسراء والمعراج)

4. THE RELIGION OF ABRAHAM & THE STATE OF ISRAEL – A VIEW FROM THE QUR'AN (دين إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن)

5. ONE JAMA'AT ONE AMEER – THE ORGANIZATION OF A MUSLIM COMMUNITY IN THE AGE OF FITAN
(جماعة واحدة – أمير واحد: تنظيم المجتمع الإسلامي في عصر الفتن)

6. THE CALIPHATE – THE HEJAZ AND THE SAUDI-WAHHABI NATION-STATE (الخلافة والحجاز والدولة–الأمة السعودية–الوهابية)

7. DREAMS IN ISLAM – A WINDOW TO TRUTH AND THE HEART
(الأحلام في الإسلام – نافذة على الحق والقلب)

سلسلة الأنصاري التذكارية

القدس في القرآن

نظرة إسلامية في مصير القدس

بما في ذلك: رد إسلامي على الهجوم على أمريكا

عمران ن. حسين

مسجد دار القرآن

جزيرة لونغ آيلاند، نيويورك

2002

الطبعة الأولى 2002
أعيد الطبع في 2002

نشر
مسجد دار القرآن
1514 East Third Avenue, Bayshore
New York 11706, USA

تصميم الغلاف
Bounce Graphics
bounce@*tm.net.my*

يستند تصميم الغلاف إلى الحديث الشريف الذي أُثِرَ عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ومفاده أنه "عندما يخرج المسيح الدجال (عدو المسيح) سيمكث في الأرض أربعين يوماً – يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وبقية أيامه كأيامكم."

(صحيح مسلم)

طباعة:
Percetakan Zafar Sdn Bhd
Kuala Lumpur

إلى تلميذي التركي العزيز

سعاد ليواند دمرجيل

اعترافاً بمحبته وتفانيه وعطفه واهتمامه
التي عطرت صلته بي.

سلسلة الأنصاري التذكارية

تُنشر سلسلةُ الأنصاري التذكارية تكريماً للعالِمِ الإسلامي الجليل، الفيلسوف والشيخ الصوفي **مولانا** الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري (1914-1974). بدأ نشر السلسلة في عام 1997 إحياءً للذكرى الخامسة والعشرين لوفاته.

كان **مولانا** محمد الأنصاري عالماً إسلامياً ومعلماً ومرشداً روحياً قضى حياته مجاهداً في سبيل قضية الإسلام المقدسة في عالَمٍ أصبح عالماً ملحداً أساساً. وقد أخذته جهوده المبذولة في سبيل هذه القضية المقدسة إلى السفر حول العالم كله عدة مرات في جولات ألقى فيها محاضرات إسلامية في الفترة الممتدة من الخمسينات إلى السبعينات من القرن العشرين.كان يترك بيته الجديد في كراتشي (حيث هاجر من الهند عندما برزت باكستان إلى حيز الوجود في عام 1947) ويسافر غرباً ويعود إلى بيته بعد بضعة أشهر قادماً من الشرق.

كانت رسالته في الحياة واضحة ونبيلة. فقد أدرك أن استعادة الإسلام كدولةٍ، وكنظامٍ اجتماعي-اقتصادي وسياسي غير ممكن إذا لم تسبقه استعادة الإيمان الشخصي لدى الفرد. ومع ذلك، كان الإيمان الشخصي للمؤمن هو ما استهدفه هجومٌ كان أكثر الهجمات التي عرفها التاريخ تعقيداً، وخداعاً، وخطورةً، وتواصلاً بلا هوادة؛ هجومٌ شنه العالم الملحد الحديث بقيادة جزيرة بريطانيا أوّلاً، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وأخيراً دولة إسرائيل. لكنْ في كل الأوقات، كان الفاعلُ المسيطرُ في هذه الدراما هو الأوروبيُّ المتخفي في لباس يهودي.

هذا بالضبط هو الجهاد الذي خاضه **مولانا** طيلة حياته في مختلف أنحاء العالم — جهادٌ لإحياء دين الله، سبحانه وتعالى. وظّف في هذا الجهاد الموارد الهائلة لذكائه الذي لا يُعلى عليه وثقافته الممتازة ليخوض المعركة الفكرية دفاعاً عن الإسلام.

واستخدم الجاذبية والسحر اللذين يأتيان من الروحانية لتأليف قلوب كلّ مَن اتصل بهم أو اتصلوا به. ونتيجةٌ لجهوده المبذولة في سبيل **الحق**، وضعت أعداد كبيرة من المسلمين في الشرق والغرب ثقتها وإيمانها الشخصي في الإسلام وقد استعاد صحته وازداد منعةً. أصبح آلاف الناس تلامذةً وأتباعاً روحانيين له، واعتنق كثيرون غيرُهُم الإسلامَ استجابةً لدعوته.

تخرج مولانا في **جامعة أليغاره الإسلامية** في الهند حيث درس الفلسفة والدين. واستمد فكره الفلسفي والروحاني من العالم الإسلامي الدكتور محمد إقبال. وإقبال هو مؤلف تلك الجوهرة في العلم الإسلامي المسماة: ***"Reconstruction of Religious Thought in Islam"***, (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام) ويشكل الكتاب القيِّم الجامع للفكر الإسلامي الذي ألَّفه مولانا بعنوان: ***"The Qur'anic Foundation and Structure of Muslim Society"*** (الأساس القرآني والهيكل القرآني للمجتمع الإسلامي)، في حد ذاته رداً على دعوة إقبال إلى "**إعادة بناء الفكر الديني**" (***reconstruction of religious thought***).

تلقّى تدريبه الروحاني على يد **مولانا** عبد العليم صدّيقي، وهو عالم إسلامي، وشيخ صوفي، وداعية متجوِّل للإسلام. وأهم ما في الأمر أنه تلقّى علم المعرفة عن إقبال و**مولانا** صدّيقي كليهما وعلَّمه لتلاميذه. يعترف علم المعرفة الصوفي بأنه عندما يعتنق المرء **الحقَّ** (أي يعتنق الإسلام) ويعيش فيه بإخلاص ويكرس نفسه تكريساً كلّياً لله سبحانه وتعالى، يَدخل الإسلامُ في النهاية قلبَهُ (أي ينمو الإسلام فيتحول إلى الإيمان). ورد في الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعال قال: "إن سماواتي وأرضي أصغر من أن تسعاني ولكنْ وسعني قلب عبدي المؤمن." ***[للتحقق]*** هذا الحديث يصف بحيوية آثار دخول **الحق** إلى القلب.

فعندما يدخل **الحقُّ** القلبَ يدخله نورُ الله أيضاً، وهذا النور يمكِّنُ قوى الملاحظة عند المؤمن وفراسته (بصيرته الروحية الفطرية الداخلية) من النفاذ إلى ما وراء المظاهر

'الخارجية' للأشياء فتصل إلى حقيقتها 'الداخلية'. وفي هذه المرحلة – مرحلة نمو **الحق** في القلب – يرى المرء بعينين اثنتين: العين 'الخارجية' والعين 'الداخلية' (المسيح الدجال يرى بعين واحدة فقط – العين 'الخارجية'). والمؤمن الذي يسعى في 'الجهاد في الله' يباركه الله بنمو **الإيمان** إلى مرحلة **الإحسان**. ويُعرف هذا أيضاً باسم **التصوُّف**. بهذا النور الداخلي، الذي يفتح بصيرة قلب للمؤمن الصادق، فقط تُعرَفُ آياتُ الله وتُفهَمُ، وبهذا فقط يمكننا أن نقرا العالَمَ اليوم قراءة صحيحة، ومن ثَمَّ نفهمه. ومَن يدركون حقيقة عالم اليوم يعرفون أننا نعيش في عصر **الفتن**، أي آخر الزمان – العصر الأخير قبل القيامة (نهاية العالم).

كرس مولانا الأنصاري السنين العشر الأخيرة من حياته (1964-1974) لتأسيس **معهد العليمية للدراسات الإسلامية** في كراتشي، حيث جاهد لتدريب جيل جديد من علماء الإسلام – علماء تتوفَّرُ لديهم القدرة الروحانيةُّ والفكريةُّ لاستخدام القرآن والأحاديث أوَّلاً لفهم العصر الحديث، ثم للردِّ رداً مناسباً على تحدِّياته المروِّعة. ومن جهوده هذه ظهر علماء من أمثال الدكتور وَفِيّ محمد، والدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم، وصدّيق أحمد ناصر، وعلى مصطفى، ومحمد علي خان، وبشير أحمد كينو، ورؤوف زمان، ومحمد صفي، وعمران ن. حسين، وكثيرون غيرهم من خرّيجي **معهد العليمية للدراسات الإسلامية**، كراتشي، باكستان. تتألف سلسلة الأنصاري التذكارية من ثمانية كتب، كَتَبَها كلَّها واحدٌ من هؤلاء التلاميذ:

- ***Jerusalem in the Qur'an;*** (القدس في القرآن)
- ***The Religion of Abraham & and the State of Israel – a View from the Qur'an;*** (دين إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن)
- ***The Importance of the Prohibition of Riba in Islam;*** (أهمية تحريم الربا في الإسلام)

الــقــدس في الــقرآن

- ***The Prohibition of Riba in the Qur'an and Sunnah;*** (تحريم الربا في القرآن والسنة)
- ***Dreams in Islam – A Window to Truth and the Heart;*** (الأحلام في الإسلام – نافذة على الحق والقلب)
- ***The Caliphate – the Hejaz and the Saudi-Wahhabi Nation-State;*** (الخلافة والحجاز والدولة-الأمة السعودية-الوهابية)
- ***The Strategic Significance of the Fast of Ramadan & Isra' and Miraj;*** (الأهمية الاستراتيجية لصوم رمضان والإسراء والمعراج)
- ***One Jama'at - One Ameer: The Organization of a Muslim Community in the Age of Fitan.*** (جماعة واحدة – أمير واحد: تنظيم المجتمع الإسلامي في عصر الفتن)

هذه السلسلة، التي تُصَوِّرُ على الأقل بعض 'ثمار الشجرة' التي غرسها مولانا، لجهود فهم 'حقيقة' العالم اليوم، وشرحه بدقة، والردِّ على التحديات غير المتوقعة التي تواجهها رداً مناسباً. ويظل هذا الجهد، طبعاً، خاضعاً للتقويم الناقد والمراجعة الناقدة.

لقد أعطى الله عز وجل المؤمنين واسطة يستطيعون بها تلقّي تأكيد أن الله حباهم فراسة، وهي القدرة على المعرفة الفطرية الداخلية (أي المعرفة التي يراها القلب). تلك الواسطة هي 'الأحلام الصادقة الجيدة، والرؤى' وهي خبرة تشكِّلُ الجزء الأخير من النبوَّة الذي بقي في العالم بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم. ولذلك تتضمن سلسلة الأنصاري التذكارية كتاباً صغيراً رائداً في ذلك الفرع المنسيِّ من فروع المعرفة، و هو "الأحلام في الإسلام".

الفراسة ضرورية أيضاً ولا غنىً عنها للنفاذ إلى مواضيع ذات أهميــة اســتراتيجية معاصرة، مثل "**تحريم الربا في القرآن والسنة**" و "**دين إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن**"، ولذلك لقيت هذه المواضيع اهتماماً في هذه السلسلة. صــحيح أن نقول إن 'الاختبار الحقيقي' لمعرفة الروحانية في آخر الزمان يوجــد في: '1' القــدرة على النفاذ إلى التحدي المروع الذي يشكله الربا في الاقتصاد العلماني الحديث والشرك السياسي للدولة العلمانية الحديثة وفهمهما والرد عليهما رداً مناسباً؛ '2' القدرة على النفاذ إلى داخل ذلك الحدث الغريب المشؤوم في السياسة الدولية المعاصرة، أي عــودة اليهود إلى الأرض المقدسة وإنشاء دولة إسرائيل، وفهم ذلك الحدث والرد عليــه رداً مناسباً. ويجب على علماء الإسلام الذين أنارت الروحانية دربهــم وقلــوبهم في هــذا العصر أن يشنوا جهاداً لا هوادة فيه ضد الرِّبــــا والشِّرك.

أغرب حدث شهده التاريخ الديني للبشرية منذ الأزل – وأكثر الأحداث غموضاً واستعصاءً على التفسير – هو عودة اليهود إلى الأرض المقدسة بعد نحو ألفَي سنة مــن حين أخرجهم الله سبحانه وتعالى منها. كتاب "**القدس في القرآن**" يواصل من حيــث وقف كتاب "**دين إبراهيم ودولة إسرائيل**" في محاولة لاستخدام القرآن لإثبات مصير القدس ومراجعة تاريخ المدينة كما رواه القرآن. وأهم من ذلك أن كتاب "**القدس في القرآن**" يحاول اكتشاف وتوضيح مصير القدس والأرض المقدسة. وما يبرز من هــذه الدراسة هو توضيح قائم على بصيرةٍ لأكثر من قرن من السياسة الدوليــة المعاصــرة والاقتصاد الدولي المعاصر بقدر ما يتعلقان بالدراما التي ما زالت تتكشف جوانبــها في الأرض المقدسة. ونعرف أيضاً أننا الآن نعيش في لحظة من الزمن توشك أن تفقد فيها دولة عظمى، هي الولايات المتحدة الأمريكية، مركزها كـــ '**دولة حاكمة**' في العالم، لتحل محلها في هذا المركز دولة أخرى هي دولة إسرائيل، تماماً كما فقدت هذا المركزَ بريطانيا في الحرب العالمية الأولى وحلت محلها الولاياتُ المتحدة الأمريكية بوصــفها **الدولة الحاكمة** في العالم. تحقق انتقال السلطة آنذاك نتيجة لعمل إرهابي وقع في صيف

عام 1914. وانتقالها الآن يتحقق بطريقة مشابهة. في ذلك الوقت، ألــصق مرتكبــو العمل الإرهابي التهمة بالروس. وهذه المرة، أي في الهجوم الإرهابي، الذي وقع علـــى أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر، يلصقونها بالعرب والمسلمين.

بالفراسة وحدها يمكن للمرء أن يتأكد من أننا نعيش الآن في عصر **الفتن**، وهـــو المرحلة الأخيرة من مسيرة التاريخ. وإن المعرفة التجريبية المنطقية، والفكـــر التجـــريبي المنطقي، ربما يوحيان بالطبيعية الحقيقية للعصر الذي نعيش فيـــه الآن، ولكنـــهما لا يقوَيانِ على فهمه فهماً مباشراً. ومعنى توكيد عصر الفتن أنه يجب الآن إقامة مجتمعات إسلامية حقاً (أي جماعة) بأئمة/أمراء حقيقيين، وإقامتُها الآن أكثر إلحاحاً مما كانـــت عليه في أي وقتٍ مضى، وأنه يجب على المؤمنين الآن أن يتمسكوا بالسمع والطاعـــة، لأن هذا هو ما أمر به النبي، صلى الله عليه وسلم. وأفـــضل طريقـــة لهـــذا التنظـــيم الإسلامي الصغير والأسواق الصغيرة هي أن يهجر المسلمون مدن العالم الملحد ويهربوا إلى الريف الخالي ليقيموا فيه قرىً مسلمة. ويوجِّـــه كتـــاب **"جماعة واحدة – أمير واحد: تنظيم مجتمع إسلامي في عصر الفتن"** الانتباه إلى هذا الموضوع الهام. ويقـــدم كتاب الدكتور الأنـــصاري الرائـــع المعنـــون: **"الأسس والهياكل القرآنية للمجتمع الإسلامي"** – هو أيضاً –إرشاداً قرآنياً هاماً لمن يـــشرعون في بـــذل هـــذا المجهـــود ويحتاجون إلى تعليم بشأن الأسس والهياكل القرآنية للمجتمع الإسلامي (سواءٌ أكـــانَ دولة أو قريةً).

اخترنا التنظيم الإسلامي الصغير القائم على القرى المسلمة وأسواقها الصغيرة لأنه لا يمكن تحقيق التنظيم الإسلامي الكبير (أي دار الإسلام) في عصر ملحـــدٍ أساســـاً، ولكنه قوي جداًّ، يشنُّ حرباً على الإسلام. هذه الحرب نجحت في القضاء على الخلافة الإسلامية، ولذلك لم تبدأ الحرب في 11 أيلول/سبتمبر حين هاجم اليهود وحلفاؤهم أمريكا وألصقوا التهمة بالمسلمين. وما دامت هذه الحرب مستمرة لا يمكن للإســـلام الحقيقي أن يستولي على مقاليد الأمور في الدولة في أي مكان مـــن العـــالم اليـــوم.

والاستثناء الوحيد هو الإقليم الذي وصفه النبي، صلى الله عليه وسلم، **بخراسان** (أفغانستان تقع في قلب خراسان). ولقد آن الأوان لأن يستيقظ المسلمون على هذه الحقيقة المرة وأن يردّوا عليها رداً مناسباً بأن يقوموا بجهادٍ مصمم (بغض النظر عن عدد من سيُقتَلونَ في هذه العملية وعن طول الوقت الذي ستستغرقه) لإعادة إقامة دار الإسلام في ذلك الإقليم والمحافظة عليها. وإن جوهر 'القرية المسلمة' الفعلي يتمثل في قدرتها على إنجاب مسلمين 'يعيشون' لله ومن ثم 'يموتون' لله!

لا يستطيع أحدٌ أن يردَّ رداً مناسباً على أيِّ تحدٍّ ما لم يعرف، أوَّلاً، وحتى يعرف ويفهم طبيعة ذلك التحدي. كتاب "**الخلافة والحجاز والدولة-الأمة السعودية الوهابية**" يخبرنا بحكاية التنظيم الإسلامي الكبير، التي تجيب على الأسئلة التالية:

- مَنْ هو الذي قضى على الخلافة؟
- لماذا قُضِيَ على الخلافة؟
- كيف قُضِيَ على الخلافة؟
- ما الذي حل محل الخلافة؟
- كيف ردَّ العالم الإسلامي على القضاء على الخلافة؟
- ما هو مصير الخلافة؟

تبيَّن من البحث التاريخي الدقيق، باستخدام مصادر ليس فيها مَطْعَنٌ، أن السعوديين–الوهابيين قاموا بخيانة عظمى للإسلام بالقضاء على الخلافة والحيلولة دون استعادتها حتى الآن. ثمة تشابُهٌ أساسي بين دولة إسرائيل العلمانية في الأرض المقدسة ودولة المملكة العربية السعودية العلمانية في شبه جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام. فقد كان لبريطانيا ضلع في إنشاء الدولتين كلتيهما. وكلتاهما بقيتا على قيد الحياة بسبب الحماية التي قدمتها لها جزيرة بريطانيا أوَّلاً، ثم الولايات المتحدة من بعدها.

ودولة إسرائيل الحديثة دجّالة خدعت اليهود، وهي تقودهم الآن إلى الهلاك؛ والمملكة العربية السعودية دجّالة تؤدي نفس الدور في المسلمين. وسيكون لإسرائيل والمملكة العربية السعودية كلتيهما نفس المصير حين يظهر الإمام المهدي وتُستعاد الخلافة الإسلامية، أي أنَّ الدولتين كلتيهما ستُدمَّران وينتهي بهما الأمر إلى 'مزبلة' التاريخ. ويتفق كثير من المسلمين السلفيين في العصر الحديث مع هذا الرأي فيما يتعلق بتاريخ القضاء على الخلافة ودور الخيانة العظمى الذي لعبه السعوديون–الوهّابيون في هذه الكارثة العظيمة.

لقد كرَّم مولانا الأنصاري شيخَه، **مولانا** صدّيقي، بإنشاء **معهد العليمية للدراسات الإسلامية** في باكستان، وبنشر **السلسلة العليمية التذكارية**. وسلسلة **الأنصاري التذكارية** هذه تمثل جهداً متواضعاً للسير على هذه السنة الحسنة.

المحتويات

الباب الأول

المحتويات (تابع)

تصدير

كان دخول أريئيل شارون المفاجئ والمثير إلى الحـــرم الـــشريف، في القـــدس في أيلول/سبتمبر 2000، عملاً استفزازياً أدى إلى فتح فصلٍ جديـــدٍ دامٍ في الطغيـــان الإسرائيلي، ومقاومة إسلامية بطولية جديدة لهذا الطغيان، ولكنه استفزَّني أيـــضا إلى إيقاف عملي في كتابةِ كتابٍ في موضوع 'سورة الكهف والعصر الحديث' لكـــي أكتب بدلاً منه هذا الكتاب وعنوانه '**القدس في القرآن**'.

بعد ذلك بسنة، وقع الهجوم الإرهابي على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر، وأنا ما زلت مقيما في نيويورك (أنا الآن ابحث لنفسي عن بيت جديد) وكنت على وشك أن أنهي كتابة هذا الكتاب. والواقع أن الكتاب أنجز في شهر رمضان المبـــارك في كـــوالا لمبور، بينما كنت أتابعُ بألمٍ لا يوصف الهجوم الأمريكي الإرهابي الجبان، الذي لا ينم عن حياء، على المسلمين الأفغان الذين وقفوا مع الإسلام، وهم أبرياء مـــن الهجـــوم الإرهابي على أمريكا براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

من حسن حظنا أن كتاب '**القدس في القرآن**' يصل الآن إلى أيـــدي القـــرّاء في نفس الوقت الذي يستأثر فيه الموضوع بانتباه البشرية كلها بصورة مسرحية هائلـــة. ويبدو من المستحيل على يهودي أو نصراني أن يستطيع فهـــم موضـــوع '**القدس في القرآن**' أو يتقبله دون أن يردَّ عليه باعتناق دين محمد، صلى الله عليه وسلم، ويؤمن به نبياً حقيقياً من أنبياء إلـــهـــــه إبراهيم، عليه السلام، والإيمان بالقرآن كتاباً سماويـــاً تتزيلاً من العزيز الحكيم. وكذلك يبدو مستحيلاً على الأحمدي (أي من أتباع مـــيرزا غلام احمد) أن يقبل بالحجج الأساسية لهذا الكتاب واستنتاجاته ويظـــل مـــع ذلـــك أحمدياًّ! ويجب أن يكون من الواضح تماماً أن ما قاله ميرزا غلام احمد في هذا الموضوع كذب محض.

نُشِرَ مؤخراً كتاب الشيخ سفر الحوالي: ***"The Day of Wrath – Is the Intifãda of Rajab only the Beginning?"*** (يوم الغضب – هل انتفاضة رجب مجرد بداية؟"، وهو مجلد رفيق لهذا الكتاب. يُحَضُّ القرّاء على مطالعة ذلك الكتاب على شبكة الإنترنت. (http://www.islaam.com/books/intifadha.htm)

ومما يساعد القارئ الكريم كثيراً أن يقرأ الكتاب الآخر المرافق لهذا الكتاب، وهو: ***'The Religion of Abraham and the State of Israel - A View from the Qur'an'*** (دين إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن). ويوجد في ذلك الكتاب إشارات كثيرة إلى آيات من التوراة وكذلك إلى آياتٍ من القرآن الكريم، تلقي ضوءاً مهماًّ على مواضيع كثيرة عالجها الكتاب المذكور.

النصوص العربية لجميع الآيات المقتبسة من القرآن الكريم أُدْرِجَت بنصها الأصلي احتراماً لحقيقة أن القرآن الوحيد الصحيح هو الأصل باللغة العربية.

معظم الأخبار المقتبسة في هذا الكتاب والمتعلقة بإسرائيل اليوم أُخِذَت من صحيفة جروساليم بوست. ونحن نشير في الكتاب إلى مصادر المواد المقتبسة حيثما وردت.

يرد في هذا الكتاب مقتطف من كتاب إسماعيل راجي الفاروقي الهـام: ***'Islam and the Problem of Israel'*** (الإسلام ومشكلة إسرائيل) ، على أمل أن يُـرَدَّ، في جملة أهداف أخرى، إلى ذلك الأستاذ الكبير وكتابهِ الهام ما يستحقانه من الانتباه.

أود أن أشكر أخوَين مسلمَين من ماليزيا، فَضَّلا عدم ذكـر اسميهمـا، مكنـتني مساعدتهما من كتابة هذا الكتاب. وساعدني سليمان دافورد، ومحمد ألامجير، وسابينا وتَنابي، في تصحيح الأخطاء المطبعية وقدموا اقتراحات كثيرة مفيدة. صمَّم الغـلاف حبيبُ الرحمن من شركة باونس غرافيكس في كوالا لمبور. جزاهم الله عني خير الجزاء على مساعدتهم القيِّمَة آمين!

تـصـديـــــر

أدعو الله سبحانه وتعالى , وأساله المغفرة والهداية والحماية والبركة. وأرجو منـــه سبحانه وتعالى أن يقبل هذا الجهد المتواضع في سبيل الحق وأن يحمي هذا الكتاب ممن يشعرون بأنهم مُهدَّدون بما يكشف عنه من خفايا. **آمين!** بارك الله في أستاذي العزيـــز **مولانا** الأنصاري، رضي الله عنه، الذي علَّمني الإسلام، وفي والدَيَّ العزيزين إبـــراهيم وتيمون حسين، اللذين علَّما أولادهما أن يحبوا الإسلام، وفي زوجتي العزيـــزة عائـــشة أنجيلا، التي وقفت بجانبي بقوة وإخلاص وعناية ومحبة في مجهوداتي المتواضعة في ســـبيل الإسلام. **آمين!**

ع ن ح

كوالا لمبور

حزيران/يونية 2002

قول إسماعيل راجي الفاروقي

في دولة إسرائيل

[يرى الدكتور الفاروقي أن إسرائيل تشكل خطراً على المسلمين أكبر بكثير من الخطر الذي شكلته الحروب الصليبية المسيحية-الأوروبية في القرون الوسطى، أو الاستعمار الأوروبي في العصر العلماني الحديث. وهو لذلك يرفض الدعوة إلى قبول إسرائيل كجزءٍ لا يتجزأ من، وعضوٍ في، عالم الأمم الإسلامية في آسيا وإفريقيا'.]

"لا يوجد لمشكلةِ مجابَهَةِ إسرائيلَ للعالم الإسلامي اليوم سابقةٌ ولا مثيلٌ في التاريخ الإسلامي. وقد مال العالم الإسلامي إلى اعتبارها مجرد حالة أخرى من حالات الاستعمار الحديث، أو في أحسن الأحوال، تكراراً للحملات الصليبية.

والفرق ليس فقط أن إسرائيل ليست واحداً من هذين المثالين، ولكنها هي المثالان معاً، وأكثر من ذلك بكثير. ومن سوء الحظ أنه لا توجد كتابات إسلامية في هذا الموضوع.

ولذلك فإن الحاجة إلى تحليل هذه المشكلة لا تقل أهمية عن اللحظة الحالية التي تطلُب من العالم العربي بوجه خاص، والعالم الإسلامي بوجه عام، أن يقبلا إسرائيل كجزء لا يتجزأ من، وعضوٍ في، عالم الأمم الإسلامية في آسيا وإفريقيا."

إسماعيل راجي الفاروقي

(مقتطفات من كتابه: ***'Islam and the Problem of Israel',*** published by

.(Islamic Council of Europe, London, 1980. ISBN 0 907163 02 5

تـــــقـــديم

القدس في القرآن كتاب عظيم سرني وأفرحني من عدة وجــوه. وإني لأستغرب أن يلزم لكتابٍ موثَّقٍ بهذه الدقة أن ينتظر هذه الفترة الطويلة قبل أن يرى النور. لقد مضى حتى الآن أكثر من نصف قرن منذ بدأ الصهاينة ظلمهم الفادح وتطهيرهم العرقي للشعب الفلسطيني الذي لا ذنب له إلا أنه بعيش في بلد يعتبره اليهود الأرض المقدسة الموعودة لهم.

كان الصهاينة باستمرار يشيرون إلى النصوص المشوهة من التوراة وغيرها من مواد **الكتاب** لتبرير سلوكهم الشنيع ولحفز اليهود على إقامة دولة إسرائيل التي تمتد من النيل إلى الفرات وعاصمتها القدس. فقد نُقِلَ, مثلاً، عن دافيد بن غوريون, أول رئيس وزراء لإسرائيل قوله "إن الكتاب المقدس هو سند ملكيتنا لأرض إسرائيل". ومن جهة أخرى، فشل العلماء المسلمون فشلاً ذريعــاً في دحض مزاعم الصهاينة بالاستناد إلى المصادر التاريخية والدينية الثابتة، وفــشلوا أيضاً في الوفاء بمسؤوليتهم الدينية بتوثيق المسألة توثيقاً واضحاً من واقع القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. وما كتب في هذا الموضوع، علــى حــد علمي، كتابة سطحية مصبوغة بلون العاطفة أو مجرد سرد للحقائق ببرود. جزى الله تعالى الأخ عمران حسين على كتابة هذه الوثيقة المتسمة بالعلم، التي ستملأ بلا شك هذا الفراغ الفكري والديني، وتكون بمثابة مرجع أكاديمي للمسلمين في كل أنحاء العالم. وبينما أنا أكتب هذه المقدمة يجري العمل على ترجمــة هــذا الكتاب، الذي نشر هذه السنة فقط، إلى اللغتين العربية والبوسنية. وفي غضون مهلة قصيرة سوف يترجم إلى لغات أوروبية أخرى وإلى جميع اللغات الأخرى في العالم الإسلامي.

غير أنه ينبغي أن يُذكر أن كتابة كتاب عن "الأرض المقدسة في القــرآن الكريم" لم تَفُتِ النظرة الثاقبة لمفكرين مسلمينً يتسمون بالإبداع وبُعد النظر من أمثال الدكتور كليم صدّيقي، رئيس ومؤسس المعهــد الإســلامي للبحــث والتخطيط، والأستاذ الشهيد إسماعيل الفاروقي. ويدهشني النظر الثاقب للأستاذ السابق الذي طلب من عمران حسين أن يكتب هذا الكتاب في موعد مبكــر، يعود إلى عام 1974. وحثه على ذلك بقوله إن القدس مفتاح فهم العمليــة التاريخية للشرق الأوسط والعالم بأسره. لقد أنجز الشيخ عمران هــذه المهمــة بنجاح بعد 27 سنة. وإن كانت تبدو متأخرة، فقد جاءت في حينــها – في الوقت الي صُدِمَ فيه العالم بما وقع في مخيم جنين وما حدث في صبرا وشاتيلا.

لقد وضع إسماعيل الفاروقي هذه المسألة كتابــةً في كتابــه المــسمى "**الإسلام ومشكلة إسرائيل**"، الذي أشار إليه مؤلف هذا الكتاب. وقال بقوةٍ إن إسرائيل تعرِّض المسلمين لخطر أكبر بكثير من الخطر الذي عرضتهم له الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا المسيحية في العصور الوسطى ومن الخطــر الــذي عرَّضهم له الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث. وكتب قــائلاً "إن إسرائيل ليست هذه ولا ذاك ولكنها تشكل الاثنين معاً بل أكثر منهما كثيراً". ولذلك حــث العرب والمسلمين على عدم قبول الدولة اليهودية كجزء لا يتجزأ من أمم العالم في آسيا وإفريقيا. وحث علماء المسلمين على دراسة هذه المسألة دراسة متعمقة. وإني واثق من أنه لو كان هذان العالمان اليوم على قيد الحياة لأعلنــا أن هــذا الكتاب الكلاسيكي هو ما كانا يطمحان إليه.

وأخيراً يدهشني أسلوب عمران في الكتابة. فمع أن القدس في القــرآن أطروحة مكتوبة بدقة تجمع بين الوثائق الدينية والتاريخية والأحداث الــسياسية الحديثة وتفسيرات ثاقبة من القرآن والحديث. فحالما تبدأ قراءته يصعب عليك أن تتوقف. هذه هي صفة القصة بوجهٍ عامٍّ. يقرأها المرء مرة ثم يرمي الكتاب،

لكنها ليست صفة الأطروحة الجادة، التي تستحثُّ الفكر، كالكتاب الذي نشره الأخ الشيخ عمران. إنه مرجع يحتاج المرء إلى الاحتفاظ به وإعادة قراءته كلما كانت المسألة موضع بحث. وأعتقد أن فصاحة الشيخ هذه نابعة من هِبَةٍ طبيعية تفاعلت مع عمله الذي لا يعرف الكلل كواعظ وداعية وبركة إلهية بإخلاصه.

أخيراً, على الرغم من حال المسلمين الذي يبدو أنه يبعث على الأسى بوجه عام، وحال الفلسطينيين بوجه خاص، من المؤكد أن قراءة هذا الكتاب تبعث في النفوس دفء الأمل والتفاؤل بمستقبلنا؛ كالضوء الساطع الذي يلوح في نهاية نفق تاريخنا المظلم الطويل. إننا نعيش في آخر الزمان. هذا هو العصر الذي تتفتح فيه نبوءات القرآن الكريم والحديث الشريف أمام أعيننا لتثبت للبشرية صحة إيماننا.

فقد رأينا بأمِّ أعيننا، تماماً ما قاله لنا النبي، صلى الله عليه وسلم، رعاةَ الغنم والماعز الحفاة الفقراء يتطاولون ببناء ناطحات السحاب. ورأينا المسلمين تتزايد أعدادهم تزايداً هائلاً ولكن شخصياتهم تزداد ضعفاً، أوهنهم حُبُّ هذه الدنيا وخوفُهم من الموت، مما يؤكد صحة الحديث الشريف. وكما قال لنا نبينا بالضبط، ها هم أعداء الإسلام الأقوياء يبتلعون بلداننا، ويتداعون علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها: وكما قال لنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ها هم بنو إسرائيل الذين تبعثروا في مختلف أنحاء العالم في عصر الشتات عادوا إلى الأرض المقدسة. وهاهم, كما جاء في القرآن الكريم، يعيثون فساداً في الأرض ، وقد أعمتهم القوة والغطرسة.

وكما رأينا هذه الأحداث، تماماً كما لو كُنّا نشاهد فيلماً مرعباً، من المؤكد أننا سنرى نهاية وشيكة سعيدة لكل ذلك، كما تنبأ بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. سيستيقظ المسلمون من سباتهم وينال اليهود عقابهم الإلهي الموعود. وستُدَمَّرُ الدولة الصهيونية ويُسَوّى كل ما شادته بالأرض.

يعطينا الكتاب شرحاً جميلاً مفصَّلاً لهذه الأحداث بتفسيرات رائعة مستمدة من القرآن الكريم والسُّنَّة. وقد يختلف معه بعض الناس في تفسيراته لبعض آيات القرآن أو الأحاديث النبوية الشريفة، ولكن لن يتوانى أحد في تقديره لثاقب فكره وعمق روحانيته. ولذلك، أوصي العلماء والعامة من كل قلبي بقراءة هذا الكتاب.

مالك البدري

أستاذ،

المعهد الدولي للفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية

كوالا لمبور

ماليزيا

18 تشرين الثاني/نوفمبر 2002 م؛ 13 رمضان 1423 هـ

مفردات

A

أحاديث: جمع حديث، وهي ما صدر عن الرسول، صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل.

أهل الذمة: الأشخاص غير المسلمين المقيمين في دار الإسلام وتحت حمايتها.

الأرض المقدسة: فلسطين.

الحرم الشريف: الأقاليم أو المواقع التي توجد فيها المساجد أو بيوت الله الثلاثة التي بناها أنبياؤه، وهي: مكة والمدينة والقدس.

الإحسان: الروحانية التي توجِدُ لدى المرء القدرة على أن يرى بالعين الداخلية (البصيرة).

الكفر ملَّةٌ واحدة: حديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، معناه أن العالم الملحد يتجمَّع ويشكل مجتمعاً واحداً.

أمير: حاكم، أحياناً تستخدم الكلمة مرادفةً لعبارة أمير المؤمنين أو الخليفة.

الأمر بالمعروف: حضُّ الناس على العمل الصالح.

عرفات: سهل قريب من مكة يجتمع فيه الحجاج في وقفة عيد الأضحى، فيستمعون إلى الخطبة ويصلّون ويبتهلون إلى الله سبحانه وتعالى.

آيات الله: علاماته.

B

بيت المقدس: القدس

D

دابَّةُ الأرض: لغةً، تعني مخلوقاً أو حيواناً يعيش على الأرض (ربما قصد بـــذلك الأرض المقدسة).

دار الإسلام: الإقليم الذي يكون تحت حكم الإسلام.

ذو القرنين: لغةً، تعني شخصاً له قرنان اثنان، أو عاش في قرنين من الزمن. ورد ذكره في سورة الكهف ووصف بأنه رجل قوي ترتكز قوته على أسس مـــن الإيمـــان. وبنى ردماً يحجز يأجوج ومأجوج عن الوصول إلى بني البشر حتى يـــأتي آخـــر الزمان. وعندئذٍ يهدم الله سبحانه وتعالى الردم ويخرج يـــأجوج ومـــأجوج إلى العالم.

F

فراسة: البصيرة الروحانية الفطرية.

فِسق: الخطيئة الكبيرة.

الفِتَن: جمع فتنة، وهي المحنة أو التجربة.

H

حديث: قول النبي، صلى الله عليه وسلم، أو فعله.

الحديث القدسي: كلام الله المباشر، ليس في القرآن، وإنما رواه النبي صـــلى الله عليـــه وسلم.

حاكمٌ عادلٌ: عندما يعود المسيح إلى الأرض يكون حاكماً (يحكم العالم من القـــدس) ويكون حكمه عادلاً.

I

ابن كثير: أحد مفسري القرآن.

إمام: قائد (يعطى هذا اللقب عادة للقائد أو الزعيم الديني). وأحياناً تكون الكلمة مرادفة لعبارة أمير المؤمنين أو الخليفة.

الإمام المهدي: رجل من سلالة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وعندما يعود المسيح يقوم هو بالدور الذي قام به قبله يوحنا المعمدان (النبي يحيى، عليه السلام) في التعريف على المسيح، عليه السلام.

الإسلام: الدين الذي يقوم على إسلام المرء وجهه لله تعالى وإرادته ويؤمن بأن الله هو صاحب السيادة والحاكم الأعلى.

الإسراء والمعراج: الرحلة المعجزة التي نُقِلَ بها النبي ليلاً من مكة إلى القدس ومن هناك عرج إلى السماء.

J

الجسّاسة: لغةً، الجاسوسة. ولكنها هنا تعني حيواناً معيَّناً هو من المعجزات.

الجهاد: لغةً، النضال؛ ولكنه هنا يعني الكفاح المسلح.

الجهاد في الله: القتال في سبيل الله، لا في سبيل مصلحة شخصية (ويقوم به المسلم طلباً لرضى الله وطاعةً له، وهو سبيل إلى الجنة إن شاء الله.

الجزية: ضريبة فرضت على اليهود والنصارى المقيمين في دار الإسلام وتحت حمايتها.

K

الكعبة: المسجد (أو الهيكل) الذي بناه إبراهيم، عليه السلام، في شبه جزيرة العرب. وكان اسمها مكتوباً في التوراة قبل أن يمسحوه.

كافر: من يرفض الإيمان بالإسلام.

خليفة: من خلف رسول الله حاكماً في دار الإسلام.

خراسان: في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، كانت خراسان منطقة شاسعة تمتد من غرب باكستان إلى شرق إيران، وتضم كامل إقليم أفغانستان والمنطقة الواقعة إلى الشمال من أفغانستان.

خطبة الوداع: آخر خطبة ألقاها النبي، صلى الله عليه وسلم، على جبل عرفـــات في الحج قبل وفاته.

L

لفيف: مجموعة غير متجانسة من الناس تجمع من هبَّ ودبَّ.

M

مريم: والدة عيسى المسيح، عليه السلام.

المسجد الأقصى: المسجد (أو الهيكل) الذي بناه سليمان، عليه السلام، في القدس.

مولانا: كلمة تستخدم في مخاطبة العلماء، وبالاستعمال أصبحت مرادفة لكلمة عالم.

مسند أحمد: كتاب أحاديث شريفة جمعه أحمد بن حنبل.

المستدرك، الحاكم: كتاب أحاديث شريفة جمعه الحاكم؟؟؟

متواتر: الحديث المتواتر هو الحديث الذي ورد بنصه من مصادر مختلفة.

S

صحيح مسلم: كتاب الأحاديث الشريفة التي جمعها مسلم.

صحيح البخاري: كتاب الأحاديث الشريفة التي جمعها الإمام البخاري.

سلفي: عضو في جماعة (سلفية) تقول إنها تتَّبِعُ الإسلام الأصلي الذي كـــان في عهـــد الصحابة. والسلفية يعتبرون المسلمين الذين لا ينهجون نهجهم مشركين.

الشام: سورية.

الشِّرك: أن يعبد المرء أحداً أو شيئاً غير الله، سبحانه وتعالى. وأيُّ إفسادٍ لعبـــادة الله الواحد الأحد يعتبر شِركاً. والشِّرك هو الخطيئة الوحيدة التي قال الله ســـبحانه وتعالى إنه لا يغفرها.

الشيخ الصوفي: حكيم أو مرشد روحي يقود تلميذه على الطريق إلى الإحسان.

السُّنَّة: الطريقة التي يعيش بها المرء، والسُّنَّة في الإسلام هي الطريقة التي عاش بها النبي، صلى الله عليه وسلم، يقتدي بها المسلمون، والأحاديث الشريفة التي رويت عنه.

Y

يأجوج ومأجوج: قبائل من بني البشر خلقها الله ووهبها القوة فلا يقدر عليها أحد إلا الله سبحانه وتعالى. وعندما يُطلَقُ سراحُها تسيطر على العالم وتحكمه. ويبدو أن ذلك سيكون في نهاية التاريخ. وترتكز قوتها على أسس ملحدة أساساً وفاسدة. وسوف تسيطر على البشرية بأسرها إلى أن يقلِّدُها الناسُ في كل شيء حين تقيم المجتمع العالمي. وهذا بالضبط هو وضع العالم اليوم!

يحي: نبي من أنبياء الله، يعرف أيضاً باسم يوحنا المعمدان.

يثرب: الاسم السابق للمدينة المنورة، قبل الإسلام.

يونس: اسم نبي من أنبياء الله، وهو الذي بلعه الحوت.

Z

زمزم: بئر ماء نبعت فجأة في الصحراء، وهي معجزة، لتسقي هاجر وابنها إسماعيـــل، عليه السلام، بعد أن تركهما أبوه إبراهيم، عليه السلام امتثالاً لأمر الله ســـبحانه وتعالى أن يتركهما في صحراء شبه جزيرة العرب. (يقول الكتاب المقدس إنـــه تركهما في فلسطين وإن زمزم بئر في فلسطين!)

إن مصير القدس يعطي المسلمين أكبر ثقةٍ وأملٍ في أن ينتصر الحق على الباطل والطغيان.

لقد كُتِبَ هذا الكتاب لهذا الغرض بالذات — أن يفسِّرَ للمسلمين هذا العالَمَ الغريب الذي نعيش فيه اليوم. إنه عالم 'يبدو' فيه أن قضية الإسلام قضية خاسرة. لكن القارئ، بعد أن يقرأ هذا الكتاب، سيعرف، إن لم يكن يعرف من قبل، أن **الحقيقة** غير ذلك تماماً. وعندما يستيقن المسلمون من أن مصير القدس يُثبت بما لا يقبل الشك صحة ادِّعاء الإسلام بأنه **الحق**، يستجمعون القوى لمقاومة الحرب التي تُشَنُّ الآن على الإسلام، والتي يبذل فيها العالم الملحد كل جهدٍ ممكنٍ للقضاء على إيمانهم بالإسلام.



الباب الأول

الفصل الأول

مقدمـــــــــــة

﴿قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظ {104} ﴾

(الآية 104 من سورة الأنعام 6).

القرآن يبين كل شيء
بما في ذلك مصير القدس

أعلن القرآن الكريم أن وظيفته الرئيسية هي تَبْيانُ كلِّ شيء:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ {89}﴾
(الآية 89 من سورة النحل 16).

نظراً إلى أن القرآن قد أطلق هذا الإعلان فمعنى ذلك أنه لا بد من أن يكون قادراً على تبيان حدثٍ هو أغرب الأحداث التي حدثت في تاريخ البشرية بأسره، وأكثرها غموضاً، وأكثرها استعصاءً على التفسير – حدثٍ ما زالت جوانبه تتكشَّفُ. ولكنا شهدنا منه بالفعل ما يلي:

- النصر النهائي لأوروبا الملحدة أصلاً (العلمانية) في 'تحرير' الأرض المقدسة في عام 1917-1918، الذي حصل بعد مجهود مسيحي-أوروبي متواصل بدأ قبل ذلك بنحو 1000 سنة بالحروب الصليبية.

[فلماذا تختار أوروبا العلمانية الملحدة أصلاً أن تثابر علـــى متابعـــة مـــا استحوذ على أوروبا المسيحية قبل 1000 سنة من واجب تحرير الأرض المقدسة؟ ولماذا يكون المسيحيون الأوروبيون، الذين دخلوا في المـــسيحية قبل 1000 سنة، المسيحيين *الوحيدين* الذين تستحوذ عليهم الرغبـــة في تحرير الأرض المقدسة؟]

- نجاح اليهود–الأوروبيين في استعادة دولة إسرائيل القديمة بعد أن أهلكهـــا الله، سبحانه وتعالى، قبل أكثر من 2000 سنة – هذا النجـــاح أمكـــن تحقيقُه بالمساعدة الحثيثة التي قدمتها نفس أوروبا العلمانية، الملحدة أصلاً.

[لماذا تستحوذ على أوروبا العلمانيـــة الرغبـــة في مـــساعدة اليهـــود الأوروبيين على استعادة دولة دينية أُسست قبل أكثر من 2000 سنة على يدي النبي داود والنبي سليمان، عليهما السلام؟ ولمـــاذا يكـــون اليهود–الأوروبيون هم اليهود *الوحيدين* الذين *تستحوذ* عليهم هـــذه الرغبة في استعادة دولة إسرائيل؟]

- عودة اليهود الإسرائيليين (أي اليهود غير الأوروبيين) إلى الأرض المقدســـة بعد أن أخرجهم الله، سبحانه وتعالى، منها وعاشوا أكثر من 2000 سنة في شتات غريب: اليهود الأوروبيون أعادوا اليهود الإسرائيليين إلى الأرض المقدسة، ولكنهم هم لم 'يعودوا' إلى الأرض المقدسة، لأنهم لم يكونوا فيها من قبلُ أبداً – وإنما هم استوطنوا فيها مجرد استيطان.

[لماذا يعتنق شعب أوروبي اليهودية ثم *تستحوذ* عليه مهمة تحرير الأرض المقدسة وإعادة اليهود الإســـرائيليين إلى الأرض المقدســـة 'طَوعـــاً أو كَرهاً'؟]

كل هذه الأمور، التي تبدو غريبةً ومحيِّرةً للعالم، وتبدو لليهود كأنها تثبت صحة ادِّعاء اليهود **بالحق** [بمعنى الحقيقة]. وذلك لأنه يبدو أنها تُحقق الوعد الإلــٰهي الــذي أُعطِيَ لليهود بأن الله، سبحانه وتعالى، سيرسل إليهم نبياً – يعرف باسم المسيح، وأن هذا النبي سيعطيهم كل ما ذُكِرَ أعلاه بل وأكثر.

هذا الكتاب يقول إن **القرآن** يفسر كل هذه الأحداث الغريبـــة ولـــيس هـــذا فحسب، وإنما يمضي أيضاً إلى كشف النقاب عن المصير النهائي للقـــدس. فـــالقرآن يكشف النقاب عن مصيرٍ يفضح باطل ذلك الادِّعاء اليهودي **بالحق**، ويؤكـــد **الحـــق** الذي جاء به النبي محمد، صلى الله عليه وسلم. هذا المصير سوف يشهد عقاب اليهود حين يعاقبهم الله، سبحانه وتعالى، أشدَّ عقابٍ إلـــــٰهيٍّ عوقب به أحد في التاريخ.

ففي صميم نظرة القرآن لمصير القدس، والأرض المقدسة، إعلانُه أنـــه في نهايـــة المطاف، إذا جاء وعد الآخرة، سيُجَمَّعُ اليهود من الشتات، الذي فُرِّقوا فيه وشُـــتِّتوا، ونُفوا إليه، وسيُعادون إلى الأرض المقدسة'لفيفاً' (الآية 104 من سورة الإسراء 17). لقد تحقق الوعد الإلـــــٰهي بالفعـــل. وعـــاد اليهـــود فعـــلاً إلى الأرض المقدســـة واستعادوها. وأدى بهم نجاحُهُم إلى الاعتقاد بالشرعية الدينية لدولـــة إســـرائيل الـــتي أنشأوها. لكنَّ اليهود خُدِعوا أكبر خديعة شهدها التاريخ منذ الأزل، والمـــسرح الآن مهيَّأٌ لأن يذوقوا أشدَّ عقابٍ إلهيٍّ عوقب به أي شعب في التاريخ. إلا أنه قبل أن يحـــل ببني إسرائيل العقابُ الإلـــٰهي الأخير، هناك دراما عظيمة يجب أن تتكشف جوانبها في الأرض المقدسة، بل في العالم أجمع. هذا الكتاب يصف تلك الدراما التي ما زالـــت جوانبها تتكشف.

المقصد الأساسي لهذا الكتاب هو تبيان أنَّ **للإسلام** نظرةً في مسيرة التـــاريخ مختلفة عن نظرات الآخرين بقدر ما يتعلق الأمر بالأرض المقدسة. إنها نظـــرةٌ تـــرى الوقت يمر سريعاً من أمام إسرائيل. سيجف بحر الجليل (بحيرة طبرية) قريباً! وســـيعود

عيسى، عليه السلام! وستشهد عودتُهُ القضاءَ على إســرائيل. (انظر المرفق الأول للاطلاع على ما ذكرته الأنباء عن منسوب الماء الحالي في بحيرة طبرية، انظر أيضاً كتابنا "مِلَّة إبراهيمَ ودولة إسرائيل – نظرةٌ من القرآن" ***(The Religion of Abraham and the State of Israel – A view from the Qur'an)***.

فقد كان لدى اليهود **الحق** [بمعنى الحقيقة] الذي لدى المسلمين ولكنهم حرَّفوه. لقد قضوا فترة طويلة بما فيه الكفاية في المدينة المنورة (بعد الهجرة) لأن يقبلوا **الحق** الخالص غير المحرَّف الذي جاء في **القرآن**، ولأن يؤمنوا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء الذين بعثهم إلـــٰـه إبراهيم، عليه السلام، ولكنهم كفروا به بكل عناد. ومرَّ الوقت من أمامهم حين غيَّرَ الله، سبحانه وتعالى، **القبلة** (انظر الآيات 141-145 من سورة البقرة 2). عندها فاهم الأوان لأن يتجنبوا المصير الجماعي الذي يحملقُ الآن في وجوههم. هذا الحدث – أكثر من أي حدث آخر في التاريخ – الــذي مــا زالت جوانبه لم تتكشف بعد. ذلك هو مصير القدس والمصير الــذي ينتظـر دولـة إسرائيل، وسيثبت هذا صحةَ دعوى الإسلام أنه هو **الحقُّ** غيرُ المحرَّف.

ولّى النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، وجهه في صلاته شطر المسجد الأقصى طيلة سبعة عشر شهراً ليعلِّمَ اليهود أن الإلـــٰـه الذي بعث موسى، عليه السلام، بعثه هو أيضاً؛ وأن الإلـــٰـه الذي أنزل التوراة، أنزل **القرآن** أيضاً. وكان أمام اليهود باب واحد فقط يمكن أن تأتيهم منه المغفرة من إلـــٰـه إبراهيم: ذلك الباب هـو محمـد، صلى الله عليه وسلم (انظر الآية 157 من سورة الأعراف 7). ولكنهم كفروا به بعناد. والآن فات الأوان.

القدس في القرآن – معنى ذلك للمسلمين

ما هي الدروس التي يتعلمها المسلمون الذين يقرأون هذا الكتاب حتى آخره؟

الدرس الأول هو أن القدس والأرض المقدسة يجب أن تكون أعزَّ شـــيء في الدنيا على قلوبهم – معزَّتُها كمعزة مكة والمدينة – وأن الجهاد لتحرير الأرض المقدسة من رجس دولة إسرائيل اليهودية العلمانية يجب أن يكون أحب إلى قلـــوبهم مـــن أي جهاد آخر إلى قلب مسلم. فإذا كان في وسع اليهوديِّ أن يغادر الولايات المتحـــدة أو أوروبا أو روسيا ليلتحق بجيش الدفاع الإسرائيلي، ويشارك في الاضـــطهاد المـــسلح للمسلمين والمسيحيين أبناء الشعب الفلسطيني في الأرض المقدسة، فينبغي أن تكـــون للمسلم نفس الحرية في أن يغادر المكان الذي يقيم فيه، في أي مكان من العـــالم، وأن يشارك في المقاومة المسلحة التي يقوم بها المضطهَدون في الأرض المقدسة. فـــإذا حُـــرِمَ المسلم من هذه الحرية وهُدِّدَ بالاعتقال بوصفه 'إرهابياً' فعليه أن يتجاهل ويعارض كل العقبات التي تعترض مشاركته في هذا الجهاد. عليه أن 'يحرق ســـفينته' في ســـبيل الله ويتحدى العالم الملحد! فالواقع هو أن أضعف الإيمان في عالم اليـــوم، هـــو أن يجـــد المسلمون، على الأقل، في نفوسهم الرغبة في المشاركة في تلـــك المقاومـــة المـــسلحة (الجهاد) في الأرض المقدسة. غير أن على المسلمين أن يعلموا أنهم في اللحظـــة الـــتي يُعلنون فيها إيمانهم بأن جيشاً مسلماً سيقضي على دولة إسرائيل، ويعربون عن أملـــهم في أن يكونوا جنوداً في ذلك الجيش، سيتعرضون للتخويف ويُعتقَلون أيضاً لإسكاتهم، وليكونوا عبرة لغيرهم لعلهم يخافون. عملية التخويف والقمع هذه بـــدأت فعـــلاً في الولايات المتحدة، وكذلك في أنحاء كثيرة أخرى من العالم، ومن المـــرجح أن تـــزداد حدةً عندما تصبح إسرائيلُ **الدولة الحاكمة** في العالم.

ثانياً، ينبغي أن تُوَجَّهَ موارد العالم الإسلامي المالية وغير المالية بالدرجة الأولى إلى مساعدة قضية تحرير الأرض المقدسة من الظلم. وبينما جهاد كـــشمير وقوصُـــوَة [كوسوفا] والشيشان عزيز على قلوب المسلمين، لا يوجد أي ضمان إلهـــي للنجاح في جهاد هذه البلدان كما هو مضمون في الجهاد في الأرض المقدسة. ولا يمكن المقارنة

بينهما. بل إن النجاح في الجهاد لتحرير الأرض المقدسة سيؤثر تأثيراً إيجابياً على جهاد المسلمين في كل مكان ليتحرروا من الظلم.

ثالثاً، وهو الأهم، يجب على المسلمين (ذكوراً وإناثاً) أن يدرسـوا رسـالة القرآن وهداه بقدر ما يتعلقان بمصير القدس، وأن يعلِّموها غيرَهم. هذا الكتاب عبارة عن محاولة متواضعة للتعرُّف على البيان والهدى القرآني وتقديمهما للقارئ.

الاستراتيجية اليهودية الصهيونية

ثمة بُعدٌ من أبعاد الاستراتيجية اليهودية الصهيونية يتمثل في محاولة السـيطرة على البيئة الاستراتيجية لإسرائيل من خلال إقامة تحالفات تقوم على المصلحة مع نخبة فاسدة، غنية دائماً، مفترسة وملحدة تتحكم بالمجتمعات العربية-الإسـلامية المحيطـة بإسرائيل لصالح إسرائيل. هذه النُّخْبَةُ مرغمةٌ على إقامة علاقات ودية مع إسرائيل لكي تحافظ على مراكز قوتها وسيطرتها وامتيازاتها وثروتها. ويمارس اليهود دائماً ضغطاً على تلك النخبة لتضطهد المسلمين لكي يرضخوا لإسرائيل، أو لكيلا تشكل معارضـتهم لإسرائيل أي تهديدٍ لليهود. وعندما تصعِّد إسرائيل أعمالها القمعية في الأرض المقدسـة وتثور ثائرة الجماهير العربية المسلمة، تُضطر النخبة الحاكمة، من أجل بقائها، إلى اتخاذ موقفٍ ظاهرُهُ الغضب على إسرائيل. وقد بلغت هذه الاستراتيجية (النُّخبَوِيَّةُ) العربية-اليهودية اليوم مرحلة متقدمة من مراحل تنفيذها. ولكنَّ فيها شيطنةً ومكراً ومصلحةً. إنها استراتيجية قومٍ نبذوا، في الأساس، الصُّلب الأخلاقي لِمِلَّة إبراهيمَ، عليه السـلام. فالاستراتيجية اليهودية تقتضي بأن يتخلى اليهود يوماً ما عن تلك النخبة العربية الـتي أقاموا معها أحلافاً أساسها المصلحة. بل إن استراتيجية التخلي عن تلك النخبة العربية بدأت بالفعل. حتى ونحن نكتب هذه الكلمات تستعد إسرائيل لحربٍ علـى العـرب المسلمين ستسفر عن توسيع رقعة الدولة اليهودية. وعندئذٍ ستحكم إسـرائيل كامـل

المنطقة بوصفها **الدولة الحاكمة** في العالم (أي تحل محل الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة بوصفها **الدولة الحاكمة**).

وردَّ القرآن على كل هذه الاستراتيجيات اليهودية التي تسعى إلى تحدّي الله، سبحانه وتعالى، والمؤمنين، وتخريب المصير، منذراً بسوء العاقبة فأعلن:

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ {54} ﴾

(الآية 54 من سورة آل عمران 3).

تحقيقاً لهدف تنفيذ تلك الاستراتيجية الشيطانية في الأرض المقدسة نفـــسها اختارت إسرائيل ياسر عرفات ومنظمة التحرر الفلسطينية القوميـــة العلمانيـــة، الـــتي يرأسها، شريكاً لها في السلام. نجحت هذه الاستراتيجية في مـــصر والأردن وتركيـــا والمملكة العربية السعودية، وكلُّها دول عميلة للولايات المتحدة االأمريكية الملحـــدة. ولكن هذه الاستراتيجية لم تنجح في الأرض المقدسة. و لم تنجح في ســـوريا والـــيمن أيضاً.

لعلَّ قُرّاءَ هذا الكتاب يتفكَّرون في هذا الدُّعاء الذي دعا به النبي محمد، صلى الله عليه وسلم:

"قال ابن عمر إن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: **اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا**. قالوا يا رسول الله: **وفي نجدنا**. فقـــال ثانيـــة: **اللهم بارك لنا في شامنا.اللهم بارك لنا في يمننا**. قالوا:يـــا رســـول الله وفي **نجدنا**. فأظنه قال في الثالثـــة: **هناك الزلازل والفتن**، وبها (أي نجـــد) **يطلع قرن الشيطان**."

(صحيح البخاري)

مضى على وجود دولة إسرائيل اليهودية 50 سنة. ولكن من المؤكد أن هذا ليس إنجازاً "برغم المصاعب"، كما يريد اليهود منا أن نصدق. فقد خَـدَعَتْ حركـةٌ صهيونيةٌ ملحدةٌ أساساً بني إسرائيل بكومة من الأكاذيب! ومن هذه الأكاذيب الشعار الكاذب القائل: "**أرضٌ بلا شعبٍ لشعبٍ بلا أرضٍ**". إذا لم يكـن في هـذه الأرض شعب أليس لنا أن نسأل: "مَنْ هؤلاء الذين يُلقون 'الحجارةَ' الآن"؟

وإذا لم يكن العرب 'شعباً'، وكانوا مجردَ 'جنادِبَ' كما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، شامير، ذات مرة، ألم يسمحوا لليهود بالإقامة بين ظهـرانيهم في البلاد العربية مدة تزيد على ألفي سنة؟ لقد ضمن العرب لليهود الأمن على أرواحهـم وأموالهم حين عاشوا بين ظهرانيهم في البلاد العربية مدة تزيد على ألفي سـنة. فعـل العربُ كل ذلك وأكثر في وقتٍ أغلق فيه سائر العالم أبوابه أمام اليهود، أو سمح لهـم بالدخول على غير رغبة ليعيشوا في غيتوهات. إنما فعل العرب ذلك لأنه ما زالت فيهم 'بقية' من مِلَّة إبراهيم، وصلت إليهم عن طريق إسماعيل، عليه السلام. هذه 'البقيـة' من **الحق** هي التي علَّمتهم الكرم. وما زال الكرم العربي حياًّ إلى يومنا هذا. كان يجب أن تُعَلِّمَ مِلَّةُ إبراهيمَ نفسُها اليهودَ أن يكونوا شاكرين لهذه '**الجنادب**' الكريمة.

قالت الصهيونية إن **الحق**، في اليهودية، أعطى الشعب اليهودي سَنَدَ مِلكيـةٍ 'حصرياًّ' و 'دائماً' و 'غيرَ مشروط' بالأرض المقدسة. وقالت الصهيونية إن اسـتعادة دولة إسرائيل اليهودية، التي أهلكها الله، سبحانه وتعالى، قبل نحو ألفـي سـنة، إنمـا تُـثبت صحة ادِّعاء اليهودية بـ (صيغة إمبريالية لـ) **الحق**. ألم تَقُل التوراة: "**حيثما وطئت قدمك فهو لك**" (سفر التثنية ، 11:24) طيلة خمسين سنة، منذ ولادة إسرائيل، والعالم ينظر بعين الدهشة إلى الكوارث التي تركها '**وطء أقدام**' اليهـود في إسـرائيل الآخذة في التوسع باستمرار. وهذا التوسع لم يتوقف حتى الآن. على الرغم مما '**يبدو**' من أن إسرائيل محاصرة وأنها تحيط نفسها بسور من العربات لحماية نفسها من هجمة عربية، فالحقيقة – في الوقت الذي أُرسِلَ فيه هذا الكتاب إلى المطبعة (بعد تدمير مخـيم

جنين للاجئين وقتل أعداد كبيرة أخرى من العرب) – هي أن إسرائيل تستعد للقيـــام بحرب كبيرة على العرب تؤدي إلى توسعة حدودها توسعة هائبة لتشمل كـــل الأرض المقدسة، كما هي مذكورة في الكتاب المقدس، أي "**من نهر مصر** (وهـــذا يعـــني السيطرة على قناة السويس) **إلى نهر الفرات** (وهذا يعني السيطرة على كـــل نفـــط الخليج، ربما باستثناء إيران. ومما يذكر أن أوروبا واليابان وكثيراً من سائر أنحاء العـــالم تعتمد على نفط الخليج)," وستشهد هذه الحرب، التي ستخطط لها جيِّداً وبكل عناية، حلولَ إسرائيل محلَّ الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها '**الدولة الحاكمة**' في العالم.

فمن وجهة نظر **الكتاب المقدس** يبدو من المؤكد أن نجاح اليهود في استعادة دولة إسرائيل ثم توسيع أراضي الدولة، بالإضافة إلى سيطرة اليهـــود علـــى القـــدس الشريف، يثبت صحة ادِّعاء اليهودية **بالحق**.

والسؤال الذي نطرحه هو: كيف تم كل هذا دون وجود المسيح؟ والجواب أنه أُنجِزَ بخداع **المسيح الدجّال!**

وهنا أيضاً نرى أن الاستنتاج الذي لا مفرَّ منه هو أن النجاح الظـــاهري في استعادة إسرائيل الكتابية إثبات لصحة زعم اليهود أن المسيحَ ومحمداً، عليهما السلام، كانا هما كلاهما دجالَّيْن.

ولكن، لكي يتم إنشاء إسرائيل، كان لا بد لليهودية من أن تربط عربتـــها بعجلة الحضارة الغربية الحديثة التي برزت مؤخراً، والتي هي أساساً ملحدة ومنحطـــة. لقد أقام العالم الغربي الملحد سلطته باعتباره الفاعل المسيطر على المسرح العالمي بـــلا منازع، '**وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**' (الآية 96 من سورة الأنبياء 20)، ليسيطروا على البحر والأرض والجو كلها. وما كان للدولة اليهودية أن تعيش هذه الخمسين سنة لولا

المساعدة الحثيثة من الغرب القوي، ولكنه ملحد منحط. فالواقع أنها كانت حـــضارة أنشأها وأبقاها يأجوج ومأجوج.

اليهود الذين يؤيدون إسرائيل رحبوا بما بدا لهم أنـــه اســـتعادة لإســـرائيل الكتابية، ولكنهم استنسبوا أن ينسَوا الظلم الفادح والاضـــطهاد اللـــذين ألحقوهمـــا بالشعب الفلسطيني عاثر الحظ — بمسيحييه ومسلميه — الذي يبدو أن خطيئته الوحيدة هي أنه يعيش في الأرض المقدسة (**أرض اليهود**). هذا الظلم والاضطهاد كانا وما زالا في ازديادٍ طيلة هذه الخمسين سنة. والسؤال الذي نطرحه على هؤلاء اليهود هو التالي: أيتفقُ ادِّعاءٌ صحيحٌ **بالحقِّ** مع هذا الكفر والانحطاط والظلم والعنصرية والاضـــطهاد؟ وهل يمكن لشعبٍ 'أن يقطر عربته' بقطارٍ ملحدٍ أساساً ويدَّعي مع ذلك أنـــه مـــؤمنٌ بإلـــــٰهِ إبراهيم؟

زعم اليهود أنهم لم يخرجوا الفلسطينيين من ديارهم — وإنمـــا الفلـــسطينيون خرجوا من تلقاء أنفسهم. إذن، لماذا لم يحافظ لهم اليهود على بيوتهم أمانةً في أيديهم، ولماذا لم يدعوهم إلى العودة إلى ديارهم؟ بدلاً من ذلك، ظلَّ اليهود طيلة خمسين ســـنةً بائسةً ينكرون على الفلسطينيين بعنادٍ 'حقَّهم في العودة' إلى ديارهم. وأكثـــرُ مثـــاراً للدهشة أن إسرائيل تقول الآن إنه '**ربما**' تمر خمسون سنةً شاقَّةً أخرى قبل أن يصبح من الواقع تَوَقُّعُ أن تتمكن إسرائيل والفلسطينيون — مسيحيين ومسلمين على الـــسواء — من أن يشتركوا في نفس الحيِّز المكاني في الأرض المقدسة دون أن يقتتلـــوا عليـــه. ولكن ذلك 'ضَربٌ من الأحلام'! فهو لا يمتُّ بصلةٍ إلى مسيرة التاريخ التي أخـــذت تتكشف بسرعة. وما زال ظلمُ إسرائيل الشنيع للفلسطينيين يزداد شدة كـــل يـــوم. وستصل إسرائيل قريباً إلى قمة 'الغرور' حين تصبح هي **الدولـة الحاكمـة** في العالم. غير أن هذا الكتاب يعلن أن العالم يشهد الآن بدايةَ النهاية لدولة إسرائيل اليهودية الدجّالة! ولا ينبغي لليهود أن يلوموا الصهيونية على المحنة التي يمرون بها الآن. فكل مـــا فعلتـــه

مـــقدمـــة

الصهيونية هو استغلال كل كذبة ممكنة وُضِعَت في **الكتاب المقدس** بأن أضـــافت إلى هذه الأكاذيب كومةً من الأكاذيب الأخرى.

'القدس' غير مذكورة بالاسم في القرآن

يعود جانب من السبب في كتابة **'القدس في القرآن'** إلى ضرورة الردِّ على المقال الذي كتبه دانيال بايبس في صحيفة لوس أنجلس تايمز في 21 تمـــوز/يوليـــة 2000، بعنـــوان "***Jerusalem means more to Jews than to Muslims***" (القدس تعني لليهود أكثر مما تعني للمسلمين). حاول دانيال بايبس في هذا المقال أن يلغي أي حقٍّ للمسلمين في القدس بإعلانه أن القدس، في جملة أمور أخرى، "لم تُذكَر ولو مـــرة واحدة في القرآن أو في الطقوس الدينية". منذُ نشر الدكتور بايبس هذا المقـــال هـــبَّ عدد لا يحصى من كتّاب الصحف وغيرهم من المعلقـــين علـــى الـــسياسة في الأرض المقدسة إلى إغراق جمهور القرّاء بتكرار هذا الاتهام، الذي وَجَّهَهُ بايبس، تكراراً يبـــدو أنه لا نهاية له. ولعلَّ الدكتور بايبس ورهطه العاملين في وســـائط الإعـــلام، الـــذين استفزوّنا فدفعونا إلى كتابة هذا الكتاب، يعيدون النظر في رأيهـــم إذا قـــرأوا هـــذا الكتاب.

إن من واجب المسلم أن يردَّ على هؤلاء النقّاد المعادين الذين يتمـــادون في تحدّي الإسلام والقرآن، لا سيَّما فيما يتعلق بحملتهم الصليبية الجديدة نيابةً عن دولـــة إسرائيل اليهودية. وينبغي أن يكون الردُّ بالرجوع إلى **الحق**، الذي هـــو في القـــرآن. فالقرآن يقول "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ". **فـــالحق** يزهـــق **الباطل** دائماً. وقد أُمِرَ المؤمنون دائماً أن يلجأوا إلى القرآن وهم يجاهـــدون الكفـــّار جهاداً عظيماً.

لم يكن قصدُنا أن نحاول إقناع أمثال دانيال بايبس بـــأن تعـــاليم القـــرآن ونبوءاته، وكذلك أحاديث النبي، صلى الله عليه وسلم، ذات الصلة بالقدس وبمصيرها هي **الحق**. بل إنَّ قصدَنا هو أن نعرض الموضوع عرضاً مستمداً من القرآن الكـــريم

والأحاديث الشريفة، ونحاول شرحه وتفسيره. وسواءٌ أقَبِلَ الدكتور بـــاييس كتـــاب 'القدس في القرآن، أم لم يقبله، من الواضح أن دراسة هذا الموضوع أساســـيةٌ لفهـــم مشكلة إسرائيل والإسلام. هذه هي الأهمية الرئيسية لهذا الكتاب.

القدس – مفتاح فهم العالم اليوم

ينبغي الآن أن يكون واضحاً أن هذا الموضوع ذو أهمية بالغة لجميع المسلمين الذين يجب أن يعلِّقوا على الدراما المخيفة التي تتكشف جوانبها الآن في القـــدس، أو يردّوا عليها. منذ فترة طويلة – في عام 1974 – حثَّ المرحـــوم الـــدكتور كلـــيم صِدّيقي، مؤسسُ ورئيسُ **المعهد الإسلامي للبحث والتخطيط** في لندن، هذا الكاتـــبَ على كتابة هذا الكتاب بالذات، ليبيِّنَ أن القدس مفتاح فهم مـــسيرة التـــاريخ كمـــا تتجلى اليوم. والحمدُ لله أن هذه المهمة أُنجِزَت الآن، بعد 27 سنة. إن وجهة النظـــر القرآنية التي تبرز من هذا الكتاب تثبت بجلاء أنه لا يمكن لأي شخص أن يفهم العالم الحديث حقَّ فهمه ما لم يتمكن أيضاً من سبر أغوار حقيقة القدس اليوم!

الغربُ الحديثُ يريد أن يعتنق المسلمون **إسلاماً** يقبل، في جملة أمور، بدولـــة إسرائيل اليهودية، ويمهد الطريق أمام المسلمين لمعانقتها وإقامة سلام معها. وفي هـــذا يكمن مفتاح فهم مسيرة التاريخ بقدر ما تؤثر في العلاقات الدولية في هذا العصر. هذا الكتابُ قدَّم الردَّ الإسلامي على هدف الغرب الاستراتيجي هذا، وهـــو ردٌّ يـــستند استناداً قوياً إلى القرآن وإلى أحاديث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم. وقد كـــشف هذا الكتاب أنه لن يستتب السلام في أي وقت في المستقبل بين الأتباع الحقيقيين للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ودولة إسرائيل اليهودية، وأن الأتباع الحقيقـــيين للـــنبي، صلى الله عليه وسلم، سينتصرون في النهاية على إسرائيل الطاغية، ويحـــررون الأرض المقدسة من طغيان إسرائيل. أما المسلمون الذين يخونون الإسلام، من جهـــة أخـــرى،

وينضمون إلى معسكر الملحدين المناهضين للإسلام، فسيجدون في النهاية ســبيلاً إلى القبول بإسرائيل والخضوع لحكم الدولة اليهودية.

إن الجهود المبذولة لتعليم الدين الإسلامي لم تعُدْ بنتائج (إيجابية أو ســلبية) أهمَّ مما عادت به الجهود المبذولة في المؤســسات التعليميــة، لا ســيما الجامعــات ومؤسسات التعليم العالي الأخرى. غير أن من الواضح أنه إذا ما أُريدَ حقاًّ اســتيعابُ الثقافة الإسلامية فلا بد من أن يتفرَّس عقل الطفل والطالب في القرآن الكريم. وأهــم موضوع، من بين المواضيع التي عالجها **القرآن الكريم** – الموضوع الذي يجب أن يُدَرَّسَ في المؤسسات التعليمية الإسلامية اليوم – هو موضــوع '**القدس في القرآن**'. فبهــذا الموضوع، أكثر من أي موضوع آخر، يستطيع المسلمون أن يردّوا بنجاحٍ على الهجوم الذي يشنه عليهم اليوم العالَــمُ المُلحِد، الذي يرغمهم على تعــديل الــدين تعــديلاً يسمح بقبول إســرائيل (**انظر مقتطفات من كتاب إسماعيل راجي الفاروقي على الصفحة** xxi). لقد بذل هذا الكتاب (الذي بين يدي القــارئ) محاولــة متواضــعة للمساعدة على هذه المهمة بأن قدَّم للمدرِّسين المسلمين، على وجه الخصوص، هــدىً قرآنياًّ بقدر ما يتعلق الأمر بالقدس وبمصيرها. ولا ينبغي أن يُسمَحَ للمــدرِّس المــسلم والمدرسة الإسلامية أن يتخذا موقفاً 'محايداً' إزاء موضوع '**القدس في القرآن**'.

اليهود والنصارى و 'القدس في القرآن'

أخيراً، مع أنَّ موضوع '**القدس في القرآن**' موضوع هامٌّ للمسلمين، فإننــا مهتمون جداًّ بمدِّ أيدينا إلى اليهود والنصارى بالقرآن الكريم. فالوقتُ يمــرُّ ســريعاً، و**الساعة** تقترب، وأصبح أصعب فأصعب على علماء النصارى واليهود أن يردّوا على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وهم يتعاملون مع موضوع هذا الكتاب، وكــذلك مع يأجوج ومأجوج، والمسيح الدجّال، وعودة عيسى، عليه السلام. والأدلــة الــتي تــثبت حقيقةَ القرآن تزداد باستمرار.

مــــقدمـــة

على المسلمين واجب تقديم هذا الموضوع إلى اليهود والنصارى، وها نحن قد فعلنا ذلك في هذا الكتاب. ويكملُ كتابُ الشيخ سَفَر الحوالي الرائع، المعنون: " **يوم الغضب – هل بدأ في انتفاضة رَجَب ؟**"، هذا الكتاب يمكِّن القارئ، رجلاً كــان أو امرأةً، من أن يبحث هو نفسه عن المطابقة والمخالفة بين القرآن والنبوءة **الكتابية**.

لقد ميَّز هذا الكتاب بين نوعين مخـــتلفين مـــن اليهـــود. فهنـــاك اليهـــود الإسرائيليون الذين يعودون بنسبهم إلى أبينا إبراهيم، عليه السلام. وهـــؤلاء شـــعب سامي قرابته العنصرية بالعرب واضحة تمام الوضوح. ومـــن جهـــة أخـــرى، هنـــاك أوروبيون زرق العينين وبيض البشرة اعتنقوا اليهودية في فترة من الزمن، ولا يَمُتّـــونَ بنسبٍ إلى إبراهيم، عليه السلام. ويرى هذا الكاتب، والله أعلم، أن منـــشأ يـــأجوج ومأجوج موجود **في مكان ما بين ظهرانـي** هؤلاء اليهود الأوروبـــيين. فقـــد قلـــب يأجوج ومأجوج الحضارة الأوروبية المسيحية رأساً على عَقِبٍ وحوَّلوها إلى الحـــضارة الملحدة الراهنة. وأنشأ يأجوج ومأجوج الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل. ويحـــاول الفصل العاشر من الجزء الأول من هذا الكتاب أن يشرح بإيجاز موضـــوع يـــأجوج ومأجوج في الإسلام. وسنحاول إعطاء شرح شامل للموضوع في كتابنـــا القـــادم: "***Surah al-Kahf and the Modern Age***" **(سورة الكهف والعصر الحديث)** إن شاء الله.

لا شك في أن هذا الكتاب سيسبب صدمة نفسانية للقرّاء الغربيين، نصارى ويهوداً، بل حتى لبعض القرّاء المسلمين. لكنْ دَعونا نبيِّن بصراحة ووضوح أننـــا مـــا كتبنا هذا الكتاب لنسيء إلى هؤلاء القرّاء. إنَّ 'الحقيقة الداخلية' للعالم اليوم، كمـــا تُفهَمُ من خلال القرآن، مختلفة جداً عن هذه 'المظاهر الخارجية' التي على أساسها يضع هؤلاء الناس أحكامهم. وثمةَ فرقٌ شاسع بين الذين يرون بعينين اثنـــتين – الخارجيـــة والداخلية – والذين يرون بعين واحدة فقط (لأن قُلوبَهُم عَمِيَتْ). ولقد وجَّـــه الـــنبي

محمد، صلى الله عليه وسلم، إنذاراً بعواقب وخيمةٍ حين قال إن **الدجّال**، أعور (فاقـد إحدى عينيه) "**وإنَّ الله ليس بأعور**"! وحذر من أن عصر **الدجّال** سـيكون عـصراً تكون 'المظاهر' فيه و 'الحقيقة' شيئين مختلفين بعضهما عن بعض تمام الاختلاف. ولا يستطيع أحد في العصر الأخير أن يرى ما في '**الداخل**' ويسبر أغوار '**الحقيقة**' إلا مَـن اتَّبَعَ النبي محمداً، صلى الله عليه وسلَّم، بصدقٍ وإخلاص.

تفسير وشرح

قُمنا شخصياً في بعض الأحيان بتفسير نصٍّ (من **القرآن**) عندما لم يكـن هذا النص مفسَّراً بصورة مباشرة، إما من الله، سبحانه وتعالى، أو من رسوله، صـلى الله عليه وسلم. وقد فعلنا ذلك لنبيِّن المكان الذي فَسَّرَ فيه القرآن موضوعنا. وعنـدما فعلنا ذلك عرَّضنا أنفسنا لرفضٍ فوريٍّ من الأشخاص الذين لا يقبلون أي تفسير كان للنصوص المقدسة باستثناء معناها المباشر والحرفي. ويرفض آخرون أي تفـسير غـير تفسيرهم هم أنفسهم. ونحن ندعو الذين يرفضون تفسيراتنا إلى أن يقدموا لنـا هـم أنفسُهم التفسير الذي 'يفسِّرُ' فيه القرآن عودة اليهود إلى الأرض المقدسة.

ثانياً، عندما كنا نفسِّر نصاً قرآنياً كنا دائماً نفعل ذلك محتـرزين بقولنـا '**الله أعلم**'. فهذا ما كان يفعله المفسِّرون الكلاسيكيون للقرآن دائماً، وهذا هو ما فعله هذا الكاتب أيضاً.

القدس وادِّعاء القرآن بالحق

أصبح من الخارج عن ذوق الناس في هذا العصر – عصر عَلْمَنَـةِ المعرفـة – أن يلجأ الناس إلى الكلمات التي أنزلها الله، إلـه إبراهيم، عليه السلام، لتفسير ما يجري في هذا العالم. ومع ذلك، هذا هو بالضبط ما حصل عندما ظهرت دولة إسـرائيل إلى حيز الوجود في العالم الحديث. فقد استخدم يهودُ أوروبا التوراة في الدفاع عن حقهم

'الإلـــــٰهي ' في الاستيلاء على الأرض المقدسة بغية استعادة دولة إســـرائيل (الـــتي أنشأها لأول مرة النبي– الملك داود، عليه السلام. وقال أول رئيس وزراء لإســـرائيل، دافيد بن غوريون، ذلك بمنتهى الصراحة: "**الكتاب هو سند ملكيتنا لأرض إسرائيل**".

ولذلك فإن لدينا مبرراً قوياًّ في الرد على قيام دولة إسرائيل بطرحٍ مستمدٍّ كليـــةً من **القرآن الكريم**. ولا ينبغي لأحدٍ، رجلاً كان أو امرأةً، أن يسعى إلى حرماننا مـــن هذا الحق، أياًّ كان مدى مضايقته لذلك الشخص. وربما تكون هذه أول مرة يتعـــرَّض فيها الكثيرون منهم لهذا الشرح. وبينما تتكشف مسيرة التاريخ في هذه المرحلة الأخيرة من مراحل التاريخ، وعندما يبين **القرآن** بصورة متزايدة قدرته على إعطاء تفسيرٍ دقيق للعالم والقدس اليوم، فإن هذا يثبت صحة ادِّعائه بأنه **الحق**. وقد قدم هذا الكتـــاب، أكثر من أي شيء آخر، ادِّعاء **القرآن** بأنه هو **الحق**. وهذا بالضبط ما فـــصَّلَهُ **القرآن** نفسه في سورةٍ، هي نفسُها اسمها **فُصِّلَتْ**.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {53} أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاء رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ {54}﴾

(الآيتان 53-54 من سورة فصلت 41).

قُدِّرَ للقدس، وهي مدينة مقدسة لدى المسلمين والنصارى واليهـــود، أن تقـــوم بأهمِّ دَوْرٍ على الإطلاق في نهاية التاريخ. الإسلامُ والنصرانيةُ واليهوديةُ كلُّها متفقة في ذلك. وتوجد علامات كثيرة جداًّ، وهي مرئية بوضوحٍ لمـــن مـــنحهم الله البـــصيرة الروحانية (الذين يرونها بعينين اثنتين – **الخارجية والداخلية**)، على أننا نعيش الآن في آخر الزمان – ذلك العصر الأخير – العصر الذي سيشهد نهاية التاريخ. فكم سيطول هذا العصر الأخير؟ متى ســـــــــتأتي النهاية ؟ لا أحد يعلم ذلـــك إلا الله، ســـبحانه وتعالى، إلـــــٰه إبراهيم، عليه السلام.

من الأهمية بمكان أن تُقَدَّمَ وجهةُ نظر **القرآن** في هذا الموضوع مراراً وتكـــراراً في هذا الوقت، لأن القدس بدأت بالفعل تؤدّي ذلك 'الدور' الذي قُدِّر لهــا أن تؤدِّيَــهُ. ويشرح هذا الكتاب ذلك 'الدور'. ومن الأهمية بمكان أيضاً أن يُشْرَحَ 'دور' القـــدس هذا في نهاية التاريخ بأكبر قدرٍ ممكنٍ من البصيرة الروحانية الصادقة لأن ذلك 'الدور' لا يُرى في أكثر الأحيان إلا بهذه الطريقة.

كان هدفنا طبعاً أن نخاطب جمهور القرّاء بوجهٍ عامٍّ. ومن الأهمية بمكان تعريفُ هؤلاء القراء بمصير القدس والأرض المقدسة الذي أثبته القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بسبب الادِّعاءات المنافسة على الحق في القدس، التي تعلِنُ كلُّها أنــه قُـــدِّرَ للقدس أن تثبت صحةَ ادِّعائها الحصري **بالحق** ونَفْيَ جميع الادِّعاءات الأخرى.

هذا يعني بعبارة أخرى أن اليهود يؤمنون بأن مصير القدس سوف يشهد مجـــيء المسيح، وأنه عندما يأتي المسيح سيستعيد العصرَ الذهبيَّ للديانة اليهودية، وسوف يحكم العالم من القدس. وهذا سوف يثبت صحة ادِّعاء اليهود **بالحق** وينفـــي ادِّعـــاءات المنافسين. ويعتقد النصارى بالشيء نفسه. فعندما يعود يسوعُ المسيح ســـوف يحكـــم العالم من القدس. وسوف يثبت العقائد النصرانية القائمة علـــى الثـــالوث وتناســـخ الأرواح والتوبة إلخ. وبذلك تثبت صحة ادِّعاء النصرانية **بالحق** وتُلغى ادِّعاءات كل الآخرين. ويعتقد المسلمون أيضاً أن مصير القدس هو إثبات صحة ادِّعـــاء الإســـلام **بالحق** وإلغاء الادِّعاءات النصرانية واليهودية الراهنة. ولما كانت هذه المفاهيم الثلاثة، التي تدَّعي كلها أن منشأها من إبراهيم، عليه السلام، تختلف فيما بينـــها اختلافـــات عميقة، فلا يمكن أن تكون كلها صحيحة.

إن فكرة المسلمين، كما تبرز من هذا الكتاب هي أن عيسى، عليـــه الـــسلام، المسيح الحقيقي، سيعود يوماً ما وسوف يذهب إلى القدس ويحكم العالم بوصفه **حَكَماً عَدْلاً**، **وسوف يتزوج وينجب أولاداً ويموت ويصلي عليه المسلمون صلاة الجنازة ويدفنونه بجوار النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنورة**، في شـــبه

جزيرة العرب حيث النبي، صلى الله عليه وسلم، مدفون. وعندما يعود عيسى، عليه السلام سيكسر الصليب، وبذلك تكون نهاية النصرانية، ديانة الصليب، وسوف يقتل الخنازير.

"روى أبو هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: والذي نفسي بيده ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً. فيكسرَ الصليب ويقتلَ الخنزير ويَضَعَ الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

(صحيح البخاري).

لا يمكن تفسير كلمة 'الخنزير' تفسيرً حرفياً لأن هذا التفسير لا يتفق مع سياق النص. وإنما يشير استعمال كلمة الخنزير إلى غضبٍ إلٰهيٍّ عظيم. ويطرح هذا الكتاب السؤال التالي: مَنْ هُمُ الخنازير الذين سيقتلهم المسيح عندما يعود ؟ مَنْ هُمُ الذين سيكون المسيح غاضباً عليهم ؟ أَهُمُ الذين حاولوا أن يصلبوه ؟

إن لدى المسلمين معلوماتٍ دقيقةً عن اللحظة التي سيعود فيها سيدنا عيسى، المسيح، عليه السلام. إنها اللحظة التي يكون فيها ماء بحر الجليل قد أوشك على الجفاف أو يكون قد جف:

(... في هذه اللحظة بالذات سيرسل الله، سبحانه وتعالى، المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين. واضعاً كفَّيه على أجنحة ملكين. إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات. ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه. فيطلبه (يطلب الدجّال) حتى يدركه بباب لد. فيقتله. ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه. فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله

يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم علـــى بحـــيرة طبريـــة. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. **(صحيح مسلم)**

إن منسوب الماء في بحر الجليل (ويسمى أيضاً بحيرة طبرية أو بحيرة كنيرت) الآن أدنى مما كان عليه في أي وقت مضى في التاريخ كله، وهذا الماء يتناقص باستمرار لأن حكومة إسرائيل اليهودية–الأوروبية تأخذ من هذه البحيرة من الماء أكثر مما تـــستطيع الطبيعة أن تضع فيها. فالمسألة بهذه البساطة! وعندما يجف الماء ولا يبقى في البحيرة ماء صالح للشرب يبلغ اليهود عندئذ الدرجة العليا من استراتيجيتهم الإجمالية لجعل العرب يذعنون للحكم اليهودي في الأرض المقدسة. ومعنى الإذعان عبادة المسيح الدجّال بدلاً من عبادة الله، سبحانه وتعالى، وسيضطرون إلى فعل ذلك لأخذ الماء من مصانع تكرير ماء البحر التي ستبنيها إسرائيل. فالعرب سيكونون فقراء جداً لا يستطيعون شراء الماء.

سيوضِّح هذا الكتاب أن كل ما يجب على اليهود أن يفعلوه لقياس الوقت الباقي قبل القضاء عليهم نهائياً هو أن يراقبوا منسوب مياه بحر الجليل. وستكون اللحظة التي يرقبونها، والتي سترسلهم إلى نصرهم النهائي بحسب استراتيجيتهم، هي تلك اللحظـــة التي يعود فيها المسيح الحقيقي، ويقضي الله في النهاية على اليهود! (انظر الملحق الأول للاطلاع على أخبارٍ تتعلق بمياه بحر الجليل).

هيكل الكتاب

يبدأ الكتاب بدايةً ملائمةً، 'بِسِرِّ' القدس – **'القرية'**، كما ورد ذكرهـــا في القرآن. ربما كان السبب في هذه المعالجة المُبهمة التي عولج بها الموضوع في الإسلام هو أن القدس قدِّرَ لها أن تؤدي دوراً حاسماً مركزياً في آخر الزمان.

يقدم الفصلُ الثالثُ الموضوعَ من خلال الإشارات القرآنية إلى الأرض المقدسة.

ويصف الفصلُ الرابعُ إعلانَ القرآن أن الأرض المقدسة أُعطيت لليهود. ولكن القرآن يمضي فيكشف النقاب عن أن اليهود حُرِموا بعد ذلك مراراً وتكراراً من دخول الأرض المقدسة أو أُخرِجوا منها. وكان هذا أيضاً هو مصير النصارى عندما احتلـــوا مدينة القدس والأرض المقدسة لفترة قصيرة من الزمن.

وهذا يقودنا إلى الفصل الخامس الذي يرد فيه وصف الشروط الإلـــٰهية الـــتي وُضِعَتْ لوراثة الأرض المقدسة – وهي شروط انتهكها اليهود مراراً وتكراراً. وكـــان آخر انتهاك لهذه الشروط عندما كفروا بعيسى، عليه السلام، ورفضوا الاعتراف بأنـــه المسيح، وتبجحوا بأنهم صلبوه. عند ذلك أُخرِجوا من الأرض المقدسة وحُرِمـــوا مـــن العودة إليها أبداً حتى يخرج يأجوج ومأجوج ويمكّنوهم من العودة.

في الفصل السادس نورد السرد القرآني لإخراج بني إسرائيل مراراً وتكراراً من الأرض المقدسة نتيجة لانتهاكاتهم هذه الشروط الإلـــٰهية. ويتبع ذلك منطقياً أن يثبت الفصلُ السادسُ موقفَ القرآن الكريم، القائل إن التدخل الإلـــٰهي والعقاب الإلـــٰهي لابد من أن يأتيا مرة أخرى لأن اليهود ينتهكون مرة أخرى الشروط الإلـــٰهية لوراثة الأرض المقدسة .

ويسوقُ الفصلان الأول والثاني من الباب الثاني حُجَجاً سياسية واقتصادية قوية تثبت حقيقة أن الهيكل السياسي العلماني والاقتصاد العلماني لدولة إسرائيل يتناقـــضان تناقُضاً بيِّناً مع مِلَّةِ إبراهيم، عليه السلام، ومن ثم يشكلان انتهاكات صارخة للشروط الإلـــٰهي ة لوراثة الأرض المقدسة ، الوارد ذكرها في الجزء الأول. وقد وُضِع هـــذان الفصلان في الجزء الثاني لتمكين القارئ من متابعة القصة دون تأخير كمـــا يـــسردها الكتاب بتتابع.

ويحاول الفصل السابع شرح آثار تغيير القبلة من القدس الـشريف إلى مكـة المكرمة. وهذا التغيير لا يمنع أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، بأي وجهٍ كان مـن أداء مهمتها الإلـٰهي ة وهي القضاء على دولة إسرائيل الدجّالة.

بعد الفصل السابع، تكرَّس الفصول الباقية من الجزء الأول من الكتاب لشرح وجهة النظر الإسلامية المتصلة بمصير القدس. ويوجد فيها الإعلان القرآني أنه عنـدما يأتي آخر الزمان ويكون قد فات الأوان على اليهود ليلتمسوا رحمـة الله، فإنـه هـو سبحانه وتعالى سيعيد اليهود إلى الأرض المقدسة ليذوقوا العذاب الأليم. ولتحقيق هذه الغاية خلق الله، سبحانه وتعالى، مَنْ يسومون اليهود سـوء العذاب (حـتى اليـوم الآخِر). فقد خلق اللهُ **المسيح الدجال**، ويأجوج ومأجوج، **ودابة الأرض** ليوقعـوا بهم هذا العذاب.

وستأتي النهاية الكبرى حين يعود عيسى، عليه السلام، ويقتل **الدجال**، وحـين يقضي الله على يأجوج ومأجوج. وقال النبي، صلى الله عليـه وسـلم، إن جيشاً مسلماً سيخرج في ذلك الوقت من خراسـان (التي تـشكل أفغانـستان قلبها)؛ ولن يكون في وسع أحد أن يوقفه حتى يصل إلى القدس. وهكـذا سـتحرَّر الأرض المقدسة وتعود مِلَّة إبراهيمَ الصحيحة إلى سيطرتها على الأرض المقدسة.

سيحكم المسيحُ 'الحقيقيُّ' بعدئذٍ العالمَ من القدس، تماماً كما كـان اليهـود يعتقدون. ولكنهم لن يشاركوا في تحقيق هذه النبوءة لأن **الدجال** قد خدعهم. ونتيجة لهذه الخديعة آمنوا **بالدجال** واتَّبعوه هو بدلاً من المسيح الحقيقي.

مـــقدمـــة

الفصل الثاني

سر القدس

'القرية' كما وردت في القرآن

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ {95} حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ {96} ﴾

(الآيتان **95-96** من سورة الأنبياء).

(عندما يفعل يأجوج ومأجوج ذلك تكون بيدهم السيطرة ُعلى العالم ويحكمون العالم بالنظام العالمي الجديد – نظام يأجوج ومأجوج).

إنه غريب وغامض ولغز على الأقل أن اسم المدينة، 'القدس' أو 'بيت المقدس'، لم يرِد في القرآن! ومع ذلك فإن كثيراً من الأنبياء المذكورين في القرآن لهم صلات بالمدينة المقدسة. ويوجد فيها البيت الوحيد من بيوت الله الذي بناه نبيٌّ من أنبياء الله، سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى البيتين اللذين بُنِيا في مكة والمدينة. ليس فقط أن بيت الله (المسجد الأقصى) قد ذُكِرَ في القرآن، ولكنْ كذلك ذُكِرَ الإسراءُ والمعراجُ الذي أسْرِيَ فيه بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى القدس وإلى ذلك المسجد. ولعل السبب في هذه المعاملة الغامضة للموضوع يرد في وجهة النظر الإسلامية القائلة إن القدس قُدِّرَ لها أن تقوم بدور حاسم ومركزي في العصر الأخير. ولعله كان ثمة حاجة إلٰهية إلى لف اسم المدينة وكذلك مصيرها، بسحابة مقدسة لن تُرفع حتى يحين الوقت المناسب، وإن القدس جاهزة ومستعدة للقيام بدورها في نهاية التاريخ.

ولعل هذا يفسِّرُ ما يكاد يكون غياباً تاماًّ في الأدب الإسلامي لموضوع مصير القدس، وقد أشار إليه الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي حين قال متحـــسراً: "**من سوء الحظ أنه لا توجد كتابات إسلامية في هذا الموضوع**" (انظر الصفحة xxi). الحقيقة هي أنه لا يمكن أن يكون أحد قد كتب في هذا الموضوع حتى يحين وقت رفع الغمامة. لقـــد كُتِبَ هذا الكتاب نتيجة الاعتقاد بأن الغمامة تُرفع الآن.

عندما كفر اليهود بعيسى، عليه السلام، و لم يعترفوا بأنه هو المسيح وتبجحـــوا بعد ذلك بأنهم قتلوه (انظر الآية 157 من سورة النساء 4) ظلوا يعتقدون بـــأن مجـــيء المسيح المنتظر (ومعه عودة العصر الذهبي للديانة اليهودية) ما زال منتظَراً. واعتقـــدوا بأن عودة العصر الذهبي تتطلب فيما تتطلبه حدوث الأشياء التالية:

- أن يتم تحرير الأرض المقدسة من سيطرة الأغيار [غير اليهود]،
- أن يعود اليهود إلى الأرض المقدسة من شتاتهم ليستعيدوها،
- أن تستعاد دولة إسرائيل إلى الوجود،
- أن يستعاد الهيكل (أو المسجد) للعبادة اليهودية لإلـــٰـه إبراهيم،
- أن تصبح إسرائيل في نهاية المطاف '**الدولة الحاكمة**' في العالم بطريقـــة تشبه الحكم الذي تحقق في عهد داود وسليمان، عليهما السلام.
- أن يحكم ملكٌ يهوديٌّ، سيكون هو المسيح، العالم من عرش داود، عليه السلام، أي من القدس بوصفه حاكماً لإسرائيل، وفي النهاية
- سيكون حُكمُهُ مؤبداً.

قال النبي، صلى الله عليه وسلم، إن من الآيات الكبرى لليـــوم الآخـــر أن الله، سبحانه وتعالى، سيخدع اليهود ويرسل عليهم شخصاً ينتحـــل شخـــصية المـــسيح ويقودهم ليعتقدوا أن العصر الذهبي قد عاد. ولكن هذا '**المسيح الدجال**' ســـيقودهم،

بدلاً من ذلك، بخداعه المتقن إلى عذاب لم يعذِّبه الله أحداً من خلقه. وقد خلـــق الله، سبحانه وتعالى، المسيح الدجّال (أو **الدجّال**)، الذي يسميه النـــصارى **عدوَّ المسيح** أو Anti-Christ بالإنكليزية، وسيطلقه في العالم في آخر الزمان لينجز مهمته. والآن انظر فيما يلي:

- ✓ الأرض المقدسة 'حُرِّرَت' (من منظور يهودي) من حكم 'الأغيار، المسلمين عندما احتل الجنرال البريطاني، أللنبي، القدس وانتزعها من حكم المـــسلمين الأتراك في عام 1917؛
- ✓ اليهود الإسرائيليون 'عادوا' الآن إلى الأرض المقدسة ليستعيدوها بعد نفيهم منها، بأمر الله، الذي دام 2000 سنة. وقد حدث هذا تماماً كمـــا أعلـــن القرآن قبل 1400 سنة أنه سيحدث في '**آخر الزمان**'. ويبدو من القَـــدَر المحتوم أن اليهود القوقازيين الباقين، في الولايات المتحدة وغيرها، سيصلون إلى هناك قريباً؛
- ✓ إسرائيل 'استُعيدَت' في عام 1948 وتدَّعي أنها دولة إسرائيل القديمة؛
- ✓ يبدو أن إسرائيل، المدججة بالأسلحة النووية والنووية–الحرارية مقدَّرٌ لها أن تستغل **الانتفاضة** الفلسطينية (التي قامت باستفزاز متعمد مـــن شـــارون)، وهجومَ الموساد على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر (الذي أوجَـــدَ ظروفـــاً مواتية لإسرائيل) لشن حربٍ **تتحدى** فيها إســـرائيلُ الولايـــاتِ المتحـــدةَ الأمريكية وأوروبا والأممَ المتحدة وسائر العالم، للاستيلاء علـــى كامـــل المنطقة التي توجد فيها. ومن المرجَّح أن تشهد هذه الحـــرب الإســـرائيلية توسُّع إقليم إسرائيل ليشمل المساحة الموعودة في التوراة، أي من نهر مـــصر إلى نهر الفرات. **وبنجاح إسرائيل في هذا التحدي للعالم بأســـره، بمـــا في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، وبانهيار الدولار الأمريكي والاقتصاد**

الأمريكي، كما هو متنبَّأ به، ستكون إسرائيل اليهودية–الأوروبيـــة قـــد تحررت في النهاية من تبعيتها أوَّلاً لبريطانيا، ثم للولايات المتحدة الأمريكية. وستحل دولة إسرائيل اليهودية–الأوروبية في النهاية محل الولايات المتحـــدة الأمريكية وبريطانيا فتصبح هي الدولة العظمى في العالم عسكرياً وماليـــاً، ومن ثم تدَّعي لنفسها الحق في '**قيادة**' العالم، والسيطرة على العالم على نحو لم تحقق مثله بريطانيا ولا الولايات المتحدة الأمريكية؛

✓ ثمَّ يحدث ما يُتنبَّأ به من هدم **المسجد الأقصى** وإعادة بناء الهيكل اليهودي مكانه. فنبوءة النبي ناثان، الذي قال "إن المســـــيح سيبني بيتـــاً للـــرب" (أخبار الأيام الأوَّل 17: 11-15)، توحي بتدمير **المسجد** القائم حالياً.

كل هذا لا بد من أنه يبدو لليهود كأنه تحقيق للنبوءة المتعلقة بعـــودة العـــصر الذهبي حين كان سليمان، عليه السلام، يحكم العالم من القدس. غير أن هذا الكتـــاب يرى أنه لا يمكن أن يكون أيٌّ من هذا قد تحقق لولا تدخل **الدجّال**، منتحل شخـــصية المسيح. ولذلك فإن كل ما ذُكِرَ أعلاه خداع. فدولة إسرائيل المقدسة (التي أنـــشأها النبي سليمان أول مرة) لم تُستَعَدْ في الحقيقة. وإنما أقيمت إسرائيل مزيفة مكان إسرائيل الحقيقية. ومن الواضح لعينَي هذا الكاتب أن الغمامة رُفِعَت الآن، وأن '**آخر الزمان**' قد جاء و لم يعد ثمة مجال لرجوع اليهود إلى الوراء. وربما كان هذا هو السبب الـــذي مكَّن من كتابة هذا الكتاب الآن. القرآن يفسِّر كل ما ذُكِرَ أعلاه. ولكن التفسير ليس واضحاً للجميع. غير أنّا أوضحنا كثيراً مـــن ذلـــك في كتابنـــا: ***The Religion of Abraham and the State of Israel – A View from the Qur'an"*** (**مِلَّة إبراهيمَ ودولة إسرائيل – وجهة نظر من القرآن**).

لقد أشار القرآن إلى القدس مراراً وتكراراً بكلمة '**البلدة**' أو '**القرية**' لكـــن دون أن يذكرها بالاسم. ويبدو أن هذا كان جزءاً من غمامة إلـــٰهـــية تلفُّ موضوع دور القدس في آخر الزمان. فقد أشار القرآن، مثلاً، إلى المناسبة التي عبد فيها اليهـــودُ

الإسرائيليون العجلَ بينما ذهب نبيُّهم، موسى، عليه السلام، إلى طور سينين إذ نـاداه رب العالمين. وحذر القرآن بقوله إن عبادة غير الله، سبحانه وتعالى، شِركٌ بالله سيبوء من يفعله بعذاب من الله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ {152} وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {153}﴾

(الآيتان 152-153 من سورة الأعراف 7).

ويواصل القرآن وصف الحدث الذي وقع حين كان الإسرائيليون ما زالوا في سيناء، وقبل أن يسمح لهم بدخول الأرض المقدسة، فيقول:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {160}﴾

(الآية 160 من سورة الأعراف 7).

كان بعد ذلك أن أشار القرآن إلى القـدس ببـساطة وبغمـوض بكلمـة 'القرية':

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {161}﴾

القـــدس في القـــرآن

(الآية 161 من سورة الأعراف 7).

توجد إشارة أخرى أكثر إنذاراً وغموضاً إلى القدس بكلمة '**قريـة**' في الآية التالية من القرآن الكريم:

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ {95} حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ {96} ﴾

(الآيتان 95-96 من سورة الأنبياء).

إذَنْ، عندما ينسلون من كل حدب، وينتشرون في كل صوبٍ، يسيطرون، في الواقع، على العالم كله ويحكمون العالم في النظام العالمي ليأجوج مأجوج.

للتحقُّق من هوية '**القريـة**' المشار إليها أعلاه تفحَّصنا كل المواد الموجـــودة في القرآن والأحاديث النبوية التي لها صلة بيأجوج ومأجوج. ووجدنا **قرية** واحـــدةً لهـــا صلة بيأجوج ومأجوج، وهي القدس (**انظر الفصل العاشر**). ومن هنـــا اســـتنتجنا أن **القرية** المشار إليها في الآية القرآنية المذكورة أعلاه هي القدس!

وعندما نعرف أن القدس هي '**القريـة**'، يتضح لنا أن الغمامة التي تظلل القدس في القرآن لن تنقشع عنها إلا عندما تُفتَحُ يأجوج ومأجوج، وعندما ينسلون أخيراً من كل حدب، وينتشرون في كل صوب (أي يسيطرون على العالم بالنظام العالمي الجديد ليأجوج ومأجوج). وتؤكد عودة اليهود الإسرائيليين إلى الأرض المقدسة أن يـــأجوج ومأجوج قد فُتحت. وأنهم **فعلاً قد نسلوا من كل حدب، أو انتشروا فـي كل صـوب**، وانهم لذلك يسيطرون على العالم فعلاً. وإن النظام العالمي الذي يحكم العالم اليوم هـــو نظام يأجوج ومأجوج. بل إن يأجوج ومأجوج هم في الواقع الذين مَكَّنوا اليهود من العودة إلى الأرض المقدسة.

أصبح الآن من الممكن لنا أن نتوقع التصميم العظيم الذي سيـــستمر **المسيح الدجّال** من خلالــــــه في إقناع اليهود بأنه يحقق لهم عودة العصر الذهبي؟ يبدو أن هذا

التصميم العظيم قد بدأ فعلاً حين انطلق **الدجال** من بريطانيا (**انظر حديث تميم الداري في صحيح مسلم**) لتحويل الحضارة الأوروبية إلى حضارة ما بعد النصرانية، وهي حضارة ملحدة أساساً، وإعطائها (**كما أُعطِيَ ذو القرنين**) القوة لتحقّق أي هدف تختار السعي لتحقيقه. ثم شهدت الخطة إنشاء الحركة الصهيونية؛ والصهيونية بدورها أنشأت دولة إسرائيل. ويبدو أن الخطة تشتمل على إحكام السيطرة اليهودية في النهاية على كامل المنطقة التي توجد فيها الأرض المقدسة، وستكون هذه خطوة للسيطرة على العالم بأسره، التي يجب أن يقدمها **الدجال** لليهود ليؤمنوا به ويعترفوا بأنه هو المسيح الحقيقي. ويجب أن يكون في صميم التصميم العظيم للمنطقة السيطرة على الثروة ومصادر المياه. وقد شرح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، الصلة بين **الدجال** والربا، وبين يأجوج ومأجوج والماء!

عاد اليهود الإسرائيليون إلى الأرض المقدسة. وما كانت هذه العودة لتكون ممكنة من دون الحضارة الغربية الحديثة (التي لعبت فيه بريطانيا أبرز دور). ومن هنا يتضح أيضاً ليس فقط أن **الدجال** انطلق من جزيرة بريطانيا، بل إن يأجوج ومأجوج أيضاً موجودون في الحضارة الأوروبية.

من 'القدس' إلى 'الأرض المقدسة'

يزداد سر القدس في القرآن تعقيداً بكون القرآن الكريم يشير أحياناً إلى مدينة 'القدس' كمرادف لعبارة 'الأرض المقدسة' (كما ورد في الآيتين 95- 96 من سورة الأنبياء المقتبستين أعلاه)؛ ثم يمضي فيشير إلى 'الأرض المقدسة' بنفس الطريقة الغامضة التي أشار بها إلى 'القدس'. فيقول القرآن، مثلاً، في سورة سورة الإسراء (بني إسرائيل)، إن مصير بني إسرائيل أن يعيثوا فساداً (أي فساداً مدمِّراً) في الأرض المقدسة في مناسبتين. ولكن القرآن لم يُشِر إلى الأرض المقدسة باسمها. وإنما أشار إليها ببساطة، ومن قبيل اللغز، بكلمة 'الأرض':

القـــدس في القـــرآن

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً {٤} ﴾

(الآية 4 من سورة الإسراء 17).

وعندما يتناول القرآن الكريم الموضوع الهام جداً – موضوع الشروط الإلـٰهية لوراثة الأرض المقدسة، يشير إليها ببساطة، ومن قبيل اللغـز، بكلمـة 'الأرض'، لا 'الأرض المقدسة'.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ {105} ﴾

(الآية 105 من سورة الأنبياء 21).

وأخيراً يشير القرآن إلى لحظة من الزمن يخرج الله، تعالى، فيها دابة الأرض.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ {82} ﴾

(الآية 82 من سورة النمل 27).

وما 'دابة الأرض' هذه إلا آية من آيات آخـر الزمـان كالدجال ويـأجوج ومأجوج. ومن الواضح أن كلمة 'الأرض' في عبارة 'دابة الأرض' ما هي إلا 'الأرض المقدسة'. ويتضح هذا من الآية السابقة التي يعيِّنُ فيها القـرآن بوضـوح موضـوع خطابه، إذ يقول:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {76} ﴾

(الآية 76 من سورة النمل 27).

وهكذا عندما يستعد الله، سبحانه وتعالى، ليبدأ عقاب اليهود، يُخـــرج لهـــم 'دابةً' من 'الأرض المقدسة'. ومن الواضح أنه يمكن تعريف هذه 'الدابة' بأنها ما هـــي إلا دولة إسرائيل اليهودية الحديثة.

الفصل الثالث

بداية قصة القدس في القرآن:

القدس والأنبياء

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ {71} ﴾

(الآية 71 من سورة الأنبياء 21).

إبراهيم، عليه السلام

تبدأ قصة القدس والأرض المقدسة في القرآن (وهي قصة حقيقية وليست خرافة) بسيدنا إبراهيم، عليه السلام، نبي الله، سبحانه وتعالى. فقد حطم الأصنام في معبد قومه (في أور ببلاد ما بين النهرين، العراق الحديث)، ولكنه ترك كبير الأصنام واقفاً لكي يقنع قومه الوثنيين بزيف عبادة الأصنام (الآيات 57-63 من سورة الأنبياء 21). ولو قُدِّرَ لسيدنا إبراهيم، عليه السلام، أن يعود إلى العالم اليوم ويكرر ما فعله آنذاك لشجبت فعلَهُ هذا الحكوماتُ العلمانيةُ ومن يُسَمَّوْنَ بعلماء الإسلام التابعين لها واعتبروه إرهاباً ثقافياً أو تدميراً لتراث بابل الثقافي؛ ولفرضت الأمم المتحدة عقوبات على أي حكومة تؤويه. وستعامل الحكومات العلمانية ومن يُسَمَّون بعلماء الإسلام التابعين لها النبيَّ محمداً صلى الله عليه وسلم معاملةً لا تختلف عن ذلك لو عاد هو الآخر وكرر تدميره للأصنام التي كانت في الكعبة.

ردَّت أور على تدمير أصنامها وعلى الاستهزاء الذي تعرضت له الوثنية بغضب شديد. وعاقبت إبراهيم، عليه السلام، بأن بنت له محرقة كبيرة ورمته في النار. ولكن

يد الله، سبحانه وتعالى، تدخلت فأمر النار أن تكون "**برداً وسلاماً عليه**" وأن "**تحميه من الأذى**" (الآيتان 68-69 من سورة الأنبياء 21). ثم أعلن الله، سبحانه وتعالى، أنه نجاه ولوطاً إلى الأرض التي بارك حولها للعالمين، أي إلى الأرض المقدسة:

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ {71} ﴾

(الآية 71 من سورة الأنبياء 21).

بهذه الآية ورد مفهوم الأرض المقدسة أو الأرض المباركة في القرآن لأول مرة. فما هي أهمية ذلك؟ لماذا اختار الله العزيز الحكيم أرضاً معيَّنةً من دون أراضي الكرة الأرضية ليجعلها أرضاً مباركة؟ ولماذا هدى نبييه ورسوليه إبراهيم ولوطاً، عليهما السلام، إلى الهجرة إلى تلك الأرض المقدسة؟ لا يوجد سوى جواب واحد على هذين السؤالين. لقد اتخذ الله العزيز الحكيم سيدنا إبراهيم، عليه السلام، خليلاً له من دون كل البرية (الآية 125 من سورة النساء 4). اختبر الله، سبحانه وتعالى، إبراهيم، عليه السلام، بأشد المحن والتجارب واجتازها إبراهيم، فجعله للناس إماماً (الآية 124 من سورة البقرة 2). ويُستنتج من ذلك أنه لا يوجد إلا **حقٌّ** '**واحد**' ومن هذا **الحق** يخرج **دين** 'واحد' للناس جميعاً —ذلك هو **مِلَّة إبراهيمَ**، عليه السلام. ولذلك يوجد **دين حق واحد فقط**، وكل الأديان الأخرى باطلة، والدين **الحق** هو دين إمام الناس، أي هو مِلَّةُ إبراهيمَ، عليه السلام. لا يستطيع أيُّ كاهنٍ أو رِبِّيٍّ أن يتحدّى ذلك! ومع ذلك، عندما نقول هذا القولَ يتَّهمنا الرِّبِّيُّ بالشوفينية!

عندما اختار الله أرضاً واحدةً وجعلها أرضاً مقدسةً مباركةً، وهدى إبراهيم، عليه السلام، إلى الهجرة إلى تلك الأرض، كان المقصد الإلٰهي أن تكون تلك الأرض هي '**الاختبار الصادق**' **للحق**. ولا يمكن لِمِلَّةٍ غير مِلَّة إبراهيمَ أن تبقى في الأرض المقدسة. وستُطرَدُ كل الملل الأخرى. بعبارة أخرى، إن **الحق** ينتصر دائماً انتصاراً مؤزَّراً على **الباطل** في هذه الأرض، ولا يمكن للتاريخ أن ينتهي قبل أن يتحقق انتصار **الحق** على **الباطل** في تلك الأرض! فالتَّقوى، وطاعةُ الله، والصلاح، والإسلام لله،

سبحانه وتعالى — كما يسلم العبد لإرادة سيده — هي في الواقع جوهر **الحــق** بذاتــه ومن ثّمَّ فهي مِلَّة إبراهيمَ، عليه السلام. فهل **الحــق** هــو النــصرانية أم اليهوديــة أم الإسلام؟ القدس تَرُدُّ الآن على هذا السؤال بالذات! إن مصير القدس هــو أن تثبــت **الحق**. ومن المؤكد أن هذه واحدة من النقاط الرئيسية التي نطرحها في هذا الكتاب.

حيث إن الله العزيز الحكيم أمر إبراهيم ولوطاً، عليهما الــسلام، بــالهجرة إلى الأرض المقدسة ليسكنا فيها، معنى ذلك أنهما سيقيمان هما وذريتهما في تلــك الأرض ما لم يكن الله، سبحانه وتعالى، يريد أن يأمرهما بالهجرة بعد ذلك إلى مكــان آخــر. فهي إذَنْ أرضُهُم.

غير أن السؤال الذي يجب أن يُطرَحَ هو: هل كانت الــدعوة إلى الإقامــة في الأرض المقدسة غير مشروطة؟ وهل تظل الدعوة قائمة إن كانت ذريتهما ستتخلى عن مِلَّةِ إبراهيمَ، عليه السلام، وتصبح ملحدة، أو تشتغل بالبغاء واضطهاد الآخرين؟ وهل ستظل الدعوة قائمة إذا أقام اليهود في الأرض المقدسة دولةً علمانيةً تعلن أن '**السلطة العليا**' للدولة وليست لإلــــٰه إبراهيم، وأن القانون الأسمى هو قانون الدولة لا قانون الله؟ وهل ستظل قائمة إذا أحلَّت الدولة ما حرَّم الله؟ يجدر بالقــارئ أن يلاحــظ أن إلـــــٰه إبراهيم حرَّم اقتراض المال وإقراضه بالفائدة،أي حرَّم الرِّبــا. وبــدَّل اليهــودُ التوراةَ ليُحِلّوا أخذ الرِّبا من غير اليهود بإقراضهم المال بالفائدة. ولا يقف الأمر عنــد تحليل الربا في الأرض المقدسة هذه الأيام وإنما أُحِلَّت أشياء أخرى كثيرة حرَّمهــا الله، سبحانه وتعالى،.

ثانياً، هناك سؤالٌ آخر لا يقل عن ذلك أهميةً: إن كان الله، سبحانه وتعالى، قد بارك في هذه الأرض لكل الناس، ألا يعني ذلك أن كل من اتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيمَ بــصدق وإخلاصٍ من الناس كافةً له الحق أيضاً في أن ينال هذه البركات؟ أليس هــذا بلاغــاً للناس كافَّةً؟ فمن أين أتى ادِّعاء اليهود بالحق الحصري في ملكية الأرض المقدسة؟

القدس في القرآن

وبينما نحاول في هذا الكتاب أن نردَّ على هذه الأسئلة الهامة سيفيدُ القارئَ كثيراً أن يتأمل في هذا الحوار بين إبراهيم، عليه السلام، وربه سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ {124}﴾

(الآية 124 من سورة البقرة 2).

من بين الأمور التي يعتبرها القرآن ظلماً "إخراج الناس من ديارهم والأرض التي عاشوا فيها" وأن يكون إخراجهم دون سبب عادل، (بل دون أي سببٍ إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد".

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ... {40}﴾

(الآيتان 39-40 من سورة الحج 22).

هذه هي بالضبط الطريقة التي أنشئَت بها دولة إسرائيل اليهودية.

غير أن القرآن الكريم خصَّ بأشدِّ العقاب الظلمَ الذي يقع بتحريف كلام الله وافتراء الكذب على الله، سبحانه وتعالى،. وهذا بالضبط ما فعله اليهود عندما أعادوا كتابة التوراة وحرَّفوها بتغيير كلام الله عز وجل.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {21}﴾

(الآية 21 من سورة الأنعام 6).

يُنَبِّهُ كتابنا المعنون ***"The Religion of Abraham and the State of Israel"*** (مِلّة إبراهيمَ ودولة إسرائيل) إلى تحريفات كثيرة وقعت في التوراة.

موسى، عليه السلام

المرة الثانية التي ورد فيها ذكر الأرض المقدسة في القرآن الكريم كانت بعد ذلك بنحو 500 سنة، حين حثَّ موسى، عليه السلام، بني إسرائيل على القتال للسيطرة على الأرض المقدسة. وكان قد قادهم لتوِّه وأخرجهم من العبودية في مصر وحدثت المعجزة الإلـٰهية إذ انشق البحر لهم فمرّوا وأغرق أعداءهم. ثم كان القتال سيبدأ من سيناء لتحرير الأرض المقدسة:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ {21}﴾

(الآية 21 من سورة المائدة 5).

هذه الآية الكريمة تؤكد ما ورد ضمناً في الآية 71 من سورة الأنبياء، 21، المذكورة أعلاه (الصفحة 36). فالإسرائيليون، لكونهم ذرية إبراهيم، ولأنهم كانوا مازالوا يتَّبعون مِلَّة إبراهيمَ بقيادة نبي الله موسى، عليه السلام، كان لهم الحق في العيش في الأرض المقدسة. فقد كانت أرضهم!

بعد فترة من وفاة موسى، عليه السلام، تمكَّنَ الإسرائيليون من دخول الأرض المقدسة. ولكن القبائل المعادية التي كانت تعيش في الأرض المقدسة وما حولها كانت تضايقهم باستمرار. بل إنهم اضطُرّوا أحياناً إلى الهرب نجاةً بأرواحهم. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، وإلى رغبتهم في أن يكون لهم مَلِكٌ يقودهم في القتال لإحكام سيطرتهم على الأرض المقدسة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ

{243} وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {244} مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {245} أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ {246} ﴾

(الآيات 243-246 من سورة البقرة 2).

النبي الذي كلمهم فيما ذُكِرَ أعلاه هو صموئيل، عليه السلام. وكان ردُّهُم عليه:

﴿ . . .قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا . . . {246} ﴾

(الآية 246 من سورة البقرة 2).

أثبت هذا الردُّ بقولهم وبألسنتهم هم أنفسهم مبدأ أن من حق الشعب أن يقوم بحرب على من اضطهدوه وأخرجوه من دياره والأرض التي عاش فيها. وبينما يصحُّ هذا القول على كل الأراضي، فهو أصَحُّ ما يكون على الأرض المقدسة. فكيف يمكن إذن لدولة إسرائيل أن تُنشَأَ على أساس سياسة إخراج شعب يعبد إلٰه إبراهيم من دياره والأرض التي عاش فيها، ثم تحرمه بكل عنادٍ من العودة إلى دياره لمدة تزيد على خمسين سنة؟

يوشع، عليه السلام

بعد أن أُنقِذَ الإسرائيليون من مصر باركهم الله (مـــرة أخـــرى) بوراثة الأرض المقدسة بأمرٍ منه. ويخبرنا الكتاب المقدس أن يوشـــــع هو الذي قـــادهم إلى الأرض المقدســــــــــة. و لم يؤكد القرآن الكريم و لم يَنفِ ما قاله الكتاب المقدس من أن اسم الشخص الذي قادهم هو يوشع.

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ {137})

(الآية 137 من سورة الأعراف 7).

كان اليهود قد رفضوا قبل ذلك أن يقاتلوا لدخول الأرض المقدسة حين أمرهم موسى، عليه السلام، بالقتال. وكان بينهم رجلان آنذاك حثّاهم علىالقتال لـــدخول الأرض المقدسة. ويقول مفسِّرو القرآن إن يوشع كان أحدهما:

﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {23} ﴾

(الآية 23 من سورة المائدة 5).

سليمان، عليه السلام

ثم أشار القرآن مرة رابعة إلى الأض المقدسة، ووصفها بعد ذلـــك بنحـــو 500 سنة أخرى، حين تكلم العزيز الحكيم عن مملكة سليمان، عليه السلام، علـــى النحـــو التالي:

القدس في القرآن

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ {81} ﴾

(الآية 81 من سورة الأنبياء 21).

نتيجةً لهذه المباركة الإلـٰـهية أصبحت دولة إسرائيل (المسلمة) التي كان يحكمها سليمان **الدولة الحاكمة** الوحيدة في العالم، وليس هذا فحسب، وإنما كانت أيضاً أعظم دولة عرفها التاريخ. وفي إسرائيل تحت حكم سليمان عاش بنو إسـرائيل عـصرهم الذهبي.

مـحـمـد، صلى الله عليه وسلم

أخيراً أشار القرآن للمرة الخامسة إلى الأرض المقدسة أو المباركة حين وصـف إسراء النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، من مكة المكرمة إلى القدس الشريف ومن ثَمَّ عرج إلى السماء:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ {1} ﴾

(الآية الأولى من سورة الإسراء).

المسجد **الأقصى** (الهيكل) عرَّفه النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بأنه **المسجد الأقصى**، **المسجد** الذي بناه النبي سليمان، عليه السلام، في القدس.

" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم: "لما كذبتني قريش لما أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**."**
(صحيح البخاري)

ومضى النبي، صلى الله عليه وسلم، فنهى عن شَدِّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة أماكن:

"روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال: **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام** (في مكـــة المكرمـــة)؛ و**مسجد رسول الله** (في المدينـــة المنورة)؛ و**المسجد الأقصى** (في القدس)."

(صحيح البخاري)

عن ميمونة مولاة النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها قالت:

يا رسول اللّه، أَفتِنا في بيت المقدس فقال رسول الله -صلى الله عليه وســـلم-: "**ائتوهُ فصلُّوا فيه**"، وكانت البلاد إذ ذاك حرباً، " **فإن لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيتٍ يُسرَجُ في قناديله**" (أي ابعثوا شيئاً من الدعم).

(سنن أبي داود)

دمر الجيش الروماني بقيادة الجنرال تيطس المسجد الأقصى (أو الهيكل الذي بناه سليمان، عليه السلام، في عام 70 للميلاد. وكانت أنقاضه ما زالت في مكانهـــا حين فتح جيش المسلمين القدس في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنـــه. وكـــان عمر هو الذي أمر ببناء المسجد الأقصى الحالي في موقع أنقاض الهيكـــل (المـــسجد) الأصلي، الذي بناه سليمان، عليه السلام.

الفصل الرابع

القرآن يعلن أن الأرض المقدسة، بما فيها القدس أُعطِيَتْ للإسرائيليين

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ {20} يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ {21} ﴾ (الآيتان 2-21 من سورة المائدة 5)

حاول دانيال بايبس في مقاله الذي نشره في صحيفة لوس أنجلس تايمز بعنوان "القدس تعني لليهود أكثر مما تعني للمسلمين" (***Jerusalem means more to Jews than Muslims***)، بتاريخ 21 تموز/يولية 2000، أن ينكر حق المسلمين في القدس بقوله "إن القدس، في جملة أمور أخرى، لم يرد ذكرها في القرآن أو الطقوس الدينية ولا مرة".

صحيح أن كلمة 'القدس' لم ترد في القرآن بالنص الحرفي، ولكن يبدو أن ذلك ما كان إلا لحكمة إلٰهية. فالقرآن يشير إلى القدس، بطريقة الألغاز (وهذا أمر مناسب)، بأنها 'قرية' أُهلِكَت، وإلى القوم الذين أُخرجوا، ثم حُرِموا إلى الأبد من العودة إلى تلك القرية ليستعيدوها. وسيظل التحريم قائماً إلى أن تُفتح يأجوج ومأجوج (انظر الآيتين 95-96 من سورة الأنبياء 21). يرد الاسم العربي للقدس، 'بيت

المقدس'، عدة مرات في الأحاديث الشريفة. ويرد اسمها الروماني، 'إيلياء'، في نبوءة هامة للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم.

من المدهش أن يختار الدكتور بايبس تجاهُلَ هذه الآيات القرآنية التي تعلن بلا غموض أن الله، سبحانه وتعالى، أعطى الأرض المقدسة (التي تشكل القدس قلبها النابض) لليهود. فعندما فك موسى، عليه السلام، اليهودَ من الأسر في مصر، وعبر بهم البحر بمعجزة ودخل سيناء، خاطبهم موسى، عليه السلام، وأمرهم بأن يقاتلوا ليستولوا على الأرض المقدسة. فقال:

﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ {21} قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ {22} قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {23} ﴾

(الآيات 21-23 من سورة المائدة 5) [انظر أيضاً الآيتين 32 و33 من سورة الرعد 13]

رَدَّ اليهود على موسى، عليه السلام، رداً مهيناً إلى حدٍّ أن الله، سبحانه وتعالى، حَرَّمَ عليهم، على الفور، دخول الأرض المقدسة:

﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ {24} قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {25} قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {26} ﴾ (الآيات 24-26 من سورة المائدة 5).

أكد القرآن ثانية في الواقع، في موضع آخر، أن الأرض المقدسة أُعطِيَت لليهود:

﴿ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً {103} وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً {104} ﴾

(الآيتان 103-104 من سورة الإسراء 17).

ويقول أيضاً:

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ {137} ﴾

(الآية 137 من سورة الأعراف 7).

من المدهش حقاً أن يحرص علماء اليهود والصهاينة على تجنُّب الاستشهاد بهذه البيانات الصريحة التي أعلن القرآن فيها أن الأرض المقدسة أُعطيت لليهود:

- "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ. . . . . "
- " وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ (المقدسة) . . . . . "

القدس في القرآن

➢ "وَأَوْرَثْـنَا الْقَـوْمَ[. . .]مَشَارِقَ الأَرْضِ (المقدسـة) وَمَغَارِبَهَا الَّتِـي بَارَكْنَا ."

فينبغي لقرّائنا الذين يبحثون عن الحقيقة في موضوع مصير القدس أن يتأملوا في هذا الامتناع من جانب علماء اليهود الأوروبيين والصهاينة والإسرائيليين عن الإشارة إلى القرآن في هذه المسألة. ويقدم هذا الكتاب تفسيراً لذلك السلوك الغريب. التفسير يكمن في امتناعهم عن الكشف عمّا فعلوه بالتوراة من تحريف للشروط الإلٰهية التي وضعها الله، سبحانه وتعالى، لوراثة الأرض المقدسة. والقرآن يكشف عن الزيف الوارد في التوراة المحرفة، فما هو هذا الزيف؟

الفصل الخامس

الشروط الإلــٰهية

لوراثة الأرض المقدسة

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ {105} ﴾

(الآية 105 من سورة الأنبياء 21).

إذا كان الدكتور بايبس على علم بهذه الآية الكريمة التي تقول إن الأرض المقدسة أُعطيت لليهود (ويستحيل أن يكون غير عارف بها) فينبغي له أن يَسألَ: أيُّ حقٍّ للمسلمين في أن ينتزعوا من اليهود ملكية الأرض (والمدينة التي هي قلبها النابض) التي أعطاها الله، سبحانه وتعالى، لهم؟ السبب الذي جعله لا يسأل هو أن السؤال كان سيفتح 'صندوق بندورا' [= مسألة لها بداية وليس لها نهاية]. فهو، أوَّلاً، لا يريد أن يوجِّهَ انتباه قُرّائه إلى القرآن الكريم، لا سيما بقدر ما يتناول مسألة اليهود والأرض المقدسة. ثانياً، الجواب على هذا السؤال موجود في آية أخرى من آيات القرآن الكريم يذكر الله، سبحانه وتعالى، فيها أن حق اليهود في القدس والأرض المقدسة '**مشروط** **بالإيمان والعمل الصالح**. والإيمان يعني – بالطبع – اتباع مِلَّة إبراهيمَ، عليه السلام، بصدقٍ وإخلاص:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ {105} ﴾

(الآية 105 من سورة الأنبياء 21).

القدس في القرآن

من الواضح أن كلمة 'الأرض'، عندما استخدمها القرآن كما هي واردة أعلاه، لم تُشِرْ إلى الكرة الأرضية بأسرها. ولو عنت ذلك لكان من الواضح أنه بيان كاذب– كاذب اليوم وكاذب في معظم أوقات التاريخ. فالذين يسيطرون على الكرة الأرضية اليوم والذين يجتمعون في قمة الألفية في نيويورك في الوقت الذي نكتب فيه هذا الفصل من هذا الكتاب إنما هم حثالة البشرية. إنهم أفضل ممثلين للنظام العالمي العلماني المعاصر، الخادع العفن، المضطهِد والملحِد أساساً. ويمثلون أيضاً النخبة التي تمص دماء الناس، التي استعبدت البشرية في عبودية اقتصادية متقنة وجديدة تقوم على الربا.

ولكن كلمة الله، سبحانه وتعالى، هي **الحق** دائماً. ولا يمكن أن تكون باطلاً! ومن هنا فإن كلمة 'الأرض' في هذه الآية لا تعني الكرة الأرضية بأسرها. فإلى أي أرض يشير إذن؟ الجواب موجود بوضوح في التوراة وفي الزبور. بل هو أيضاً في الإنجيل (وترجمات الإنجيل موضوعة بشكل لا يعرف معه المرءُ هذا الشيء). إنها 'الأرض المقدسة'، ولكن كل الترجمات تقول 'الأرض' (بمعنى الكرة الأرضية):

"12مَنْ خافَ الرّبَّ أراهُ أيَّ طريقٍ يَختارُ، 13فتَنعَمُ نفْسُهُ بالخيرِ، ونَسلُهُ يرِثُ الأرضَ (المقدسة). 14الرّبُّ يُرشِدُ أتقياءَهُ، ولهُم يُعلِنُ عهدَهُ."
(الزبور 25: 12 -14)

"11أمَّا الوُدعاءُ فيَرِثونَ الأرضَ، وينعَمُونَ في سلامٍ عميم.
(الزبور 37: 11)

"29أمَّا الصِّدِّيقونَ فيَرِثونَ الأرضَ ويَسكُنونَها إلى الأبدِ."

(الزبور 37: 29)

"طوبى للوُدَعاء، فإنَّهُم يرثون الأرض (المقدسة)."
(إنجيل متى، 5:5)

الدليل على أن كلمة 'الأرض' في هذا السياق تشير إلى الأرض المقدسة موجود في النص القرآني الذي يعلن أن الإسرائيليين سيُفسِدون في الأرض مرتين (والفساد هو الاضطهاد والشَّر):

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً {4}﴾

(الآية 4 من سورة بني إسرائيل 17).

أجمع المفسِّرون على أن كلمة 'الأرض' في الآية المذكورة أعلاه تشير إلى الأرض المقدسة! وهكذا نجد أن الكتب السماوية كلها تقول نفس القول: وهو أن الإيمان والعمل الصالح هما الشرط الذي يمكن به لليهود أن يملكوا الأرض المقدسة بصورة مشروعة ويسكنوا فيها.

ولكن شخصاً ما أعاد كتابة التوراة ليزيل هذا الشرط.

فكتب:

"6 فاَعلمْ ذلِكَ وتأكَّدْ أنَّ الرّبَ إلهَكَ لم يُعطِكَ هذِهِ الأرض الصَّالحة حتى تمتَلِكَها لأنَّكَ صالحٌ فأنتَ شعبٌ عنيدٌ."

(سفر التثنية، 6:9).

ربما لا يرى الدكتور بايبس من المناسب أن يحاول الدفاع عن هذا الكذب الهراء المُفتَرى على الله، سبحانه وتعالى، وعلى مِلَّةِ إبراهيم، عليه السلام. ولكـــن المـــرء لا يحتاج إلى كثير من المنطق، والحكمة الخُلُقِيَّة، والفراسة، ليكتشف أن المقولة المـــذكورة أعلاه مقولة كاذبة. إنها لا تتفق مع ذلك المعيار الكامل للعدل الذي لا بد من أن يأتي من كائنٍ إلـــٰهيٍّ كامل. إنها في الواقع تزوير! وقُصِدَ بها أن تلغي الشرط الإلـــٰهي – الإيمان والعمل الصالح – الذي فُرِضَ على اليهود لوراثة الأرض المقدسة. وإذا كان الله، سبحانه وتعالى، قد اختار هذه الأرض من كافة أنحاء الكرة الأرضية ليباركهـــا،

فلماذا يعطيها بلا قيد ولا شرط لـ "**شعب عنيد**" بغض النظر عما إذا كان يعمل عملاً صالحاً أم يرفض بعنادٍ أن يتقيد بالمعيار الخُلُقيِّ – معيار العمل الصالح؟

ثانياً، يؤكد التاريخ أن الله أخرج اليهود مراراً وتكراراً من القدس والأرض المقدسة. وكان ذلك يحدث كلما نقضوا شرط الإيمان والعمل الصالح. وذكر القرآن عمليات الإخراج هذه، وبعد ذلك قال الله تعالى إنه سيظل يخرجهم كلما عادوا إلى الأرض المقدسة بسلوك ينقض الشرط الإلـٰهي – شرط 'الإيمان' و 'العمل الصالح' (الآية 105 من سورة الأنبياء 21).ويعترف كثير من اليهود الإسرائيليين (وهم ليسوا شعباً أوروبياً) صراحةً بأنهم هم الذين جلبوا لأنفسهم هذا الإخراج الإلـٰهي المتكرر من الأرض المقدسة بسبب خطيئاتهم. ويرفض الصهاينة الأوروبيون العلمانيون الملحدون أصلاً أن يقبلوا بهذه النظرية.

ويردُّ علينا اليهود بالقول إن النص الموجود في **سفر التثنية**، 9:6، المذكور أعلاه إنما قُصِدَ به مجرد تذكير اليهود بأن الله أعطاهم الأرض نتيجةً لإيمان جدهم إبراهيم، عليه السلام وصلاحه. بعبارة أخرى – هم لم يكسبوا هبة الأرض هذه ولم يرثوها بصلاحهم.

ولكن هذه الحجة لا تنفي النتيجة الضمنية للنص، أي أن الأرض أُعطِيَت لهم بلا قيد ولا شرط. والقرآن الكريم يعلن أن هذا كذب. الإعلان القرآني واضح: أُعطيت الأرض لبني إسرائيل بشروط. والشروط هي 'الإيمان بالله والإسلام له' و 'العمل الصالح' (الآية 105 من سورة الأنبياء 21).

بعد نحو 600 سنة من إخراج اليهود آخر مرة من الأرض المقدسة أورثها اللهُ، سبحانه وتعالى، للمسلمين، حين فتحها جيش المسلمين وطُلِبَ من الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أن يأتي شخصياً إلى القدس لتَسَلُّمِ مفاتيح المدينة. في ذلك اليوم تحققت النبوءة الواردة في القرآن:

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {165} ﴾

(الآية 165 من سورة الأنعام 6).

أعلن الله، سبحانه وتعالى، أنه أمر بأن يرث المسلمون الأرض المقدسة. وهكـــذا انتصر **الحق** على **الباطل** في الأرض المقدسة. وعندما تسلم المسلمون مقاليد الأمور في الأرض المقدسة ظلوا يحكمونها أكثر من 200 1 سنة (فيما عدا فترة وجيزة). وكان في ذلك آية واضحة من آيات الله، سبحانه وتعالى؛. كانت دلالة علـــى إقـــرار الله، سبحانه وتعالى، حكمَ المسلمين للأرض المقدسة! وينبغي لعلماء اليهـــود أن يقـــدِّموا تفسيراً لحكم المسلمين المتصل طيلة هذا الوقت للأرض المقدسة، هذا الحكم الإسلامي الذي جمع بين العدل وخشية الله.

حين خَدَعَ الصهاينةُ الأوروبيون (غير الإسرائيليين) اليهودَ الإسرائيليين فانضموا إليهم في مجهود عنيد 'أحمق' للعودة إلى الأرض المقدسة في ما زعموا أنه أمرٌ إلـــــٰهي باستعادة دولة إسرائيل، كانت هناك دلالة واضحة لليهود الإسرائيليين على أن الدعوة الصهيونية كاذبة. كانت كذبة! فالشروط التي فرضها الله، وهي الإيمان بمِلَّةِ إبـــراهيمَ عليه السلام والعمل الصالح لم يكن لها وجود في الجهاد الصهيوني لإقامـــة إســـرائيل. وعندما أُنشئت إسرائيل نفسها كانت أُسس الدولة هي نفس الأسس التي تقوم عليهـــا الدولة العلمانية الحديثة. وأسس الدولة العلمانية الحديثة هي الشِّرك والكفـــر، وهـــذه تشكِّل رفضاً لِمِلَّةِ إبراهيمَ عليه السلام، وسنشرح هذا الموضوع في الباب الثاني من هذا الكتاب.

الفصل السادس

إخراج الله اليهود من الأرض المقدسة بسبب انتهاكهم شروط الوراثة

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً {4} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً {5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً {6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً {7}﴾

(الآيات4-7 من سورة الإسراء 17)

تسجِّلُ سورةُ الإسراء (بني إسرائيل) (السورة رقم 17) تاريخ القدس على نحــو يكشف عن زيف البيان التالي الوارد في التوراة:

"6 فاَعلمْ ذلِكَ وتأكّدْ أنَّ الرّبَّ إلهَكَ لم يُعطِكَ هذِهِ الأرض الصَّالحة حتى تمتَلِكَها لأنَّكَ صالحٌ فأنتَ شعبٌ عنيدٌ."

(سفر التثنية، 6:9).

البيان مزيف لأنه يُـثَـبِّتُ أساس الاعتقاد بأن إعطاء الله،سبحانه وتعالى، الأرض المقدسة لليهود كان بلا قيدٍ ولا شرطٍ. بعبارة أخرى، يَسمح لليهودي بأن يدَّعي أن الأرض المقدسة ملكٌ لليهود حتى وإن كانوا غير صالحين في عملهم، لأن العمل الصالح ليس شرطاً لوراثتهم الأرض المقدسة. ويستطيع اليهودي أن يقول إن إبراهيم، عليه السلام، كان صالحاً ونتيجةً لصلاحِهِ أُعْطِيَ هذه الأرض له ولذريته! ولذلك لا يمكن لأي إخلال بشرط العمل الصالح المفروض على اليهود أن يلغيَ حقهم في الأرض المقدسة. فالتوراةُ تقول ذلك بكل وضوح وصراحة:

"18فاجعَلوا كلامي هذا في قلوبِكُم وفي نُفوسِكُم، واَجعَلوهُ وَشْمًا على أيديكُم وعصائِبَ بَينَ عيونِكُم 19وعلِّموهُ بَنيكُم وتَحَدَّثوا بهِ إذا جلَستُم في بُيوتِكُم، وإذا مشَيتُم في الطَّريق، وإذا نِمتُم، وإذا قُمتُم. 20واكتُبوهُ على قَوائِمِ أبوابِ بُيوتِكُم وعلى أبوابِ مُدُنِكُم 21لتَطُولَ أيّامُكُم وأيّامُ بَنيكُم في الأرضِ التي أقسَمَ الرّبُّ لآبائِكُم أنْ يُعطيَها لكُم، وتكونُ كأيّامِ السَّماءِ على الأرضِ. 22فأنتُم إنْ حَفِظتُم جميعَ هذِهِ الوصايا التي أنا آمُرُكُم بها وعَمِلتُم بها، فأحبَبتُمُ الرّبَّ إلهَكُم وسلكتُم في طُرُقِهِ كُلِّها وتمسَّكتُم بهِ 23يطرُدُ الرّبُّ جميعَ هؤلاءِ الشُّعوبِ مِنْ أمامِكُم، فتَرِثونَ شُعوبًا أكثرَ وأعظمَ مِنكُم. 24كُلُّ موضِعٍ تدوسُهُ أخامِصُ أقدامِكُم يكونُ لكُم، مِنَ البَرِّيَّةِ جنوبًا إلى لبنانَ شمالاً، ومِنْ نهرِ الفُراتِ شرقًا إلى البحرِ غربًا. 25لا يَقِفُ إنسانٌ في وُجوهِكُم، لأنَّ الرّبَّ إلهَكُم يُلقي الرُّعبَ والخوفَ مِنكُم على كُلِّ الأرض التي تدوسونَها كما وعَدَكُم."

(سفر التثنية، 11: 18-25).

(جاء في مقال مايكل أفي-يوناه (Michael Avi-Yonah) في دائرة المعارف اليهودية قوله إن "داوُد، عليه السلام، في فتوحاته جعل القدس مركز إمبراطورية تمتدُّ من مصر إلى نهر الفرات، وإن كانت هذه الحقيقة لم يُستَفَدْ منها فائدة تامة إلا في عهد خلفه سليمان.")

ولكن البيان الوارد في الآية 9: 6 من سفر التثنية وكذلك الوارد في الآيات 11:18-25 منه مزيفان لأنهما يستبعدان الصلاح والإيمان كشرطين لوراثة الأرض

المقدسة! و لم يقف القرآن عند حد تأكيد 'العمل الصالح' كشرط لهذه الوراثـة (الآية 105 من سورة الأنبياء 21)، وإنما مضى فوجَّه الأنظار إلى الدليل التـاريخي علـى أن الإخلال بهذا الشرط كان دائماً يؤدي إلى إخراج الله، سبحانه وتعالى، إيـاّهُمْ مـن الأرض. وذكرت السورة مناسبتين (على الأقل) خان فيهما اليهود مِلَّة إبراهيمَ، عليـه السلام، معيار العمل الصالح إلى حدٍّ أن الله، سبحانه وتعالى، أخـرجهم مـن الأرض المقدسة. (ترد معالجة لهذا الموضوع أشمل من هـذا في كتابنـا: " ***TheReligion of Abraham and the State of Israel – A view from the Qur'an*** " (مِلّة إبراهيمَ ودولة إسرائيل – نظرةٌ من القرآن)

في المناسبة الأولى، في عام 587 قبل الميلاد، قام جيش بابلي بقيادة نَـبوخَذْ نُصَّرْ بحصار القدس، ثم حرق المدينة، وقتل سكانها، ودمر المسجد الذي بناه سليمان، عليه السلام، وحمل معه خيرة السكان اليهود عبيداً إلى بابل. وكان النبي إرميـا قـد حذرهم من أن هذا سيحدث (سفر إرميا 36:32)، تماماً كما قال الله، سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم من أنه ما كان ليعذِّبَ قوماً حتى يبعث لهم رسولاً يحـذرهم (الآيتان 15-16 من سورة الإسراء 17). ولكن الذين كتبوا المزامير لم يدركوا عقاب الله المتمثل في تدمير القدس والهيكل، ولذلك ردت المزامير بالشكوى:

"الأمَمُ غَزَوا أرضَكَ يا اللهُ ونَجسوا هَيكلَك المُقدَّسَ .جعَلوا أُورُشليمَ أنقاضًا " (المزامير 79: 1)

لقد عوقبوا بهذا الشكل لأنهم، في جملة أمور أخرى، غَيَّروا التوراة ليُحِلّوا ما حَرَّمَ الله، سبحانه وتعالى. أعادوا كتابة التوراة ليُحِلّوا لأنفسهم إقراض المال بالفائدة لغـير اليهود، بينما حَرَّموه في المعاملات التي تجري فيما بينهم:

"20لا تُقرضوا إخوتَكُم مِنْ بَني قومِكُم بربى يدفعونَهُ إليكُم فِضَّةً أو طَعامًا أو أيَ شيءٍ آخرَ مِمَّا يُقرَضُ بالرِّبى، 21بل أقرضوا الغريبَ بالرِّبى ولا تُقرضوا إخوتَكُم مِنْ بَني قومِكُم، فيُباركَ الرّبُّ إلهُكُم جميعَ أعمالِ أيديكُم ..."
(سفر التثنية، 23: 19-20)

القدس في القرآن

(يتناول كتابان لنا هذا الموضوع بمزيد من التفصيل، أولهما بعنوان: ***"The Importance of the Prohibition of Ribà in Islam"*** (أهمية تحريم الربا في الإسلام)؛ والثاني بعنوان: ***"The Prohibition of Ribà in the Qur'an and Sunnah"*** (تحريم الربا في القرآن والسنة).

وفي المناسبة الثانية أُخْرِجوا مرة أخرى من الأرض المقدسة لقتلهم أنبياء الله (انظر، مثلاً، الآية 61 من سورة البقرة 2). فقد قتلوا زكريا، عليه السلام، في المسجد. وقتلوا ابنه يحيى، عليه السلام، بخدعةٍ. وأشار عيسى، عليه السلام، إلى قتل الأنبياء هذا، وكان صريحاً جداً بلا مراوغة في إدانته العنيفة لهذه الجريمة البشعة:

> لذلك أيضاً قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيَقتُلون منهم ويَطرُدون، لكي يُطلَبَ من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المُهرَق منذ إنشاء العالم. من دم هابيل إلى دم زكريا الذي أُهلِكَ بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم إنه يُطلَبُ من هذا الجيل (لوقا، 11: 49-51).

وأخيراً تبجَّحوا بوصفهم كيف قتلوا المسيح، عيسى بن مريم (ولكن الله العلي القدير نجاه من الموت):

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً {157} ﴾

(الآية 157 من سورة النساء 4).

كان بعد هذا أن عاقبهم الله، سبحانه وتعالى، للمرة الثانية. فقد حاصر القُدسَ جيشٌ رومانٌي بقيادة تيطس سنة 70 للميلاد، فدمر المدينة وقتل سكانها وطرد من بقي من اليهود من الأرض المقدسة. وَدُمِّرَ المسجد مرة ثانية، ونقضه الجنود حجراً حجراً، بحثاً عن الذهب المُذابِ، تماماً كما حذرهم عيسى، عليه السلام، وتنبَّأَ لهم به:

"[ستأتي أيام] لا يُترَكُ فيها حجر على حجر لا يُنقض." (انظر الآيات 4-7 من سورة الإسراء 17):

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً {4} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً {5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً {6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً {7} ﴾

(الآيات4-7 من سورة الإسراء 17)

﴿ ' . . . سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ {145} ﴾

(الآية 145 من سورة الأعراف 7).

أشار القرآن الكريم إلى الهيكل الذي دُمِّرَ مرتين بكلمة **'المسجد'**. ولكنه قبـــل ذلك وصفَ الرحلة المعجزة التي قام بها النبي، صلى الله عليـــه وســـلم (أي **الإسراء والمعراج**) بأنها رحلة من **المسجد الحرام** (بمكة المكرمـــة) إلى **المسجد الأقصى** (أي الهيكل البعيد):

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ {1} ﴾

(الآية الأولى من سورة الإسراء 17).

لا يمكن أن يكون **المسجد** المذكور في الآية الكريمة، الذي دُمِّرَ مرتين، مـــسجداً غير **المسجد** الذي بناه سليمان، عليه السلام، في القدس. وقد أكد ذلكَ النبيُّ نفـــسه،

صلى الله عليه وسلم. فهذا هو نفس المسجد الذي وُصِفَ أعلاه بأنه **المسجد الأقصى** الذي أُسْرِيَ إليهِ بالنبي، صلى الله عليه وسلم، في تلك الرحلة المعجزة. وقال القـرآن الكريم إنه أُسْرِيَ به لِيُرىَ مِنْ '**آيات**' اللهِ، سبحانه وتعالى. وهذه '**الآيات**' تتعلق بمصير القدس أكثر منها بأي شيءٍ آخر.

بعد أن عاقب الله، سبحانه وتعالى، اليهود للمرة الثانية بأن أخرجهم من الأرض المقدسة، أعلن عزمه على أن يظل يعاقبهم (ويخرجهم) إذا استمروا في تـدنيس الأرض المقدسة بإخلالهم بشرطِ الإيمان والعمل الصالح:

﴿ ' . . . وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا . . . {8} ﴾

(الآية 8 من سورة الإسراء 17).

(أي أنكم إذا عدتم إلى انتهاك الشرط الذي فُرِضَ لوراثة الأرض المقدسة، فسنعود إلى معاقبتكم، أي أننا سنخرجكم منها مراراً وتكراراً.)

مصير القدس مكتوب بوضوح في هذا الإنذار والتـصريح القـوي الـوارد في القرآن. ويظل الأمر كذلك بغض النظر عن أيٍّ من الأمور التالية أو عنها كلها:

- الاتفاقات التي تم التفاوُض بشأنها في كامب ديفيد أو في أي مكان آخر بين الممثلين القوميين العلمانيين للشعب الفلسطيني واليهود الأوروبيين القوميين العلمانيين الذين يفترضون أنهم يمثلون بني إسرائيل، أو
- قرارات مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأمريكيَّين، اللذين حلاّ محل البرلـان البريطاني بوصفهما الراعي والحامي النهائي للدولة اليهودية، أو
- قرارات مجلس الأمن أو الجمعية العامة للأمـم المتحـدة اللـذين يزعمـان لأنفسهما مركز حكومة العالم.

إن مصير القدس يُرى بوضوحٍ في سياق جرائم الإلحاد والعفن والظلم المروِّعــة التي تدنِّسُ الأرض المقدسة الآن. وسيرد وصفٌ لبعض هذا في الباب الثاني مـــن هـــذا الكتاب في معرض تحليل **الشِّرك** السياسي الذي تشركه دولة إسرائيل و**الرِّبا** الـــذي تمارسه في اقتصادها. ومصير إسرائيل هو أن الله سيُعاقِبُها تماماً كما عاقبها مـــن قبـــلُ مرتين. فقد جاء العقاب الإلـــٰهي الأول في شكل جيشٍ بابلي دمر إســـرائيل. وفي المرة الثانية كان الجيش الروماني. وفي المرة الثالثة والأخيرة سيكون جيـــشا إســـلامياً يقضي على الدولة اليهودية.

إن '**آيـات**' الله التي أُرِيَها النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في زيارته المعجـــزة للقدس ليلة الإسراء والمعراج هي '**آيـات**' كشفت له فيما كشفت عن مصير القدس. يبدو أن دانيال بايبس قد غفل عن هذه المسألة.

لقد رأى خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وسلم، آخر الزمـــان [العـــصر الأخير من حياة الناس على الأرض]. رأى بعينيه الروحانيتين عودة اليهـــود في ذلـــك العصر إلى الأرض المقدسة. ورأى إنشاء دولة إسرائيل الدجّالة، والإلحاد والعفن والظلم الفادح الذي ستلحقه بالأرض المقدسة. ورأى عودة عيسى ابن مريم، عليه الـــسلام، ودمار إسرائيل على يد جيش مسلم. ورأى الحق والعدل والعمـــل الـــصالح في مِلَّـــة إبراهيمَ، عليه السلام، التي سيستعيدها المسيح 'الحقيقي' في الأرض المقدســـة عنـــدما يعود.

الفصل السابع

تحويل القبلة من القدس إلى مكة المكرمة

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ {46}﴾

(الآية 46 من سورة الحج 22).

[ألا يسيرون في الأرض لعل الحياةَ تُبعَثُ في قلوبهم الميتة، فلعلهم بهذه القلوب والعقول التي أصبحت الآن حيةً داخلياً يتعلمون الحكمة، ولعل آذانهم تتعلم كيف تسمع؟ فالحقيقة هي أنها ليست عيونُهُم هي العمياء، وإنَّما قُلوبُهُم التي في صدورهم.]

أدرك علماء الديانة اليهودية أن وجود علاقة يهودية بالأرض المقدسة، ومدينة القدس، وهيكل سليمان، عليه السلام، مسائل تتعلق بجوهر 'الإيمان' ذاته. ونتيجةً لذلك الاعتقاد خلصوا إلى استنتاج مؤداه أن الديانة اليهودية ستظل دائماً ناقصة ما لم يَعُدِ اليهود، وحتى يعودوا، إلى الأرض المقدسة بعد تحريرها،ويستعيدوا دولة إسرائيل، وتكون مدينة القدس الشريف عاصمةً لهذه الدولة، ويعيدوا بناء هيكل سليمان، عليه السلام. وليس للصهاينة أي تعلُّق مقدس أو علاقة مقدسة من هذا القبيل بالأرض أو المدينة أو الهيكل. فصلات الصهاينة بهذه الكيانات تقوم على حجج سياسية، وتاريخية وعلمانية وقومية في أساسها. ولما كانت القيم العلمانية تتغير دائماً لتواكب العالم العلماني المتغير، تظل هذه القيم دائماً قِيَماً نسبية، ولا تكون مطلقةً أبداً. ولذلك يمكن دائماً تعديل تعلُّق الصهاينة واليهود الأوروبيين بالأرض المقدسة ومدينة القدس والهيكل

على أساس المصلحة للتعايش مع ضرورات الوقت الحاضر. وهذا غير ممكـــن لعلمـــاء الديانة اليهودية الذين يظلون ملتزمين بالمعتقَد الأساسي المذكور أعلاه.

ومن جهة أخرى، أعلن القرآن الكريم أن جوهر الدين يوجد في 'الإيمان' (والعمـــل الصالح) – 'الإيمان' بالله، سبحانه وتعالى، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـــر، والقيامة والحساب، والجنة والنار، إلخ. فالله، سبحانه وتعالى، هو **'الحق'**. ومكمـــن **'الإيمان'** في قلب الإنسان. وعندما يتحقق **'الإيمان'** يدخل **'الحـــق'** إلى القلـــب! والله، سبحانه وتعالى، أكبر من الأرض، ومن المدينة، ومن الهيكـــل. فقـــد قـــال، سبحانه وتعالى: " **ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع**".

(حديث قدسي).

حين بُعِثَ خاتم النبيين، صلى الله عليه وسلم، عُطِّلَت قدرات علماء اليهود على الاعتراف رسمياً به نبياً بسبب تجمُّدهم عند هذا 'الشكل الخارجي' للديانـــة، وعـــدم الاعتراف الكافي بـــ 'الجوهر الداخلي' للدين. محمد، صلى الله عليه وسلم، العربي لم يكن يهودياً، ولذلك قالوا إنه لا يمكن أن يكون نبياً لليهود. وحين وصل النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى معقل اليهود في مدينة **يثرب الحجازية** (المدينة المنورة الآن)، صام معهم في الأيام التي كانوا يصومون فيها. وكان صومه وفقاً لقـــانون الـــصوم في التوراة، (من الغروب إلى الغروب). وكان أيضاً يؤدي **الصلاة** متوجهاً نحو القـــدس. وعندما اتضح، بعد سبعة عشر شهراً، أن اليهود لم يكتفوا بالكفر بمحمدٍ، صـــلى الله عليه وسلم، وعدم الاعتراف به نبياً من أنبياء الله، سبحانه وتعالى،، وبالقرآن كلمـــةَ الله، سبحانه وتعالى، وإنما تآمروا أيضاً للقضاء على وحدة المسلمين وقوَّتهم، أمـــر الله، سبحانه وتعالى، النبي بتحويل قبلته في الصلاة من القدس إلى مكة المكرمة.

دفع تغييرُ القبلة هذا اليهودَ إلى توجيه انتقادات كثيرة. وشعروا بأن هذا التغـــيير إهانة لهم لأنهم كانوا يعتقدون أن جوهر الديانة هو التعلُّق بالقدس. وردَّ القرآن علـــى انتقاداتهم بالازدراء:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {142} ﴾
(الآية 142 من سورة البقرة 2).

وأعلن القرآن أن اليهود سجناء اعتقادهم الزائف بأن القدس هي جوهر الإيمان ومركزه، ولا شيء في العالم يمكن أن يغيِّرَ ذلك:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ . . . {145} ﴾.
(الآية 145 من سورة البقرة 2).

وفي النهاية ردَّ القرآن بإعلانٍ هدمَ به الاعتقادَ الزائفَ بأن القدس — المدينة ومعبدها يقعان في صميم مِلَّة إبراهيمَ عليه السلام وجوهرها:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {177} ﴾
(الآية 177 من سورة البقرة 2).

ولذلك، لا ينبغي أن يكون لتحويل المسلمين قبلتهم من القدس إلى مكة المكرمة أيُّ معنًى له أثرٌ سلبيٌّ على الإسلام. وإنما هي محاولة من القرآن لتصحيح المنظور الديني لمن وضعوا جوهر الدين في إطارٍ جغرافي. وكانت رسالةُ القرآن لليهود واضحةً كل الوضوح. وأُبلِغَ اليهودُ بأن محمداً، صلى الله عليه وسلم، وإن لم يكن يهودياً، ولم يعد يولّي وجهه شطر القدس في صلاته، ولم يحاول تحرير القدس، يظل مع ذلك نبياً من

أنبياء الله، إلــــٰه إبراهيم، وأن الدين الذي يدعو إليه هو الدين الحقيقي: مِلَّة إبراهيمَ وموسى وداوُد وسليمان والمسيح، عيسى ابن مريم عليهم السلام. وبذلك كان تحويل القبلة نذيرَ شُؤمٍ لليهود المعاندين، الذين أصرّوا على القول إن القــدس هـــي القلـــب الروحي لِمِلَّة إبراهيمَ، عليه السلام.

وإذا كان غضب الله لم يترل بمحمدٍ، صلى الله عليه وسلم، بعد تحويل القبلة عن القدس، فإن الاستنتاج الذي يخرج به المرء هو أنَّ النبيَّ 'الحقيقيَّ' يمكنه أن يحول قبلته عن القدس ويظل، مع ذلك، نبياً 'حقيقياً'. و لم يقف الأمر عند حدِّ أن محمداً، صـــلى الله عليه وسلم، لم يُصَبْ بأذىً نتيجة 'تحويل القبلة' عن القدس، وإنما مـــضى فـــألحق هزيمة نكراء باليهود، الذين يصرّون على أنهم هم الشعب المختار من إلــــٰه إبراهيم.

واتضح بذلك أنه لا ينبغي استنتاج أي أثر سياسي من تحويل القبلة، كأن يُقـــالَ إنَّ الإسلام كدينٍ لم تَعُدْ له أيُّ صلةٍ بالقدس، و لم يبق له أي ادِّعـــاء بالقـــدس. بـــل العكس هو الصحيح، فالقرآن يؤكد أن مُحَمَّداً، صلى الله عليه وسلم، والذين اتَّبعـــوه هم الأتباع الحقيقيون لِمِلَّة إبراهيمَ:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ {68} ﴾

(الآية 68 من سورة آلِ عِمْرانَ 3).

معنى هذا الإعلان الذي أعلنه القرآن الكريم واضح جداًّ. فالذين يؤمنون بمحمد، صلى الله عليه وسلم، إيماناً صادقاً هم الذين لهم الحق بوراثة الأرض المقدسة. وإن قَدَرَ القدس هو أن تؤكد هذه الحقيقة.

فرصة اليهود للفوز برحمة الله

كان لتغيير القبلة معانٍ أخرى أهمُّ حتى مما ذُكِرَ أعلاه.

حين عبد اليهودُ '**العجل**' بينما كان موسى، عليه السلام، في طور سينين، وحين غيَّروا التوراة وأعادوا كتابتها ليُحِلّوا ما حرَّم الله، وحين تبجَّحوا بقولهم إنهـــم قتلـــوا المسيح، عيسى ابن مريم، كانت هذه كلُّها أفعالاً شنيعةً في خيانة عهـــدهم مـــع الله، سبحانه وتعالى،.وردَّ الله، سبحانه وتعالى، على كل هذه الخطيئات الشنيعة بأن أعلـــن أن أمامهم '**فرصة**' واحدة أتاحها لهم. تلك الفرصة هي النبي العربي، محمد، صلى الله عليه وسلم، الذي هو آخر النبيين جميعاً. فإذا آمنوا به واتَّبعوه فسيفوزون بمغفرة مـــن الله ورحمة. وقد ورد هذا الوعد في القرآن في الآيتين التـــاليتين اللـــتين خاطـــب الله، سبحانه وتعالى، فيهما اليهود وردَّ على خطيئاتهم الشنعاء وخياناتهم للعهد، فقال:

﴿* . . . ، قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} ﴾

(الآيتان 156-157 من سورة الأعراف 7).

من الواضح جداً أن الآيتين المذكورتين أعلاه تشيران إلى النبي محمد، صـــلى الله عليه وسلم.

حين وصل النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة بعد الهجرة، كانت 'الفرصة' مفتوحة أمام اليهود. فإذا آمنوا به وصدقوه كان في وُسعهم أن يفوزوا برحمة مـــن الله. وإذا كفروا به أضاعوا فرصة الفوز برحمة الله وأغلقوا النافذة التي تأتي منـــها الرحمـــة وعندها يبدأ العقاب الإلـــٰهي. وكانت هذه أحرج فترة في التاريخ اليهودي كله. فلا بد من أن الزمن قد توقَّف آنذاك بينما السمـــٰوات كلها تراقب تلك الدراما.

عندما وصل النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة عمل عدداً من الأشياء كان يجب أن تقنع اليهود وربِّـــيِّـــيهم بسهولة بأنه حَقاًّ نبيُّ الله، وأنه هو النبيُّ الذي كانوا ينتظرونه. وخلال السبعة عشر شهراً الأولى من إقامته في المدينة كان يصلّى مـــستقبلاً بيت المقدس. وقد فعل ذلك لأن هذه هي **القبلة** التي كـــان اليهـــود يـــستقبلونها في صلاتهم، ومن ثمَّ فهي **قبلة** الذين يعبدون الله وفقاً لملة إبراهيم ، عليه السلام. ولكـــن العربيَّ عندما يفعل ذلك في المدينة، كان عليه أن يدير ظهرة **للكعبة**، بيت الله العتيـــق بمكة، الذي كان يبجِّله كل العرب. وكان هذا العمل من النبي، صلى الله عليه وسلم، كافياً لإقناع اليهود بأنه حقاًّ نبيُّ الله. ولكنه فعل أكثر من ذلك: كان أيضاً يصوم مع اليهود آلأيام التي كانوا يصومون فيها، وكان صومه وفقاً لقانون الصوم في التوراة (من الغروب إلى الغروب). ولم يسبق لأي عربيٍّ أن صام كهذا الصوم، ولكـــن الطائفـــة الإسلامية في المدينة أصبحت كلها تصوم الآن هذا الصوم. وكان ينبغي لهذا أن يقنـــع اليهود بأن محمداً، صلى الله عليه وسلم، حقاًّ نبيُّ الله. وأخيراً حصل شيء آخر كـــان ينبغي له أن يحسم الأمر نهائياًّ: أحضر اليهود أمام النبي، صلى الله عليه وسلم، رجـــلاً وامرأة ارتكبا جريمة الزنا (حصل بينهما جماع من غير زواج). أراد اليهود أن يختـــبروه فسألوه ما يجب أن يُفعَلَ بهما. فسألهما أيَّ عقوبة ينفذون في الزناة، فقالوا "نفضحهم ويُجلدون". فسألهم إن كانت هذه هي العقوبة المذكورة في التوراة، فطلب منـــهم أن يأتوا بالتوراة فيقرأوها (فهو لا يقرأ ولا يكتب). وبينما هم يقـــرأون التـــوراة كـــان ربِّيُّهم، عبد اله بن سلام جالساً بجانب النبي، صلى الله عليه وسلم. فعنـــدما وصـــل

القارئ إلى آية الرجم في التوراة غطّاها بأصبعه ليخفيها. فأمره عبد الله بن سلام بأن يقف عن القراءة ويرفع أصبعه. وكان عليه أن يقرأ آية الرجم التي قررت فيها عقوبة الزنا. وسببت قراءة هذه الآية حرجاً كبيراً لليهود. فقد انكشف أمرهم وبان أنهم يخونون حتى شريعتهم المقدسة، وكانوا يحاولون إخفاء خيانتهم هذه. ثم أمر الرسول، صلى الله عليه وسلم، برجم الرجل والمرأة، وبذلك طبق شريعة اليهود التي كان اليهود أنفسهم لا يطبقونها. وكان ينبغي أن يكون هذا كافياً لإقناع اليهود بأنه حقاً نبيُّ الله.

واتَّضَحَ، بعد 17 شهراً من وصول النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة، أن اليهود لم يكتفوا بالكفر به كنبيٍّ، وبالكفر بالقرآن ورفضهم القبول بأنه كلام الله، عز وجل، وإنما كانوا يتآمرون أيضاً للقضاء على الإسلام. كان في هذا الوقت بالذات أن غيَّرَ اللهُ، سبحانه وتعالى، **القبلة** (وحوَّلها من القدس إلى مكة المكرمة). وأنزل الله أيضاً آيات فرض فيها **القتال والصوم** على المسلمين. تنزَّلت هذه الأوامر الثلاثة كلُّها في شهر شعبان. ولكن الله، سبحانه وتعالى، عندما فرض صوم شهر رمضان، غيَّرَ قانون الصوم الذي كان في التوراة. وفرض قانون الصوم الجديد: الصوم من 'الفجر' إلى 'الغروب'. وبذلك سُمِحَ للناس أن يأكلوا ويشربوا ويمارسوا العلاقات الجنسية في ساعات الليل. وأخيراً غيَّر الله، سبحانه وتعالى، عقوبة الزنا وأصبحت، بموجب القانون الجديد، الجَلد أمام الناس!

كان أول استنتاج من تغيير القانون أن القانون اليهودي الآن قد نُسِخَ. و لم تَعُدْ له أي صحة عملية.

ولكن الاستنتاج الأهم اتَّضَحَ بعد ذلك بفترة، حين رأى النبي، صلى الله عليه وسلم، في منامه رؤيا نُزِّلَ عليه فيها أن فتح يأجوج ومأجوج قد بدأ. وأكد أيضاً بصورة درامية خروج **الدجال** (المسيح الكذّاب)، حين ذهب هو وعمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لمقابلة صبي يهودي اسمه "ابن صياد"، اشتبه الرسول، صلى الله عليه وسلم، بأنه هو **الدجال**. وقد اتضحت الرسالة حين استأذن عمرٌ النبي أن يسمح له

بقطع رأس ابن صياد، ولكن الرسول، صلى الله عليه وسلم، لم يأذن له، وقـــال: "إذا كان هو الدجال فعلاً فإنك لن تستطيع قتله. وإن لم يكن هو فمن الخطيئة أن تقتله."

فإذا كان **الدجال** قد خرج الآن وكذلك فُتِحَت يأجوج ومأجوج، فمعنى ذلـــك أن آخر الزمان، أو عصر **الفِتَن**، يكون قد بدأ في حياة النبي، صلى الله عليه وسلم، بعد تغيير القبلة. ويكون قد أُغلق الباب الذي يمكن لليهود منه أن يفوزوا – أو ضـــاعت عليهم "الفرصة" لأن يفوزوا — برحمة الله إلى الأبد، ويكون أشدُّ عقابٍ إلـــٰهي لهم قد بدأ.

ولن يحدث بعد ذلك أن يكون اليهود مؤهَّلين لوراثة الأرض المقدسة. والوقـــت الوحيد الذي يستطيعون فيه أن يعودوا إليها ويسيطروا عليها هو عندما يخرج يـــأجوجُ ومأجوجُ ، وهم **من كل حدبٍ ينسلون** ، وبذلك يتحكمون بالعالم في ظـــل النظـــام العالمي – نظام يأجوج ومأجوج. غير أن هذا يشكِّل جزءاً من خطة إلـــــٰهية يذوق فيها اليهود أشدَّ عقاب إلـــــٰهي.

الفصل الثامن

عيسى – المسيح الحقيقي، والدجّال – المسيح الكذّاب

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {110}.﴾

(الآية 110 من سورة الأنعام 6).

[أي أننا سنقلِّبُ قلوبهم وأعيُنَهم اليهودية لأنهم كفروا بهذه الرسالة من قبل، فقد كفروا بالمسيح، عيسى ابن مريم العذراء.]

عيسى – المسيح

أبلغ أنبياء الله، سبحانه وتعالى، بني إسرائيل أن الله وعدهم بأن يرسل إليهم نبياً يكون نبياً لهم، اسمه المسيح، وسيحكم العالم من على عرش الملك داوُد، عليه السلام.. والواقع أن هذه كانت بمثابة نبوءةٍ بعودة العصر الذهبي.– عصر سليمان، عليه السلام.

جاء في سفر أخبار الأيام الأوّل، 17: 11-15، أن النبي ناثان كلَّم الملـــك داوُد عن المسيح، ودعاه ابن داوُد:

"11 وإذا انتَهَت أيّامُكَ ورَقَدْتَ معَ آبائك، أقَمتُ خلَفًا لكَ مِنْ نَسلِكَ الذي يَخرُج مِنْ صُلْبِكَ وثَبَّتُّ مُلْكَهُ، 12فهوَ يَبني بَيتًا لاَسمي وأنا أُثَبِّتُ عرشَ مُلْكِـــهِ إلى الأبـــدِ. 13أنا أكونُ لَه أبًا وهوَ يكونُ لي ابنًا، وأمَّا رحمَتي فلا أَنزعُها عَنه كما نزَعتُها عَـــنْ

شاوُلَ الذي كانَ قَبلَكَ، 14بل يكونُ نَسلُكَ ومُلْكُكَ ثابِتَينِ على الــدَّوامِ أمــامَ وجهي، وعرشُكَ يكونُ راسخاً إلى الأبدِ». 15".
(أخبار الأيام الأوّل، 17: 11-15)

وبعد ذلك بسنين، أضاف إشعيا إلى ذلك ما يلي:

"لأنَّهُ يولَدُ لنا ولَدٌ ويُعطَى لنا ابنٌ وتكونُ الرِّئاسةُ على كَتِفِهِ. يُسمَّى بإسم عجيــبٍ، ويكونُ مُشيرًا وإلهًا قديرًا وأبًا أبدياً ورئيسَ السَّلامِ."

"سُلطانُهُ يزدادُ قوَّةً،ومملكتُهُ في سلامٍ دائمٍ. يُوَطِّدُ عرشَ داوُدَ ويُثبِّتُ أركانَ مملكتِهِ على الحقِّ والعَدلِ مِنَ الآنَ إلى الأبدِ. غيرَةُ الرّبِّ القديرِ تعمَلُ ذلِكَ."

(إشعيا 9:6-7)

وأشار إليه إرميا بقوله:

"…. مِنْ نَسلِ داوُدَ مَلِكًا صالحًا."

(إرميا 23: 6،5)

وكتب إشعيا عنه كذلك:

"هو ذا عبدي الذي أعضدُهُ، مختاي الذي سُرَّت به نفسي. وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم."

"لا يصيح ولا يُرفع ولا يُسمع في الشارع صوتُهُ."

"قصبةً مرضوضةً لا يقصف وفتيلة خامدةً لا يُطفئُ. إلى الأمــان يُخــرج الحق."

" لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحــق فــي الأرض وتنتظــر الجزائــر شريعته ُ."

(إشعيا 42: 1-4)

"فقد جعلتك نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض"

(إشعيا: 49-6))

وصرح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم بقولـــه إن المسيح سيكون حَكَماً عَدْلاً (أي حاكماً عادلاً للعالم).

"روى أبو هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وســـلم، قال: والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريمَ حَكَماً عَدْلاً. فيكسرَ الصليب ويقتلَ الخنزير ويَضَعَ الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.

(صحيح البخاري).

صورتان متناقضتان للمسيح

سُرَّ اليهود بسماع أخبار هذا المسيح المنتظر. ولكن اختلط عليهم الأمر بـــسبب وجود صورة مزدوجة للمسيح ولرسالته. الأولى صورة ملك فاتح يعيـــد 'شـــعب الله المختار' (الذين كانوا اليهود في ذلك الوقت) إلى الأرض المقدسة ويحكم جميع العالم في سلام. والثانية مسيح متواضع ومعذَّب. ورُسِمَت الصورتان كلتاهما بوضوح في ســـفر إشعيا ، الذي وصف المسيح بأنه 'خادم للرب' سوف يُعلىَ شأنه ويُمجَّد ويكـــون ذا مكانة عالية:

"ها عبدي ينتصر، يتعالى ويرتفع ويتسامى جداً."

(إشعيا 52: 13)

ولكنه مضى على نَفَسٍ واحدٍ فقال إن 'العبد' سيُشَوَّهُ، إلى حد أنـــه لا يكـــاد منظره يكون منظر إنسان، وبذلك سينال العلا والإهانة معاً:

"كثير من الناس دُهِشوا منه، كيف تشوَّهَ منظره كإنسان وهيئة كبني البشر."

(إشعيا 52: 14)

تنبأ إشعيا، وإن كان ذلك لا يخطر ببال أحد، بأن 'العبد' سيُضرَبُ على الوجه والقفا. وسيُهانُ (إشعيا، 50: 4-11). وهذا بالضبط هو ما حدث لعيسى، عليه السلام.

وعلق كاتب مسيحي اسمه **هال ليندسي** على هذا الحدث بالعبارة الواردة أدناه، وقـــال إن هذا يؤكد نبوءة إشعيا الواردة في الفصل 52: 13 و 53: 12:

"من المعروف جيداً أن هذا هو نوع المعاملة التي عومل بها يسوع أثناء المحاكمات الست غير المشروعة التي أجريت له. فقد بصق حراس معبد هيرود على وجه يـــسوع بعد أن أدانه **السنهدريم** (المجلس الأعلى عند اليهود القدماء). ثم عصبوا عينيه وصفعوه على وجهه. وحشروا على رأسه تاجاً من الأشواك وضُربَ ضرباً مبرحـــاً بكربـــاج روماني. كان كرباجاً قاسياً للتعذيب صنع من عدة شرائح من الجلد، حشرت فيهـــا قطع معدنية مغضنة فجعلته اكثر إيلاماً.

(Hal Lindsey, "The Messiah". Harvest House Publishers, Oregon, 1982, pp.108-9.)

ومضى إشعيا فعرَّف اليهود بأنهم هم الذين سيعذِّبون 'عبد الرب' (أي المسيح). وفعل ذلك حين وصف العبد (أي المسيح) بأنه **"المُهان، المكروه من الأمة"** (إشـــعيا، 49: 7). وأشار هال ليندسي إلى أن كلمة 'nation' (الأمة) استُخدِمت في الأصـــل في صيغة المفرد، لا في صيغة الجمع (nations)، كما جاء في الترجمة واحتج على الترجمة غير الأمينة للآية:

"مـن سـوء الحـظ (ومـن الخيانـة) أن الـنص المـنقح الموحـد للكتـاب المقـدس والتعليقات السونسينية اليهودية تترجم عبـارة "المكروه من الأمـة".بعبـارة "المكروه من الأمم"، أي باستخدامها كلمـة 'الأمم' (فـي صـيغة الجمـع) ممـا يـوهم القـارئ بـأن الأغيـــار (الـــذين يـــشار إلـــيهم دائمـــا بكلمـــة 'الأمـــم') هـــم الـــذين يهينـــون العبـــد ويكرهونه.والفكرة التـي يريـدون أن يضعوها فـي عقول النـاس هـي أن إسرائيل هـي العبد وأن الأغيار يكرهونها.وربما كان هذا صحيحاً في التاريخ اليهودي، ولكن هذه الحقيقة بالذات لا تثبتها هذه العبارة، لأن الكلمة المستخدمة بمعنى 'أمة'باللغة العبرية هي 'goi' وهي في صيغة المفرد ولا يمكن ترجمتها ترجمة أمينة بكلمـة غير كلمـة 'nation' (أي: أمَّـة، بالعربيـة)، وهـي - فـي هـذه العبـارة – تـشير إلـى إسـرائيل وحدها." (*Lindsey*، الصفحة *109*).

حتى في **سفر التكوين** كانت هناك نبوءة بشخص يتواصل به 'حكم' العالم، الذي أنشئ أول مرة في عهد داوُد وسليمان، عليهما السلام. ووصف بأنه **شيلوه**:

"لا يزول الصولجان من (ابنه) يهوذا ولا عصا السلطان من صلبه، إلى أن يتبوّأ في شيلوه من له طاعة الشعوب."

(سفر التكوين، 49: 10)

لم تعلن هذه النبوءة فقط اسم القبيلة التي سيأتي منها المسيح، وإنما عيَّنت يهوذا بأنه هو الخط الملكي الذي سينحدر منه ملوك المستقبل. واعترف الرِّبِّيون المفسِّرون للكتاب منذ القدم بأن 'شيلوه' لقبٌ شخصيٌّ للمسيح، كما حدث هنا تنبُّؤٌ بأنه سينحدر من قبيلة يهوذا.

وازداد الاختلاط سوءاً حين حَرَّفَ كُتّابٌ غير معلومين نص سفر إشعيا ليقولوا إن المسيح ليس فقط آتياً من آل يهوذا ,وإنما سيولَد طفلاً أيضاً، (ومعنى ذلك أنه سيكون إنساناً)، وسيحكم العالم في النهاية، ولكنه أيضاً سيكون إلـٰهاً قديراً. وبذلك صَوَّرَ النص المحرف المسيح إنساناً وإلـٰهاً في آن واحد:

"لأنَّهُ يولَدُ لَنا ولَدٌ ويُعطَى لَنا اَبنٌ وتكونُ الرِّئاسةُ على كَتِفِهِ، يُسمَّى بأسمِ عجيبٍ، ويكونُ مُشيرًا وإلـٰهاً قديرًا وأبًا أبديًا ورئيسَ السَّلامِ." (سفر إشعيا، 9: 6).

قبل ألفي سنة، حين وفى الله، سبحانه وتعالى، بعهده وبعث المسيح، عيسى ابن مريم، إلى بني إسرائيل، وجدهم يتشبَّثون بالشكل الخارجي للدين بينما يهملون جوهره 'الداخلي'. وحتى الشكل 'الخارجي' شوَّهوه لأنهم غيَّروه وأعادوا كتابته ليتفق مع تخيُّلاتهم. وحينما أكد عيسى عليه السلام أنه هو المسيح الحقيقي, وحين كان يركز بلا خوف في الجوهر 'الداخلي' للدين وشجب تحريف الشكل 'الخارجي' للدين، قبل به بعض اليهود وآمنوا به، ولكن معظمهم كفروا به. وما زالوا يكفرون ويرفضون

اعتباره المسيح حتى يومنا هذا. وصرح القرآن بأنهم تبجَّحوا (في ذلك الحين) بقـــولهم إنهم قتلوه (صلباً):

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ . . . {157} ﴾

(الآية 157 من سورة النساء 4).

حين رأوه 'يموت' على الصليب أمام أعينهم تأكَّد لهم بشكل قاطع أنه دجـــّال. واقتنعوا بأنه لا يمكن ان يكون هو المسيح لأن التوراة قالت "...لأنَّ المُعَلَّقَ 'ملعونٌ' مِنَ اللهِ"، (سفر التثنية، 21: 23). ثانياً، لا يمكن أن يكون هو المسيح لأنه مات قبل أن يحرر الأرض المقدسة من حكم الرومان الوثنيين و لم يحكم العا لم من عـــرش داوُد (أي من القدس).

ولذلك ظلوا ينتظرون مجيء المسيح. وكل يهودي رفض اعتبار عيـــسى، عليـــه السلام، أنه هو المسيح وظل ينتظر مجيء المسيح يُعتَبَرُ مشتركاً ضمناً في محاولة صـــلبه. ذلك لأنَّ رفضَهم لادِّعائه أنه المسيح مرتبطٌ بالوفاة التي يعتقدون أنها وقعت.

لكن الله، سبحانه وتعالى، قال إن اليهودَ خُدِعوا فاعتقدوا بأن عيـــسى، عليـــه السلام، قُتِل أو صُلِبَ:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً {157} ﴾

(الآية 157 من سورة النساء 4).

فما الذي حدث إذن لعيسى، عليه السلام؟ لقد أوضح القرآن الكريم ما الـــذي حدث؛ وكان ذلك في خمسة بيانات توضيحية:

أوَّلاً: قال القرآن إن اليهود لم يقتلوا عيسى:

وَمَا قَتَلُوهُ (الآية 157 من سورة النساء 4)

ثانياً: قال إنهم لم يصلبوهُ:

وَمَا صَلَبُوهُ (الآية 157 من سورة النساء 4)

ثالثاً: قال إن الله، سبحانه وتعالى، توفّاه (أي أخذ روحه). والواقع أن هناك بيانين اثنين في القرآن بهذا الشأن:

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {55} ﴾

(الآية 55 من سورة آل عمران 3).

﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ {116} مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {117} ﴾

(الآيتان 116 و117 من سورة المائدة 5).

فإن كان الله، سبحانه وتعالى، قد أخذ روح عيسى، عليه السلام، و لم يُعِدْها فهذا يشكل موتاً. ولكن القرآن يؤكد أنه لم يُقْتَلْ (و لم يُصْلَبْ):

﴿ . . . وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً {157} ﴾ (الآية 157 من سورة النساء 4).

فماذا فعل الله، سبحانه وتعالى، إذن، بالروح بعد أن أخذها؟ أمِـــنَ الممكـــن أن يكون قد رد الروح إلى الجسد؟ وهل يمكن أن يحدث شيء كهذا؟

يؤكد القرآن أن الله، سبحانه وتعالى، يعيد بعض الأرواح بعد أن يكـــون قـــد أخذها من أجسادها:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {42} ﴾

(الآية 42 من سورة الزمر 39).

فهل حدث هذا في حالة عيسى، عليه السلام؟ الجواب واردٌ في البيانين التـــاليين من القرآن الكريم:]

رابعاً: قال القرآن إن الله العلي القدير، جعل الأمر 'يبدو' وكأنَّ عيـــسى عليـــه السلام قد قُتِلَ. وأمكن ذلك بأن يكون قد أحَلَّ 'شيئاً' محلَّ 'شيء آخـــر'، أو أحَـــلَّ 'شخصاً' محلَّ 'شخصٍ آخر' (تشبيه). فكان الذين يشاهدون الحدث مقتـــنعين بـــأن عيسى، عليه السلام، قد مات فعلاً.

﴿... وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ... {157} ﴾ (الآية 157 من سورة النساء 4).

[فهل شُبِّهَ الحدثُ أم شُبِّهَ الشخصُ؟] الله أعلم.

أصبح من الممكن لنا الآن أن نردَّ على السؤال: ماذا فعل الله، سبحانه وتعـــالى، بالروح بعد أن أخذها؟ هناك جواب ممكن على هذا السؤال وهـــو أن الله، ســـبحانه وتعالى، أحل شيئاً محلَّ شيء آخر (تشبيه):

- الله، سبحانه وتعالى، أخذ روح عيسى عليه السلام وهو ما زال على الصليب،
- الله، سبحانه وتعالى، أقنع الناس الذين كانوا يراقبون الحدث بأن عيسى عليه السلام قد مات،
- ثم أعاد الله، سبحانه وتعالى، روح عيسى، عليه السلام، بعد أن أُنزِلَ عن الصليب وحين لم يكن ثمة أحد فيراقب. ثم أُخِذَ إلى السماء وسيترل من هناك يوماً ما.

الفرق الوحيد بين ما يؤمن به النصارى والتفسير الوارد أعلاه للنص القرآني هو أن الفترة التي انقضت بين الحدث الذي وقع على الصليب ورفع عيسى إلى السماء فترة يعتبره النصارى فيها ميِّتاً. غير أن التفسير الوارد أعلاه للنص القرآني لا يعتبره ميِّتاً، وذلك بالضبط لأن الله، سبحانه وتعالى، ردَّ روحه إلى جسده.

الذين يعترضون على التفسير الممكن المذكور أعلاه للنص القرآني يقولون إن عيسى، عليه السلام، لم يوضع على الصليب أبداً. وهم يفسرون النص القرآني القائل "**وَمَا صَلَبُوهُ**" بأنه يعني أنه لم يوضع على الصليب أبداً. وقد توصلوا إلى هذا الاستنتاج بناءً على رأيهم أن الصَّلب (بالمعنى الذي يستعمل القرآن به هذا المصطلح) يعني مجرد وضع المرء على الصليب ولا يقتضي بالضرورة أن يموت المرء فعلاً على الصليب. وقد علَّق مفسِّر القرآن، **ابن كثير**، على **الآية 36 من سورة المائدة (5)** فقال إن الصَّلب يعني بالضرورة الموت.

والتفسير البديل للتفسير المذكور أعلاه هو أن الله، سبحانه وتعالى، وضع شخصاً مكان آخر (**تشبيه**)، أي أن شخصاً آخر حل محل عيسى، عليه السلام. هذه هي نظرية 'الحلول'. هذا رأي وهو يخضع، شأنه شأن كل الآراء، للاحتراز بقول: '**الله أعلم**'. غير أن كثيراً من علماء الإسلام الممتازين يؤيدون نظرية الحلول. والذين

يعترضون على هذا التفسير يقولون إنه يعزو إلى الله، سبحانه وتعالى، عملاً من الواضح أنه ظُلْمٌ، لأنه يزعم أن الله وضع رجلاً بريئاً (أي بريئاً من التهمة الـتي وُجِّهَت إلى عيسى، عليه السلام) على الصليب ليُصلَبَ بدلاً منه. ولكن الله، سبحانه وتعالى، قال مراراً وتكراراً :**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ' (الآية 164 من سورة الأنعام (6)، الآية 15 من سورة الإسراء (17)، الآية 18 من سورة فاطر (35)، الآية 7 من سورة الزمر (39)، الآية 38 من سورة النجم (53).

خامساً: إن القرآن يُصرِّحُ بما معناه أن الله، سبحانه وتعالى، رفع عيسى، عليه السلام، إليه:

﴿ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً {158} ﴾.

(الآية 158 من سورة النساء 4).

﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... {55} ﴾.

(الآية 55 من سورة آل عمران 3).

ثم يمضي القرآن فيقول، موضِّحاً، إن كل نفس ذائقةُ الموت:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ {185} ﴾

(الآية 185 من سورة آل عمران 3).

حيث إن الله، سبحانه وتعالى، قال إن كل نفس ذائقة الموت، فهـذا يعـني أن عيسى، عليه السلام، أيضاً له نفس يجب أن تذوق الموت. ولذلك ينبغي طرحُ سـؤالٍ هو: هل كان لعيسى عليه السلام نفس؟ هل كان بشراً؟ وحيث إننا نعلم أنه ابن مريم، فلا بد لنا من أن نسأل: هل كانت مريم بشراً؟

يرُدُّ القرآن على ذلك بتصريحٍ يعلن فيه 'إنسانية' عيسى ومريم كليهما:

﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ {75} ﴾
(الآية 75 من سورة المائدة 5).

بتصريحٍ واحدٍ مذهلٍ، 'كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَام'، ينفي القرآن أن يكون عيسى، عليه السلام، ومريم أي شيء غير البشر.

ويقول القرآن أيضاً إن عيسى، عليه السلام، ما كان إلا عبداً لله سبحانه وتعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْض وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً {171} ﴾
(الآية 171 من سورة النساء 4).

﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ . . . {59} ﴾ (الآية 59 من سورة الزخرف 43).

وهكذا يتبيَّنُ بجلاء أن عيسى، في نظر القرآن، إنسان. ومن ثم فإنه ، هو أيـــضاً، يخضع لقانون الموت الذي يخضع له جميع الناس. وهو أيضاً ذائق الموت.

عيسى، عليه السلام، سيعود

أكد القرآن أن عيسى، عليه السلام، لم يمت (أي أنه لم يُقتَل و لم يُصلَب). وقال أيضاً إن الله، سبحانه وتعالى، رفعه إليه. وحيث إن القرآن قال إن كل نفس (بمـــن في ذلك عيسى) ذائقة الموت، فالنتيجة التي نخلص إليها من ذلك هي أن عيـــسى، عليـــه السلام، يجب أن يعود ويذوق الموت كما يذوقه كل إنسان آخر. يجب أن يعـــود إلى الأرض. (أي أن رفاته الفانية يجب أن تُعاد إلى الأرض التي أُخِذَت منها أوَّلاً) شـــأنه شأن كل إنسان آخر. وهذا عادة يأخذ شكل الدفن بعد الموت. فالقرآن يقول:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى {55} ﴾
(الآية 55 من سورة طـه 20).

ولكن القرآن وجَّه أيضاً إنذاراً قوياً حين تكلم عن موت عيسى، عليه الـــسلام. والإنذار هو أنه يجب على اليهود والنصارى جميعهم أن يؤمنوا بعيسى (أي كما أثبت القرآن مركز عيسى وموقفه بوصفه المسيح ونبياًّ من أنبياء الله) قبل أن يموت 'عيسى'. ولذلك تثبت هذه الآية بوضوح أن الخطة الإلـــٰهية لعيسى هي أن يعود يوماً مـــا وأن هذه العودة ستتم قبل موته:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً {159} ﴾

(الآية 159 من سورة النساء 4).

ومن ثم يجب على كل يهودي في ذلك اليوم أن يعترف بأن عيسى هو المـــسيح ويؤمن به، ويجب على كل نصراني أن يتخلى عن الإيمان بعيسى باعتبـــاره 'ابـــن الله' والشخص الثالث في ثالوث إلـــــٰهي .

وقد صرح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، مؤكداً بأشدِّ ما يمكن التأكيـــد، أن عيسى، عليه السلام، سيعود:

"روى أبو هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً.فيكسرَ الصليب ويقتلَ الخنزير ويَضَعَ الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد.
(صحيح البخاري).

والواقع أن عودة عيسى، عليه السلام، شرطٌ من أشراط الساعة العشرة التي ذكرها النبي، صلى الله عليه وسلم:

"عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال:

طلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال "ما تذاكرون؟" قالوا (الصحابة): نذكر الساعة. قال "إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات". فذكر (في هذا الصدد) الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم."
(صحيح مسلم)

فأشراط الساعة إذن هي:

- خروج الدجّال – المسيح الكذّاب،
- خروج يأجوج ومأجوج،
- عودة عيسى، عليه السلام – المسيح الحقيقي،
- ظهور الدخان،
- ظهور دابة الأرض (في الأرض المقدسة)،
- طلوع الشمس من المغرب،
- خسف في مشرق الأرض،
- خسف في مغربها،
- خسف في جزيرة العرب،

- نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم.

(يرجى ملاحظة أن هذه الأشراط ليست مرتبة بحسب التسلسل الزمني لمواعيــد حدوثها.)

وأكد القرآن أن عودة عيسى، عليه السلام، هي 'شرطُ أشراطِ' اليوم الآخر:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ . . . {61} ﴾ (الآية 61 من سورة الزخرف 43).

وأعطى عيسى، عليه السلام، هو نفسُهُ أشراطاً ينبغي أن يبحث عنها الناس حين يعود:

- يظهر أناس يُسَمّون أنفسهم المسيح ولكنهم كاذبون،
- ستكون هناك حروب وإشاعات بقيام حروب،
- ستحصل مجاعة في العالم لم يسبق لها مثيل،
- ستجتاح الأوبئة العالم،
- ستحصل زيادة هائلة في الخروج على القانون ووحشية الإنسان للإنسان،
- ستزداد الزلازل حدةً وعدداً.

والآن لدينا توضيح الصورتين المتناقضتين للمسيح في الكتب السماوية – الأولى: مسيح وديع متواضع سيعاني الأمرَّيْن، والثانية: فاتح عظيم. حين يعود عيـــسى عليـــه السلام، فإنه سيحقق صورته الثانية.

ولكن النبي محمداً، صلى الله عليه وسلم، كشف عن أن الله، ســـبحانه وتعـــالى سيُخرِج، قبل عودة عيسى عليه السلام، **المسيح الدجاّل** إلى العالم في آخر الزمان.

من هو الدجّال؟

أعظم حلم يحلم به اليهود منذ ألفي سنة هـو أن يعـودوا إلى الأرض المقدسـة حكاماً على الأرض لكي يعيدوا مجد دولة إسرائيل التي أسسها النبيان–المِلِكـان داوُد وسليمان عليهما السلام، ويعيدوا بناء الهيكل الذي بناه سليمان في القدس، ويعبـدوا إلــٰه إبراهيم في ذلك الهيكل. ويجب أن يُعتبر هذا حُلُماً نبيلاً جداً بالفعل. فالشعب الذي يحلم هذا الحلم، ويعتبره أعظم أحلامه جميعاً، يجب أن يكون شعباً قد بلـغ أوج العظمة الروحانية. يجب أن يكون شعباً يُؤثِرُ الآخرة على الحياة الـدنيا، وأن تكـون نظرته الروحية الثاقبة قد نفذت إلى الداخل متجاوزة حدود المظاهر 'الخارجية' لمعرفـة 'حقيقة' الأمور. ولذلك ينبغي، على الأقل، أن يعرفوا أن مثل هذا الحلـم النبيـل لا يمكن تحقيقه بإقامة دولة إسرائيل التي هي أساساً ملحدة، بواسطة حكـم الإرهـاب والظلم في الأرض المقدسة الذي دام حتى الآن أكثر من خمسين سـنة داميـة. ومـن المستبعد أن يمكن استمرار الظلم خمسين سنة أخرى قبل أن يواجهوا العواقب الوخيمة.

الآن، يعتقد اليهود–الإسرائيليون جميعهم أن حلمهم العظيم لا يمكن أن يتحقـق حتى يظهر ذلك النبي الخاص المسمى المسيح. فهو "سوف يجلب الخـلاص في آخـر الزمان، حين يُتوَّجُ ملكاً للعالم" ويتكرر القول في حكم المسيح هذا في أماكن أخـرى من الكتاب المقدس.. اليهود الأوروبيون الذين أنشأوا الحركة الصهيونية لا يشاركون، طبعاً، في هذا التعلُّق بالنبوءات المتصلة بالمسيح.

أمر الله، سبحانه وتعالى، بأن يسلِّم **المسيح الدجال** لليهود، بالخديعة، ما يأخذونه ويتشبثون به باعتباره تحقيقاً لذلك الحلم العظيم، أي العـودة إلى **أرضهم** المقدسـة، وبعث دولة إسرائيل، وتعيين ملك يحكمهم: (**ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**–الآية 246 من سورة **البقرة** 2)، وإعادة بناء الهيكل. وما حقيقةُ أنهم خُدِعوا خديعةً كاملـةً

ومطلقةً على يد دولة إسرائيل الكاذبة إلا دليل على استمرار العمى الروحاني الذي هم فيه:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {39} ﴾

(الآية 39 من سورة النور 24).

إن دولة إسرائيل الآن بالضبط في وضع الرجل الذي يكاد يقتله الظمأ في الصحراء وينخدع بالسراب يظنه ماءً.

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {76} وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {77} ﴾

(الآيتان 76-77 من سورة النمل 27).

من 'الظاهر' اليوم أن 'الحلم العظيم' قد تحقَّقَ تحقُّقاً يكاد يكون تاماًّ. فاليهود الإسرائيليون عادوا إلى الأرض المقدسة، أو لديهم الحرية لأن يعودوا، من أي مكان في العالم يوجدون فيه. ودولةُ إسرائيل أقيمت في عام 1948 وهي الآن حقيقة واقعة. وكلُّ ما هو باقٍ لتحقيق الحلم العظيم تحقيقاً كاملاً هو تعيين ملك، وتدمير المسجد الأقصى ليمكن إعادة بناء الهيكل:

"14 إذا دخلتُمُ الأرض التي يُعطيكُمُ الرّبُّ إلهُكُم وامْتَلَكْتموها وسكَنتُم فيها وقلتُم: «نُقيمُ علينا مَلِكًا كسائرِ الأُمَمِ الذينَ حَوالينا»، 15فأقيموا عليكُم مَلِكًا يختارُهُ الرّبُّ إلهُكُم (سفر التثنية، 17: 14-15).

وعلاوة على ذلك، يجب أن تصبح إسرائيل الدولة الحاكمة في العالم ويجب أن يحكم مَلِكُ إسرائيل العالمَ من القدس.

والنتيجة التي لا مفر منها هي أن كل هذا لا يمكن أن يتحقق من دون المسيح. هذا هو 'الظاهر'. فما هي 'الحقيقة'؟

إن 'حقيقة' كل هذا، عندما يُنظَرُ إليه من زاوية الإسلام، هي أن **الدجاّل** قد خدع اليهود وجعلهم يعتقدون بأن نعمة الله قد قرَّبتهم كثيراً من تحقيق حلمهم العظيم. 'الحقيقة' هي أن عَماهُمُ الروحاني أوقعهم في فخٍّ إلـٰهي ليس لهم مهرب منه الآن. فهم يشجبون الاضطهاد والظلم في العالم ولكنهم يبررون اضطهادهم وظلمهم للآخرين. وهم يفعلون ذلك بحجة أنه لهم مكانة خاصة عند الله، سبحانه وتعالى، ليست لأي أحد غيرهم. وحيث إنهم يعتقدون بأن الأرض المقدسة ملك لهم، فهم يعتقدون أيضاً بأن لهم الحق في تحريرها من القوم الذين يعيشون فيها منذ مئات السنين. 'فالغاية' تبرر 'الواسطة'. و'الحقيقة' هي أن **الدجاّل** ضللهم وتوَّهَهُم وخدعهم خديعة تامة.

والدجاّل مخلوق خلقه الله، سبحانه وتعالى،، وسيتشبه بالمسيح مدعياً أنه هو، ويخدع اليهود فيجعلهم يعتقدون بأنه هو المسيح الحقيقي. وقد حبا اللهُ العزيزُ الحكيمُ **الدجاّل** قوة هائلة وقدرة على التغير وقدرة على خداع الناس والإيقاع بهم. النصارى يسمونه '**عدو المسيح**' (***Anti-Christ*** بالإنكليزية). وسيظهر **الدجاّل**، الشيطانُ الذي خلقه الله، سبحانه وتعالى،، يوماً ما في العالم على هيئة إنسان. وحين يفعل ذلك سيكون يهودياً، قوي البنية، أجعد الشعر. وقد اشتبه النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بشابٍّ يهوديٍّ، اسمه ابن صياد، ظناً بأنه هو **الدجاّل**. وهو بذلك يؤكد أن **الدجاّل قد خرج فعلاً إلى العالم** وسوف يظهر يوماً ما في هيئة:

- إنسان،
- يهودي،

- شاب.

المسيح الحقيقي، كسليمان عليه السلام، سيحكم العالم من عرش داوُد، أي من القدس. ولكي يفعل ذلك، يجب عليه أوَّلاً أن يحقق ما يلي:

- أن يحرر الأرض المقدسة من حكم القوم الذين لا يعبدون إلـــٰـه إبراهيم،
- أن يعيد الشعب المختار (الذين كانوا، في وقت الوعد الإلـــٰـهي، يهـــوداً) إلى الأرض المقدسة،
- أن يبعث دولة إسرائيل التي أنشأها داوُد وسليمان، عليهما السلام،
- أن يجعل إسرائيل تصبح **الدولة الحاكمة** في العالم.

وإذا نجح **الدجاّل** في التشبُّه بالمسيح الحقيقي فمن المفروض، بناءً على ما تقدم، أن يفعل هو أيضاً كل الأشياء المذكورة أعلاه.

وبناء على هذا القول، ربما يثار سؤال: إذا كان **الدجاّل** – عـــدو المـــسيح – مسؤولاً عن كل هذه الخديعة الكبرى لليهود، وأكثر من ذلك بكثير، وإذا كان قـــد أُخرِجَ فعلاً وأنه موجود الآن على الأرض، فأين هو؟ تكلم النبي، صلى الله عليه وسلم (في ما يمكن الاعتراف بأنه أصعب الألغاز حلاًّ)، فقال ما يأتي عن **الدجاّل** :

عن النواس ابن سمعان، قال: ... قلنا: يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، كم سيمكث على الأرض؟ قال: [سيمكث] **أربعين يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكم.**

(صحيح مسلم، السنن، الترمذي)

لذلك فإن **اليوم من أيام الدجاّل سيكون كأيامنا** في آخر حياته على الأرض فقط. ثانياً، إن **الدجاّل** سيكون في بُعدِنا الزمني ليكون يومه كأيامنا. ولـــذلك ســـيكون في 'عالمنا' في آخر حياته فقط، حين يدخل عالمنا ليكمل مهمته المتمثلة في التشبُّه بالمسيح.

وكان وعدُ الله، سبحانه وتعالى، أن يحكم المسيح العالم من عرش داوُد، أي من القدس، التي ستكون قلب دولة إسرائيل. ومن الواضح، إذن، أن يكون **الدجّال** في القدس بجسده في آخر أيام حياته على الأرض في ذلك الوقت، لأن 'اليوم من أيامه سيكون كأيامنا'، وربما أمكن لنا أن نراه. وعندئذٍ سنراه كيهودي، شابٌّ، قوي البنية أجعد الشعر، إلخ. ويجب أن يكون أيضاً **حاكم** العالم، الذي **سيحكم** العالم من القدس. هذا هو جواب السؤال المتعلق بالدور الاستراتيجي المقدر للقدس أن تؤديه في نهاية التاريخ.

قبل ذلك سيكون حولنا، إلى حد كبير بنفس الطريقة التي يوجد بها الملائكة والجن حولنا دائماً ولكنهم لا يدخلون 'عالمنا' (في يوم كأيامنا) ومن ثم لا نراهم. سيهاجمنا باستمرار ليختبر إيماننا. سيحيك شبكة خداعه ولكننا لن نتمكن من ملاحظته بحواسِّنا العادية لأن '**يومه لن يكون كأيامنا**'. في أي مكان من الأرض سيكون **الدجّال** حينما يطلقه الله، سبحانه وتعالى، في **يوم كسنة من أيامنا**، ثم في **يوم كشهر** ، ثم في **يوم كجمعة**؟ نعلم أنه سيكون على الأرض، لكن في أي مكان من الأرض؟

من حسن الحظ أن لدينا جواباً على السؤال الأول، وهذا الجواب يفتح لنا إمكانية إيجاد أجوبة للأسئلة الأخرى. جواب السؤال الأول موجود في **حديث** يعرف باسم **حديث** تميم الداري. كان تميم الداري نصرانياً واعتنق الإسلام في المدينة المنورة. جاء إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، وروى له شيئاً مرَّ به فيما يتعلق **بالدجّال**. وليس من الواضح إن كان ذلك حلماً أو رؤيا أو خبرة عملية في الحياة الحقيقية. وطلب النبي، صلى الله عليه وسلم، من الناس أن يظلوا جالسين في المسجد بعد الصلاة ليروي لهم ما رآه تميم من أمر **الدجّال**. وقال إن ما رواه له تميم الداري يؤكد ما كان هو يقوله عن **الدجّال**. وفيما يلي **الحديث**:

"عن عامر بن شرحبيل الشعبي، أنه سأل فاطمة بنت قيس، أخت الـضحاك بـن قيس. وكانت من المهاجرات الأُوَلِ. فقال: حدثيني حديثاً سمعتِهِ من رسول الله، صلى الله عليه وسلم،.لا تسنديه إلى أحد غيره. فقالت: لئن شئت لأفعلنَّ. فقال لها: أجل.حدثيني. فقالت: نكحتُ ابن المغيرة. وهو من خيار شباب قريش يومئذ. فأصيب في أول الجهاد مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فلما تأيَّمتُ خطبني عبد الرحمن بن عوف، في نفرٍ من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم. وخطبني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على مولاه أسامة بن زيد. وكنت قد حُدِّثتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال "من أحبني فليحبَّ أسامة" فلما كلمني رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قلت: أمري بيدك. فأنكحني من شئت. فقال "انتقلي إلى أم شريك" وأم شريك امرأة غنية، من الأنصار. عظيمة النفقة في سبيل الله. يترل عليها الضِّيفان. فقلت: سأفعل. فقال "لا تفعلي. إن أم شريك امرأة كثيرة الضِّيفان. فإني أكره أن يسقط عنك خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين. ولكن انتقلي إلى ابن عمك، عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم" (وهو رجل من بني فِهْرٍ، فِهْرِ قُريش، وهو من البطن الذي هي منه) فانتقلتُ إليه. فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي، منادي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ينادي: الصلاة جامعة. فخرجت إلى المسجد. فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك. فقال "ليلزم كل إنسان مصلاه". ثم قال "أتدرون لما جمعتكم؟" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال "إني، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم. وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجّال. حدثني؛ أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذام. فلعب بهم الموج شهراً في البحر. ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس. فجلسوا في أقرب السفينة. فدخلوا الجزيرة. فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر.لا يدرون ما قُبُلُهُ من دُبُرِهِ.من كثرة الشعر.فقالوا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم! انطلقوا إلى هذا الرجل في

الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير.فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناه قطُّ خَلْقاً. وأشدُّه وثاقاً، مجموعةٌ يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد. قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري. فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب. ركبنا في سفينة بحرية. فصادفنا البحر حين اغتلم. فلعب بنا الموج شهراً. ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه. فجلسنا في أقربها. فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يُدرىَ ما قُبُلُهُ من دُبُرِهِ من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير. فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً. وفزعنا منها. ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا يثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغَر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأمِّيِّين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب [المدينة المنورة]. قال: أقاتَلَهُ العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إنَّ ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني. إني أنا المسيح. وإني أوشك أن يؤذن لي بالخروج. فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتُها في أربعين ليلة. غير مكة وطيبة، فهما محرَّمتان عليَّ، كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدةً، أو واحداً منهما، استقبلني مَلَكٌ بيده السيف صلتا، يصدني عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطعن بمخصرته في المنبر "هذه طيبة. هذه طيبة . هذه طيبة" يعني المدينة "ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟" فقال الناس: نعم. "فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل

المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو. من قبل المشرق، ما هو" وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم."

(صحيح مسلم)

يتضح جيِّداً من هذا الحديث أنه عندما يخـــرج **الدجاّل** إلى العـــالم ســـيكون – جغرافياًّ – موجوداً في تلك الجزيرة، ومن تلك الجزيرة سينطلق ليبدأ مساعيه في تقليد المسيح بتحرير الأرض المقدسة من حكم غير اليهود، إلخ. فأي جزيرة تلك؟

الجزيرة هي بريطانيا

في رأينا أن الجزيرة المشار إليها في الحديث هي بريطانيا. والدليل الـــذي يؤيـــد دعوانا دليل مذهل حقاًّ. انظر ما يلي: في عام 1917 أصدرت حكومـــة 'الجزيـــرة' بريطانيا وعدَ بلفور الذي أعلنت فيه لعالَمٍ مذهولٍ أنها تؤيد إقامةَ وطنٍ قوميٍّ يهـــوديٍّ في الأرض المقدسة. ثم، في عام 1917- 1918أيضاً،كان الجيش الذي هزم الأتراك وحرر الأرض المقدسة من حكم المسلمين جيشاً بريطانياًّ بقيادة الجنرال أللنبي. ومـــن عام 1919 حتى عام 1948 حكمت بريطانيا الأرض المقدسة بموجـــب انتـــدابٍ منحتها إياّهُ عصبَةُ الأمم. وشهد العالم خلال هذه الفترة هجرة أعداد هائلة من اليهود الأوروبيين إلى الأرض المقدسة. وقد أدت كراهيةُ الألمان البالغة لليهـــود لخيانتـــهم في الحرب العالمية الأولى (عقد اليهود الألمان صفقةً مع بريطانيا قوامها أنهـــم ســـيجعلون الولايات المتحدة الأمريكية تدخل الحرب إلى جانب بريطانيا إذا وعدت بريطانيا، من جانبها، بإعطائهم الأرض المقدسة عندما تنتصر في الحرب) وما أسفر عنه ذلـــك مـــن ظهور هتلر، إلى اضطهاد اليهود بالجملة، فزادت الهجرة اليهودية من أوروبا إلى الأرض المقدسة زيادة هائلة. وأخيراً، في عام 1948، قامت بريطانيا بـــدور '**القابلة**' الـــتي وَلَّدَت الطفل، أي إعلان استقلال دولة إسرائيل. ومن الجدير بالذكر، عـــلاوةً علـــى ذلك، أن جزيرة بريطانيا تقع على مسيرة شهر بالسفينة من العالم العربي، عبر البحـــر

الأبيض المتوسط! ومن المهم أن نذكر أيضاً أن البريطانيين برعوا في التجسُّس. فـأفلام شِرلوك هولمز وجيمس بوند هي المقابل الخيالي للورنس العرب.

ربما يكون هناك أشخاصٌ ما زالوا يخالفوننا الرأي الذي عرَّفنا فيه بريطانيا بأنها الجزيرة المذكورة في الحديث الشريف. ونردُّ على هؤلاء الناس بأن نطلب منهم بكل احترامٍ أن يصححونا. ولكي يفعلوا ذلك، عليهم هم أنفسهم أن يذكروا لنا الجزيرة (المعنية)، ويعطونا الدليل على صحة ادِّعائهم وبطلان ادِّعائنا.

بذلك استنتجنا أن الحديث أبلغَنا أنه عندما خرج **الدجال** إلى الأرض وبدأ مهمته المتمثلة في تقليد المسيح 'في يومٍ كسنة' خرج من جزيرة بريطانيا. ولاحظنا أيضاً أنه في هذه الفترة كانت بريطانيا هي '**الدولة الحاكمة**' للعالم. ولاحظنا أيضاً أنه عندما كانت بريطانيا هي '**الدولة الحاكمة**' للعالم كانت تسيطر على مال العالم أيضاً. وكانت تفعل ذلك بواسطة بنك إنكلترا. وكانت لندن فعلاً العاصمة المالية للعالم.

ولكنا لاحظنا أيضاً بعد ذلك أنه مرت فترة من الزمن حدث فيها بصورة غريبة وغامضة أن بريطانيا لم تَعُدْ '**الدولة الحاكمة**' للعالم، وحلَّت محلها الولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو أن عملية التغيير هذه بدأت بحربٍ، أي الحرب العالمية الأولى، وانتهت بحربٍ أخرى، هي الحرب العالمية الثانية. وفي رأينا أن الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية شهدت انتقال **الدجال من يومٍ كسنة إلى يومٍ كشهر**. ومن المهم جداً أن نراقب عملية التغيير هذه ببصيرةٍ ثاقبةٍ، لأنها ستعطينا الإشارات التي نعرف بها اللحظة التي سينتقل بها **الدجال من يومٍ كشهرٍ إلى يومٍ كجمعةٍ**.

وقع عملٌ إرهابي في صيف عام 1914 بمدينة سراييفو، أسفر عن اغتيال الدوق الأكبر فرانز فرديناند، ولي عهد الإمبراطورية النمساوية-المجرية. كان الجاني صربياً، ولكن آثار أقدامه أدت بقَصاّصي الأثر إلى روسيا. ومَن خطَّطَ لاغتيال الدوق الأكبر، أياًّ كان المخطِّط، وترك آثار الأقدام التي أدت إلى روسيا، إنما أراد أن تعلن

الإمبراطورية النمساوية–المجرية الحرب على روسيا. ولم تكن روسيا هي الهدف الحقيقي المقصود باغتيال الدوق، وإنما حليفة روسيا، أي بريطانيا. وكان الهدف الثاني الدولة العثمانية الإسلامية. كان لا بد من القضاء عليها، ولا بد من أن يكون هذا القضاء على يد بريطانيا. وعندما أعلنت الإمبراطورية النمساوية–المجرية الحرب على روسيا دخلت بريطانيا وفرنسا الحرب فوراً مساندةً لروسيا. وردَّت ألمانيا على ذلك بدخول الحرب مساندةً للإمبراطورية النمساوية–المجرية. وكانت الخطة التي رمى إليها الاغتيال إضعاف الاقتصاد البريطاني بالحرب إلى حدٍّ تفقد معه بريطانيا في النهاية مركزها بوصفها '**الدولة الحاكمة**' للعالم، وتحل محلها دولة أخرى. وكان الجناةُ الذين نفَّذوا عملية الاغتيال أكثر خداعاً من الشيطان؛ فهاجموا الإمبراطورية العثمانية الإسلامية في الوقت نفسه. وكانت تلك الدولة ما زالت تشكِّل عقبةً كؤوداً أمام تحرير الأرض المقدسة وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة وبَعْثِ دولةِ إسرائيل من جديد. وكان أفضل سبيل ممكن لإزالة هذه العقبة هو الحرب. وهكذا اضطُرَّت الإمبراطورية العثمانية الإسلامية، بمؤامرة داخلية ماهرة، إلى دخول الحرب مساندةً لألمانيا. واستُخْدِمَت بريطانيا في النهاية لا للهجوم على الإمبراطورية العثمانية الإسلامية وتدميرها فحسب، وإنما للقضاء على الخلافة الإسلامية أيضاً. (انظر كتابنا المعنون: "***The Caliphate, the Hijaz and the Saudi-Wahhābi Nation-State***". (**الخلافة والحجاز والدولة-الأمَّة السعودية-الوهّابية**)).

لكن الحرب كانت كارثة على بريطانيا في الفترة 1914-1916. أوَّلاً، انتزعت الغواصات الألمانية من بريطانيا السيطرة على البحار. ثانياً، احتلت ألمانيا فرنسا وأقامت في باريس حكومة مؤيدة لألمانيا. ثالثاً، كان الجنود الروس يهربون من الجيش ويتراجعون في الميدان. وأخيراً كانت بريطانيا في عام 1916 في ضائقة شديدة وكأنها أُلقِيَت على شاطئٍ وأصبحت مهددة بالمجاعة. ثم جاء التغيير الهائل في عام 1916: اتصل اليهود ببريطانيا وعرضوا عليها أن يجعلوا الولايات المتحدة تدخل الحرب مساندةً

لبريطانيا إذا وعدت بريطانيا مقابل ذلك بإعطاء الأرض المقدسة لليهود في نهاية الحرب. قبلت بريطانيا العرض. ثم وجَّهَ اليهودُ آلة دعايتهم الهائلة في الولايات المتحدة الأمريكية ومارسوا كل ضغط ممكن حتى نجحوا في النهاية في جعل الولايات المتحدة تدخل الحرب في عام 1916 مساندةً لبريطانيا. وردَّت بريطانيا بعد ذلك بسنة بإصدار وعد بلفور. وشهد عام 1916 أيضاً الاختتام الناجح لحملة التجسس الرائعة التي قام بها الجواسيس البريطانيون في شبه جزيرة العرب.

نجحت بريطانيا في تحقيق هدفين هامَّين جداً يشكِّل كلٌّ منهما ضربةً استراتيجيةً للدولة العثمانية الإسلامية. الأول كان توقيع معاهدة مساعدة متبادلة وحياد حميد بين بريطانيا وعبد العزيز آل سعود (الذي كان آنذاك حاكماً للرياض). وكانت تكلفة ذلك مجرد 5000 جنيه استرليني في الشهر يأخذها عبد العزيز من الخزانة البريطانية. والثاني كان النجاح في إغراء الشريف حسين، الذي عينته الدولة العثمانية شريفاً لمكة المكرمة والحجاز، بالثورة على الخليفة العثماني وإعلان استقلاله. وكانت التكلفة على بريطانيا مبلغاً كبيراً مقداره سبعة ملايين جنيه استرليني (انظر كتابنا المعنون: "***The Caliphate, the Hijaz and the Saudi-Wahhābi Nation-State***". (الخلافة والحجاز والدولة-الأمَّة السعودية-الوهّابية)).

هكذا غيَّرَ عام 1916 مسار الحرب وانتصرت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واليهود في نهاية المطاف. ولم تُهزم ألمانيا فقط، وإنما – وهذا هو الأهم – تقطَّعَت أوصال الدولة العثمانية الإسلامية وظهرت مكانها دولةُ تركيا العلمانية. بل إن القيادة العلمانية في تركيا سارعت على الفور إلى التفاوض و**عقد حلف هجومي ودفاعي** مع بريطانيا نفسها التي قامت بالدور القيادي في تقطيع أوصال الدولة العثمانية الإسلامية. ولكنَّ الحربَ حطمت بريطانيا إلى حدٍّ أنها خسرت مكانتها وحلت محلها الولايات المتحدة باعتبارها **الدولة الحاكمة** في العالم. ولقد تأكَّد ذلك في الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين، ثم بعد الحرب العالمية الثانية. ففي الحرب العالمية

الثانية، مثلاً، كان ضابط أمريكي – الجنرال أيزنهاور – هو الذي قاد قوات الحلفاء. ثم، في عام 1944، عُقِدَ مؤتمر بريتون وودس لإقامة نظام مالي دولي جديد، فأعطى بياناً مقنعاً بشأن مركز بريطانيا الجديد المنقوص حين اختار الدولارَ الأمريكيَّ ليكون العملةَ الدوليةَ الجديدة، وبذلك حل محل الجنيه الإسترليني. وحل البنكُ الدوليُّ وصندوق النقد الدولي محل بنك إنكلترا باعتبارهما المؤسستين الماليتين الأولَيَين في العالم. وحلت وشنطن محل لندن باعتبارها العاصمة المالية للعالم، وبذلك أصبحت تسيطر على أموال العالم. وبعد انتهاء الحرب كانت الولايات المتحدة هي التي أعادت بناء الاقتصاد البريطاني والأوروبي بواسطة خطة مارشال. وفي أزمة السويس، في عام 1956، ثم في أزمة الصواريخ الكوبية في عام 1963، أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مُقنِع مركزها الجديد بوصفها **الدولة الحاكمة** في العالم.

وبنفس الطريقة التي كانت بها بريطانيا، **الدولةُ الحاكمةُ** في العالم، مهووسةً بالأرض المقدسة بشكل غريب (أي وعد بلفور), وكان الشعب البريطاني نفسُهُ عاجزاً عن تفسير هذا الهَوَس الغريب، كذلك كانت **الدولة الحاكمة** الجديدة، الولايات المتحدة الأمريكية، مهووسةً بشكل غريب بالأرض المقدسة، وكذلك أيضاً كان الشعب الأمريكي نفسُهُ عاجزاً عن تفسير هذا الهَوَس الغريب. فالولايات المتحدة، مثلاً، كانت أول دولة في العالم 'تعترف' بدولة إسرائيل الجديدة حين أعلنت استقلالها في عام 1948. ومنذ ذلك الحين والولايات المتحدة تتصرف كأنها الحامي الرئيسي لإسرائيل، 'في السَّرّاء والضَّرّاء'! وقدمت الولايات المتحدة لإسرائيل معونات مالية واقتصادية وعسكرية هائلة. والواقع أن مجموع المعونة التي قدمتها لإسرائيل يكاد يفوق مجموع المعونة التي قدمتها الولايات المتحدة لسائر العالم. بعض المعونات المقدمة من الولايات المتحدة أُرسِلَت إلى إسرائيل من قِبَلِ حكومة الولايات المتحدة مباشرة، ولكن قدراً كبيراً من المعونة أُرسِلَ أيضاً من قِبَلِ اليهود المقيمين في الولايات المتحدة. وبقدر ما يتعلق الأمر بالمعونات العسكرية، أُرسِل بعضُها من 'الباب الأمامي' وبعضُها الآخر

من 'الباب الخلفي' (قضية جوناثان بولارد الذي أعطى إسرائيل أسراراً نووية أمريكية ربما تكون أشهر القضايا). ونتيجةً لذلك أصبحت إسرائيل دولة نووية ونووية–حرارية على قدم المساواة مع الدول النووية في العالم.

وقد تجلَّت العلاقات الغريبة، وغير الطبيعية، والغامضة، التي لا يمكن تفسيرها، بين إسرائيل والولايات المتحدة بأجلى صورةٍ مرةً أخرى قبيل الهجوم الذي تعرضت له أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر. فقد أدان المؤتمر العالمي المعني بالعنصرية والتمييز العنصري، المعقود في دربان بجنوب إفريقيا، إسرائيلَ بقوَّةٍ لظلمها الشعب الفلسطيني. وردَّت إسرائيل على هذه الإدانة العالمية بأن خرجت من المؤتمر. وأبدت دولة واحدة أخرى في العالم تضامنها مع إسرائيل بالخروج من المؤتمر: وهي الولايات المتحدة!

النتيجة التي نخلص إليها هي أن **الدجال** موجود – جغرافياً – في الولايات المتحدة أثناء المرحلة التي يكون فيها '**يومه بشهر**'. ونمضي فنقول في هذا الكتاب إننا نمرُّ الآن باللحظة التي يوشك فيها **الدجال** أن ينتقل إلى تلك المرحلة من حياته على الأرض حين '**يكون فيها يومه بجمعة**'، التي ستشهد حلول إسرائيل محل الولايات المتحدة بوصفها '**الدولة الحاكمة**' في العالم. بل إننا حددنا الهجوم الذي وقع على الولايات المتحدة في يوم 11 أيلول/سبتمبر بأنه الجولة الأولى – الافتتاحية – من العملية التي سيُنجَزُ فيها هذا التغيير في **الدول الحاكمة**. (انظر المرفق الثاني – 'ردٌّ إسلامي على الهجوم على أمريكا'.)

نظراً إلى أن القرآن نفسه أعلن أنه "تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" (الآية 89 من سورة النحل 16)، فإنه قادر على تفسير هذا الحادث الذي هو أغربُ حادثٍ شهده التاريخ الديني للبشرية، أيْ بَعثُ دولة إسرائيل في الأرض المقدسة بعد نحو ألفي سنة من قضاء الله، سبحانه وتعالى، عليها.

القـــدس فـــي القـــــرآن

مقصدنا من اللجوء إلى القرآن بحثاً عن هذا التفسير هو توجيه الأنظار إلى ذلك الهُدى الإلـٰهي الذي سوف يساعد المسلمين في كل أنحاء العالم على الردِّ رداً مناسباً على الأحداث الغريبة التي تتكشف جوانبها في الأرض المقدسة.

قبل أن نعود إلى دراسة أشدِّ النبوءات الإلـٰهية إنذاراً بالخطر التي تحققت بالفعل، أي نبوءة أن الله، سبحانه وتعالى، سيُعيدُ اليهود إلى الأرض المقدسة في '**آخر الزمان**'، يَلزَمُنا أن ننظر في موضوع ميرزا غلام أحمد، الذي هو أكبر كذبة عرفها العالم رداً على نبوءة 'عودة المسيح'.

الفصل التاسع

ميرزا غلام أحمد:
مسيح دجّال

روى أبو هريرة أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: "والذي نفسي بيده ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدْلاً، فيكسرَ الصليب ويقتلَ الخنزير ويَضَعَ الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. وإن سجدة واحدة لله (في الصلاة) ستكون أفضل من الدنيا كلها وما فيها." وأضاف أبو هريرة قائلاً، "بوسعكم، إن أردتم أن تقرأوا (هذه الآية من القرآن الكريم) "

﴿' وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (اليهود والنصارى) إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ (أي بالمسيح) قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً .'" (الآية 159 من سورة النساء 4) ﴾.

(صحيح البخاري).

ميرزا غلام أحمد مسلم بنجابي عاش في مدينة قاديان في الهند في بداية القرن العشرين. وتوفي في الوقت الذي بدأت فيه الحرب العالمية الأولى. و لم يعش ليرى انتقال السلطة من دولة حاكمة (بريطانيا) إلى أخرى (الولايات المتحدة)، الذي حدث أثناء الحرب العالمية الأولى. و لم يعش ليرى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة وإقامة دولة إسرائيل في عام 1948. و لم يعش كذلك ليرى ما نوشك نحن أن نشهده، أي انتقال السلطة من الولايات المتحدة إلى دولة حاكمة أخرى – دولة إسرائيل اليهودية. ويتوقع هذا الكتاب أن يحدث ذلك في غضون خمس إلى عشر سنوات، إن لم يكن قبل ذلك.

القدس في القرآن

لقد أذهل ميرزا العالم حين ادَّعى عدداً من الادِّعاءات تتعلق بعودة المسيح. فقد أنشأ الحركة الأحمدية في الهند، وبدأت على الفور في بذل جهد استثنائي في العالم الغربي للتبشير بين الأوروبيين وحثهم على اعتناق الأحمدية. ولكن الحركة بذلت أيضاً جهوداً بالغة لتوجيه الانتباه بوجهٍ خاص إلى المسلمين الأفارقة الأمريكيين، أتباع **أمة الإسلام**، بقيادة إلايجا محمد. ونتيجة لذلك نجح ميرزا في التأثير على معظم المسلمين الأفارقة الأمريكيين الذين يقودهم اليوم الإمام وارث الدين محمد أو لوي فرحان في موضوع عودة المسيح. ولهذا السبب أصبح من الضروري أن نكرس هذا الفصل من الكتاب لادِّعاءات ميرزا.

وإذ تتكشف جوانب مسيرة التاريخ في هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ، يجب أن يتضح بصورة متزايدة لأتباعه ولمن أثَّرت فيهم تعاليمُهُ أن الادِّعاءات التالية التي جاء بها ميرزا غلام أحمد (الهندي) ادِّعاءات كاذبة تماماً:

- أنه هو الإمام المهدي الذي سيقود المسلمين في الوقت الذي يعود فيه المسيح،
- أن النبوءة المتصلة بعودة المسيح قد تحققت به هو،
- أنه نبيٌّ اختاره الله في إطار نبوَّةِ محمد، صلى الله عليه وسلم.

نأمل أن يستجيب الأحمديون لدعوتنا، التي نقدمها إليهم الآن، إلى استعمال القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لتفسير الأحداث التي حدثت بعد وفاة ميرزا (المذكورة أعلاه) لا سيما 'عودة' الشعب اليهودي إلى الأرض المقدسة وإقامة دولة إسرائيل. وإن فعلوا ذلك فإننا موقنون من أنهم سيكتشفون فهماً جديداً لمواضيع **الدجّال**، ويأجوج ومأجوج، والإمام المهدي، وعودة المسيح (عيسى ابن مريم) — فهماً يختلف تمام الاختلاف عما تلقَّوه من ميرزا غلام أحمد.

كُتِبَ هذا الكتاب لمساعدة الأحمديين في بحثهم عن تفسير قرآني لأغرب حدث وقع في التاريخ الديني للبشرية، أي عودة اليهود إلى الأرض المقدسة. ولا يمكن لأي فرد في الحركة الأحمدية أن يفهم أو يقبل الحجج والاستنتاجات الرئيسية الواردة في هذا الكتاب دون أن يرفض، في الوقت نفسه، ادِّعاءات ميرزا غلام أحمد بأنه هو المسيحُ الذي سيعود يوماً ما، والإمامُ المهديُّ، ونبيٌّ اختاره الله. **وَاللَّهُ يَهْدِي لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ !**

لم يكن اليهود وحدهم هم الذين خُدِعوا **بالدجال**. وإنما خُدِعَ به كذلك كثير من المسلمين الأتقياء الذين أظهروا سعياً صادقاً للإيمان بطرية تبعث على الخوف. فقد التحقوا بالحركة الأحمديه بكل إخلاص، وهم مقتنعون بأنهم اعتنقوا التعبير الوحيد الصادق عن **الإسلام** في العالم. ولكنهم، بدلاً من ذلك، وقعوا في فخٍّ نصبه لهم **الدجال**. فكيف خُدِعوا؟

تعتقد الحركة الأحمدية أن النبوءة المتعلقة بعودة المسيح قد تحققت في شخص ميرزا غلام أحمد. وثمة أسباب عدة لكذب هذا الادِّعاء. أوَّلاً، أن الأحاديث التي تتكلم عن 'عودة المسيح' أوضحت بجلاء أن المسيح الذي سيعود هو 'ابن مريم'. ولكن ميرزا غلام أحمد ابن امرأة من البنجاب. ثانياً، إذا كان ميرزا فعلاً هو تحقيق النبوءة المتعلقة بعودة المسيح فعليه – على ميرزا – إذن أن يقتل **الدجال** في حياته هو، لأن هذا هو المفروض بالمسيح أن يفعله. هذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم، في هذا الموضوع. سنورد الحديث كاملاً لفائدة القارئ:

." عن النواس بن سمعان، قال:

ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، **الدجال** ذات غداة. فخفض فيه ورفع. حتى ظنناه في طائفة النخل. فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال **"ما شأنكم؟"** قلنا: **يا رسول الله! ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت. حتى ظنناه في طائفة النخل.**

فقال "غير الدجال أخوفني عليكم. إن يخرج، وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم. وإن يخرج، ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه. والله خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌّ قطط. عينُه طافئة. كأني أُشَبِّهُهُ بعبد العُزَّى بن قطن. فمَن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلة بين الشام والعراق. فعاث يميناً وعاث شمالاً. يا عباد الله! فاثبتوا" قلنا: يا رسول الله! وما لُبثُهُ في الأرض؟ قال "أربعون يوما. يومٌ كسنة. ويومٌ كشهر. ويومٌ كجمعة. وسائر أيامه كأيامكم" قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال "لا. اقدروا له قدره" قلنا: يا رسول الله! وما إسراعه في الأرض؟ قال "كالغيثِ استَدْبَرَتْهُ الريحُ. فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له. فيأمر السماء فتمطر. والأرض فتنبت.فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصرَ. ثم يأتي القومَ. فيدعوهم فيردّون عليه قوله. فينصرف عنهم. فيصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم. ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزَكِ. فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً. فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم. فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. بين مهرودتين. واضعاً كفَّيه على أجنحة مَلَكَين. إذا طأطأ رأسَه قطر. وإذا رفعه تحدَّرَ منه جمانٌ كاللؤلؤ. فلا يحلُّ لكافرٍ يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات. ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرْفُهُ. فيطلبه حتى يدركه بباب لد. فيقتله. ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه. فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوجَ ومأجوجَ. وهم من كل حدب ينسلون. فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. وَيُحْصَرُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النَغَفَ في رقابهم. فيصبحون فَرسىَ كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله طيراً كأعناق البُخت. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردّي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة. ويستظلون بقحفها. ويبارك في الرسل. حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة. فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ. ويبقى شِرارُ الناس، يتهارَجون فيها تهارُجَ الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة."

(صحيح مسلم)

الحديث واضح: عيسى– المسيح الحقيقي – سيقتل **الدجال** – المسيح الكذّاب: "**فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله.**" فإذا كان ميرزا غلام أحمد قد حَقَّقَ النبوءة الواردة في الأحاديث المتعلقة بعودة المسيح، عليه السلام، فإن عليه أيضاً أن يقتل **الدجال**. ولذلك لا يمكن أبداً أن يظل **الدجال** مواصلاً مهمته بعد موت ميرزا. ولكن ميرزا مات بُعَيْدَ ظهور الحركة الصهيونية و لم يعش ليرى النصر الكبير الذي حققه **الدجال**، وهو إقامة دول إسرائيل '**الدجالة**' وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة. و لم يحدث في تاريخ البشرية الديني كله أيُّ حدث يمكن مقارنته بهذا الإنجاز الذي حققه **الدجال** (**انظر الفصل السابق**).

ثالثاً، يوجد كمٌّ هائلٌ من الأدلة (يراه الذين يرون بعينين اثنتين) **على أننا ما زلنا نعيش في عصر الدجال**. ومن هذه الأدلة ما يلي:

- الشِّرك الفلسفي في مادِّيَّةِ العصر الحديث الذي حقق نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، إذ قال في **الدجال** إنه سيحاول خداع البشرية لتعبده بدلاً من أن تعبد الله، سبحانه وتعالى،. وقد نبع قلبُ هجوم المادية ذاتُهُ من جزيرة بريطانيا. وحديث تميم الداري، الوارد في صحيح مسلم، يبيِّن أن **الدجال** عندما يخرج سيكون في جزيرة، ومن هذه الجزيرة سيشنُّ هجومه على البشرية وعلى اليهود. وقد بَيَّناّ أن الجزيرة لا يمكن أن تكون إلا بريطانيا.
- الشِّرك الفلسفي في نظرية المعرفة الغربية الحديثة، الذي ينكر صحة المعرفة 'الروحانية البدهية الداخلية'، وهو بادٍ بوضوحٍ في إنذار النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن **الدجال**'أعوَر'، ولكن "الله ليس بأعوَر". نظرية المعرفة العوراء هذه أخذت بها الحضارة الغربية الحديثة ثم نقلتها إلى سائر البشرية بالتعليم الغربي الحديث. وهنا أيضاً كانت بريطانيا هي التي قادت هجوم نظرية المعرفة هذه.

- الشِّرك السياسي العالمي الذي أخذت به الدولة العلمانية الحديثة، والذي حقق – هو أيضاً – نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، إذ أعلن أن **الدجال** سيستهدف البشرية ليجعلها تعبده، بدلاً من أن تعبد الله، سبحانه وتعالى،. فالحضارة الغربية الحديثة أنتجت الدولة العلمانية الحديثة، التي أعلنت أن السيادة للدولة وأن سلطة الدولة هي العليا، وأن قانون الدولة هو القانون الأعلى. فالله يمكن أن '**يحرِّم**' شيئاً ما، ولكن الدولة تستطيع أن '**تُحِلَّهُ**' ، أي أن **تشرِّعه**. وهذا شركٌ واضح، غير أن من المدهش أنه حتى المسلمون يجدون صعوبة في فهم هذا الشرك وإدراكه. وهنا أيضا كانت بريطانيا هي التي قادت الهجوم. والآن، آمَنَ العالَمُ كلُّهُ بالدولة العلمانية ومنظمة الأمم المتحدة العلمانية التي تقود النظام. ولكن هذا لم يكن قد حدث عندما مات ميرزا غلام أحمد.

- الثورة العلمية والتكنولوجية التي أتت للعالم بالسفر الجوي والفضائي، والهاتف وغير ذلك من معدات الاتصالات الحديثة، إلخ، خلطت بين ما هو مفيد بوضوح وما هو ضارٌّ إلى حد الخطر. هذه الثورة غير المكتملة ما زالت لها انتصاراتٌ غريبة وعجيبة ينبغي تحقيقها لخداع الناس خداعاً مخيفاً. هذه الثورة العلمية والتكنولوجية متصلة **بالدجال**، ويُستدل على ذلك من الأحاديث التي تعلن ، مثلاً، أن **الدجال** يركب حماراً يسير بسرعة الريح وتكون أذناه مفتوحتين انفتاحاً واسعاً. وهذا يشير إلى الطائرة والطائرة المقاتلة.

- خلق الله، سبحانه وتعالى، البشر ثم أعلن للملائكة أنه جاعل في الأرض خليفة (أي شخصاً يتصرف باسمه ويكون خاضعاً له). وهذا هو ما فعلته الخلافة الإسلامية بالضبط. فقد اعترفت بأن السيادة والسلطة العليا لله سبحانه وتعالى، واعترفت بقانون الله أنه القانون الأعلى. قضت عليها

الحضارةُ الغربيةُ بعد موت ميرزا وأحلَّت محلَّها الدولةَ العلمانية الحديثة التي أُسِّسَت على الشِّرك. وعانقت الدولةُ العلمانيةُ تركيا، مقــرَّ الخلافــة. ثم مضت فعانقت قلبَ الإسلام العربي قبل أن تمتد لتعانق العالمَ الإســلاميَّ بأسره. وبذلك دخل العالمُ الإسلاميُّ بأسره في الشرك. كان هذا عمــلَ **الدجّال**. ومع ذلك، حدث بعد موت ميرزا.

- الربا، الذي اجتاح الاقتصاد العالمي تحقيقاً لنبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي قال إن عصر **الدجّال** سيكون عصر الرِّبا العالمي. وتنبأ النبي، صــلى الله عليه وسلم، بذلك فقال: "**ليأتيَنَّ على الناس زمانٌ لا يبقى فيه أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره** ". هذه النبــوءة تحققــت الآن، فالربا يسيطر الآن على الاقتصاد العالمي بأسره. ولكنه لم يكن قــد فعــل ذلك بَعدُ حين مات ميرزا غلام أحمد.

الثورة النسائية الحديثة وكفاحها من أجل تحرير المرأة، التي حققت نبوءة الــنبي، صلى الله عليه وسلم، إذ قال إنَّ النساء ,سيكنَّ **"أكثر من يخرج إلى الدجال، حتى أن الرجل ليرجع إلى حريمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقهــا رباطا مخافة أن تخــرج إليه** '. (كنز العمال، المجلد 7، الحديث رقم 2116)

"... فأكثر من معه اليهود والنساء". '. (كنز العمال، المجلد 7، الحديث رقم 2114)

وقادت النساء البريطانيات هذا الكفاح. وكان في القرن العشرين فقــط، بعــد موت ميرزا غلام أحمد، أن تغلغلت الثورة النسائية بنجاح في العالم الإسلامي.

- التلوث البيئي، الذي يؤدي الآن إلى تغيُّر المناخ، الذي تنبَّأ النبي، صــلى الله عليه وسلم، بأنه سيحدث في عصر **الدجّال**. ها هو يحدث الآن في العالم، حتى ونحن نكتب هذا الكتاب، ولكن ميرزا مات منذ زمن بعيد.

- ➢ الخداع المخيف الواقع في العصر الحديث، حيث 'المظهر، و'الحقيقة' مختلفان تمام الاختلاف إلى حد أن طريق الجنة تبدو وكأنها طريق النار والعكس بالعكس، دليل على أن **الدجال** ما زال يعمل! وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، إن هذا هو ما يفعله **الدجال** بالفعل.
- ➢ تحرير' الأرض المقدسة من حكم غير اليهود (أي المسلمين) وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة، وإقامة دولة إسرائيل، كلها تمت بمشاركة 'جزيرة' نصرانية اسمها بريطانيا، تقع على بعد مسيرة شهر [بالسفينة] من شبه جزيرة العرب (تماماً كما جاء في حديث تميم الداري). وكل هذه أنجزت بعد موت ميرزا. وهذا يشكِّل دليلاً مقنعاً على أن الدجّال ما زال يعمل ويهاجم اليهود من جزيرة بريطانيا بعد فترة طويلة من موت ميرزا.
- ➢ من المرجَّح أن تحل دولة إسرائيل قريباً محل الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها **الدولة الحاكمة** في العالم، وعندئذٍ ستدَّعي بعودة عصر سليمان الذهبي. لم يحدث ذلك حتى الآن، ولكنه عندما يحدث سيشكل تقدُّماً آخر لعمل **الدجال** في سعيه إلى تحقيق مهمة التشبُّه بالمسيح. كل هذا سيحدث قريباً، ولكن ميرزا مات منذ نحو قرن من الزمان.

كل ما تقدم ذِكرُهُ هو من عمل **الدجال**، الذي **ما زال حياً يعمل**، ولكن ميرزا مات منذ زمن. يل إن كل ما تقدم ذكره برز بروزاً كاملاً في العالم واتخذ طابعاً عالمياً بعد فترة طويلة من موت ميرزا غلام أحمد. وإذا كان ميرزا غلام أحمد قد قتل **الدجال** فكيف يفسر أتباع ميرزا كل ما ذُكِرَ أعلاه؟ لعلَّ المبصرين من أتباع ميرزا يعترفون الآن بحقيقة العالم اليوم، ويعترفون بأن الحقيقة تختلف عن ادِّعاءات ميرزا غلام أحمد. آمين!

الفصل العاشر

يأجوج ومأجوج
في القرآن والحديث

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً {94} ﴾

(الآية 94 من سورة الكهف 18).

علَّمنا معلمنا، المرحوم مولانا الدكتور محمد فضل الرحمن أنصاري، رضـي الله عنه، درساً هاماً جداً في التماس المعرفة – لا سيما عندما يتعلق الأمر بمعرفة **الحق**. علَّمنا أنه لا يمكن أبداً دراسة 'الجزء' مستقلاً عن 'الكل' الذي ينتمي إليه أو في معزل عنه. ثانياً، علمنا أن الجمع الصحيح للمعرفة المتصلة بموضوع الدراسة يقتضي تنظيمها ككلٍّ أيضاً. ولكن هذا غير ممكن ما لم يجد المرء مبدأ الوحدة الذي يربط الأجزاء بعضها ببعض. وأطلق على مبدأ الوحدة هذا اسم 'نظام المعنى'. ونظام المعنى هذا هو الذي يجب أن نكتشفه عندما نحاول دراسة موضوع يأجوج ومأجوج. وما لم نعتمد هذا الأسلوب في الدراسة فإن موضوع يأجوج ومأجوج موضوع يمكن أن يَضِلَّ فيه أعظم العلماء.

القدس في القرآن

في حديث وحيد وارد في صحيح مسلم وردت إشارة إلى أن العالم لن يرى ظاهرة يأجوج ومأجوج إلا بعد عودة المسيح عليه السلام.

"فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور.ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون."

(صحيح مسلم)

ولكن الدليل الواضح المستمد من القرآن الكريم وما لا يقلُّ عن ثمانية أحاديث في صحيح البخاري مخالف لذلك. فهي تشير إلى أن يأجوج ومأجوج أخرجوا في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، قبل وقت طويل من عودة عيسى، عليه السلام.

وقد وردت إشارتان اثنتان فقط إلى يأجوج ومأجوج في القرآن. ولذلك يجب أن يكون أول جهد نبذله هو محاولة اكتشاف مبدأ الوحدة الذي يربط بين هاتين الإشارتين إلى يأجوج ومأجوج في القرآن.

الإشارة الأولى وردت في سورة الكهف، والثانية في سورة الأنبياء. إليكم الإشارة الأولى:

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرض فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً {94} ﴾

(الآية 94 من سورة الكهف 18).

هكذا نجد أن أول إشارة في القرآن الكريم إلى يأجوج ومأجوج تصفهم بأنهم أساساً مفسدون في الأرض. وشرح النبي، صلى الله عليه وسلم، ذلك قائلاً إن يأجوج طائفة من الناس تحَّدروا من آدم، عليه السلام. ونفس الشيء ينطبق على مأجوج. ويكمل الحديث الشريف القرآنَ الكريمَ منذراً بأن الله، سبحانه وتعالى، منح هاتين الطائفتين المفسدتين من القوة ما يجعلهما، بالمعايير الدنيوية، لا تُقْهَرانِ أبداً:

"فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور .ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية.فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابُه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض. فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله. فيرسل الله طيراً كأعناق البخت. فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله."

(صحيح مسلم)

تخبرنا سورة الكهف أن ذا القرنين بنى ردماً بين النـاس وهـؤلاء المفسدين. واستخدم زُبُرَ 'الحديد' ثم أفرغ عليه 'قِطراً' أي غلفه بطبقة من النحاس الذائب. ثم أعلن أن هذا الردم رحمةٌ من رَبـِّهِ، وأن الله، سبحانه وتعالى، سيهدم هذا الردم عندما يأتي وعدُ رَبِّهِ:

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً {98} ﴾

(الآية 98 من سورة الكهف (18))

فأيُّ وعدٍ هذا الذي يشير إليه؟ يتكشف الجواب بوضوح في الحديث الشريف الذي ذكر فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم، عشرة من أشراط الساعة. ومن بين هذه الأشراط العشرة إخراج يأجوج ومأجوج:

"عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال:

القدس في القرآن

اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال "ما تذاكرون؟" قالوا (الصحابة): نذكر الساعة. قـال "إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات". فذكر (في هذا الصدد) الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج. وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخِرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم."

(صحيح مسلم)

بعبارة أخرى، عندما يُفتَحُ ردمُ يأجوج ومأجوج ويُخرَجونَ تكون تلـك آيـةً كبرى تشير إلى أن الناس دخلوا آخر الزمان. والسؤال هو: كيف لنا أن نعلم أن الردم قد فُتِحَ وأن إخراج يأجوج ومأجوج قد بدأ؟ دعونا أوَّلاً ندرس الأحاديـث الثمانيـة التالية التي تجيب على هذا السؤال وكلها مأخوذة من صحيح البخـاري. ولا ينبغـي للقارئ أن يُفاجأَ بالتكرار. فهذه ليست أحاديث مختلفة، وإنما هي كلـها في نفـس الموضوع. ولكنَّ رواةَ الحديث مختلفون وفي رواياتهم اختلاف طفيف في النص. ونتيجة لذلك كان الحديث متواتراً، مما يجعله أقوى الأحاديث سنداً:

حدثنا وُهَيْبٌ ... عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: "يُفتَحُ الردمُ ردمُ يأجوجَ ومأجوجَ مثلَ هذه"، . وعَقَدَ وُهَيْـبٌ تِـسْعَين [بأصـبعيه السبابة والإبهام].

(صحيح البخاري)

عن زينب بنت جحش: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوماً فزعاً يقول: "لا إلـٰـه إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه"، . وحلَّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها: قالـت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أفنهلك وفينا الـصالحون؟ قـال: "نعم، إذا كثر الخبث".

(صحيح البخاري)

الحديث المذكور أعلاه مكرر في صحيح البخاري مع اختلاف طفيف في النصوص على النحو التالي:

حدثنا سفيان بن عيينة ... عن زينب بنت جحش؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه محمراً وجهه، وهو يقول "لا إلـٰـه إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وعقد سفيان بيده عشرة. قلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال "نعم. إذا كثر الخبث."

(صحيح البخاري)

حدثني حرملة بن يحيى ... أن زينب بنت جحش، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، دخل عليها يوماً فزِعاً، محمراً وجهُهُ، يقول "لا إلـٰه إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها. قالت فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال "نعم. إذا كثر الخبث".

(صحيح البخاري)

"عن زينب بنت جحش، رضي الله عنها، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، دخل عليها فزعاً يقول: "لا إلـٰه إلا الله، ويلٌ للعرب من شر اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلَّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها. قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث."

" عن أم سلمة، رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة، فقال: "سبحان الله، ماذا أُنزل الليلة من الفتنة، ماذا أُنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة".

القدس في القرآن

"عن أبي هريرة، رضي الله عنه، 'ن النبي، صلى الله عليه وسلم، قـــال: "**فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**." وعقد بيديه تسعين."

"عن ابن عباس قال: طاف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على بعيره، وكان كلما أتى على الركن، أشار إليه وكبَّر، وقالت زينب: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "**فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**" وعقد تسعين."

هذه الأحاديث الثمانية في صحيح البخاري وقد وردت من أربعة مصادر هـــي: أبو هريره، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وعبد الله بن عباس، رضـــي الله عنـــهم، وهي صريحة في الكشف عن أن إخراج يأجوج ومأجوج حدث في عهد النبي، صـــلى الله عليه وسلم. بل إنه قال في الواقع إن فتح الردم حدث "**اليوم**"**!** وبذلك بدأ آخـــر الزمان، عصر الفتن، في حياة النبي، صلى الله عليه وسلم. وهذا هو تفسير بيانه الشهير حول علاقته هو بـــ '**الساعة**':

حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال**:** رأيت رسول الله، صـــلى الله عليـــه وسلم، قال بإصبعيه هكذا، بالوسطى والـــتي تلـــي الإبهـــام: "**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**".

(صحيح البخاري)

ومضى القرآن الكريم فأعطى المؤمنين آية هائلة لا يرون فيها دليلاً ملموساً فقط على خروج يأجوج ومأجوج، بل أعطاهم أكثر من ذلك، سيكون لديهم الدليل على أن يأجوج ومأجوج يحكمون العالم الآن. يستطيعون تمييز يأجوج ومأجوج بأنهم هـــم القوة الحاكمة في العالم. وهذا موجود في الإشارة إلى يـــأجوج ومـــأجوج في سورة الأنبياء:

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ {95} حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ {96} ﴾ (الآيتان 95-96 من سورة الأنبياء).

عندما تفتح يأجوج ومأجوج، وبالإضافة إلى ذلك، "من كل حدب ينسلون"، سيُرْجَعُ أهل القرية الذين عذبهم الله، سبحانه وتعالى، وأخرجهم من قريتهم (التي أهلكها الله، سبحانه وتعالى،). وهناك قرية أومدينة واحدة (أهلكها الله، سبحانه وتعالى،) مذكورة في الأحاديث التي تتعلق بيأجوج ومأجوج. إنها **القدس**.

يذكر الحديث التالي مرور يأجوج ومأجوج ببحيرة طبرية، الموجودة في الأرض المقدسة: "... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار ...".

(صحيح البخاري)

عندما يمر يأجوج ومأجوج ببحيرة طبرية سيمضون إلى (جبل) الطور، المذكور في حديث آخر أنه جبل في **القدس**:

" ثم يسيرون [= يأجوج ومأجوج]حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: 'لقد قتلنا مَن في الأرض. هَلُمَّ فلنقتل مَن في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء. فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبةً دما".

(صحيح البخاري)

حيث إنه لا توجد قرية أهلكها الله، سبحانه وتعالى، مذكورة في الأحاديث المتصلة بيأجوج ومأجوج إلا القدس، فقد استنتجنا أن القرية المذكورة في سورة الأنبياء لا يمكن أن تكون إلا **القدس**.

ومن هذا الاستنتاج وتعريف القرية نخرج بنتيجة مفادها أن رجوع اليهـــود إلى الأرض المقدسة، وهذا ما حدث فعلاً، هو الدليل الهائل والملموس على أن الله، سبحانه وتعالى، دمَّر ردم يأجوج ومأجوج، وأننا نعيش الآن في زمـــن يـــأجوج ومـــأجوج، وبذلك نكون الآن في آخر الزمان.

ولكن الأثر الأهم لعودة اليهود إلى 'القرية' (القدس) وإقامة دولة إسرائيل هو أن يأجوج ومأجوج حققوا الآن تلك المرحلة من رسالتهم المشار إليهـــا في الآية 96 من سورة الأنبياء، أي أنهم نسلوا من كل حدب (وانتشروا في كـــل صوب) وأصبحوا يتحكمون بالعالم. والنظام العالمي الـــذي يُعيـــد اليهـــود إلى الأرض المقدسة هو نظام يأجوج ومأجوج! فَمَنْ هُم؟ وهل نستطيع تعـــريفهم؟ أسلوبنا في الدرس هو أن ننظر إلى قومٍ يُظهِرون، في علاقتهم المهووسة مع اليهود والأرض المقدسة، اختلافاً غريباً في سلوكهم قبل بعثة الـــنبي، صـــلى الله عليـــه وسلم، مقارنة بسلوكهم بعد بعثة النبي، صلى الله عليه وسلم.

هَوَس أوروبيٌّ غريبٌ بالأرض المقدسة

عندما هاجر إبراهيم، عليه السلام، إلى الأرض المقدسة – وكان في بابل، وبلاد فارس، ومصر، والصين حضارات عظيمة، و لم تكن الإمبراطوريتان الرومانية والفارسية قد ظهرتا إلىحيز الوجود – كان معظم سكان أوروبا 'قبائل متوحشة'. و لم يكـــن بينها وبين العالم المتحضر تجارة تذكر، هذا إن وجدت على الإطلاق. و لم يكن بـــين العالَمَينِ تفاعُل عن طريق السفر. وكان من نتائج هذه العزلـــة الغريبـــة أن العـــالَمَ لم يستطع أن يفهم اللغات الأوروبية، و لم يكن في وسع أوروبا أن تؤدي أي دور كفاعلٍ على المسرح العالمي. وأشار القرآن الكريم في سورة الكهف إلى هذه الخاصِّيَّة الأوروبية الفريدة حين قام ذو القرنين برحلته الثالثة ومر بقوم لا يكادون يفقهون قولاً (الآية 93 من سورة الكهف 18).

ثم استولت على أوروبا ثورة غريبة وغامضة. فظهرت فيها حضارات وثنية ويونانية ورومانية وبدأت على الفور وبشكل يدعو إلى الاستغراب في الغزو حتى احتلت معظم أنحاء العالم. وبدا أن الحضارتين اليونانية والرومانية كلتيهما مهتمتان بالأرض المقدسة اهتماماً خاصاً. فالإسكندر 'الكبير' احتل القدس وأبدى اهتماماً بالديانة اليهودية. والإمبراطوريةُ الرومانيةُ حكمت القدس والأرض المقدسة حتى بُعِثَ عيسى، عليه السلام، بل امتد حكمها إلى ما بعد ذلك. ثانياً، لم يكن هناك وفاء ملزم لآلهتهم وإلـٰهاتهم ولا لطريقة الحياة الوثنية. ولم يبق آلهة الرومان وإلـٰهاتهم على قيد الوجود كما بقيت آلهة الهنود وإلـٰهاتهم. بل إن المعتقدات الوثنية اندثرت في النهاية بطريقة مشينة، بنفس الطريقة الغريبة التي اعتنقها بها الأوروبيون قبل ذلك بقرون.

ثم جاء اعتناق الأوروبيين للمسيحية بطريقة غريبة، لأسباب سياسية أساساً، فأسفر عن ظهور الكنيسة المسيحية الأوروبية وأصبحت روما مركز كنيسة جديدة. وكانت المسيحية هي التي أخرجت كثيراً من الجزء المتبقي من أوروبا من مرحلة 'القبائل المتوحشة' في تاريخها، ووحدت أوروبا بوصفها "المسيحية". وكانت الكنيسة المسيحية الجديدة متشبثة كل التشبث باستقلالها عن النصرانية القديمة إلى حد أنها عينت لنفسها يوماً خاصاً بها للاحتفال بعيد ميلاد المسيح، عليه السلام. واحتُفِلَ بعيد الميلاد الجديد في 25 كانون الأول/ديسمبر.

لكن المسيحية الأوروبية اختلفت اختلافاً كبيراً وغامضاً عن النصرانية الأرثوذكسية القديمة – نصرانية بيزنطة. وحالما أحكمت الكنيسة المسيحية الجديدة قبضتها على أوروبا مضت إلى استعراض هَوَسِها بالأرض المقدسة– هَوَسٍ لم يضارعه هَوَسُ النصارى الآخرين. فالحروب الصليبية لم تكن مسيحية فقط، وإنما كانت مسيحية–أوروبية. وشنَّت على المسلمين حملةً بعد أخرى في محاولة عقيمة لانتزاع الأرض المقدسة والسيطرة عليها. وانتهى التحرير الأوروبي للأرض المقدسة لفترة

وجيزة من الزمن نهاية مشينة حين هزم السلطان صلاح الــدين الــصليبيين واســتعاد سيطرة المسلمين على الأرض المقدسة.

وأهمُّ ما في الحروب الصليبية أنها كانت أوروبية بحتــة. ومــع أن الــصليبيين الأوروبيين اضطروا إلى المرور بأرض النصارى البيزنطيين لم ينضمَّ أحدٌ من النــصارى غير الأوروبيين إلى الحملة الأوروبية وبذلك لم يكن لهم أي دور في الحملات الصليبية. وهكذا كان الهَوَسُ بالقدس والأرض المقدسة هَوَساً أوروبياً أكثر منه مسيحياً. ويطرح هذا الكتاب سؤالاً: لماذا هذا الهَوَسُ المسيحي–الأوروبي بالأرض المقدسة؟

ثانياً، عندما نجح الصليبيون الأوروبيون في انتزاع السيطرة على القدس من أيدي المسلمين لفترة قصيرة اقترفوا حمام دمٍ من الواضح أنه كان منافياً للمسيحية. فقد قتلوا كل سكان القدس. و لم يسلم من هذه المذبحة حتى النساء والأطفال. وفــزع العــالم النصراني لبربرية ووحشية الأوروبيين الذين يُفترض أنهم مسيحيون، والذين قاموا بحملة دينية وروحية لتحرير الأرض المقدسة. وبدا من المؤكد أن أوروبــا لبــست ثــوب المسيحية غطاءً لتحقيق مصلحةٍ لا تعبيراً عن إيمانها. وكشفت الحروب الصليبية عــن وجه أوروبا المروِّع الوحشي الكافر الذي لا أخلاق له. فأوروبا كانت ملحدةً أساساً أكثر منها مسيحية، وكانت تتألف من 'قبائل متوحشة' أكثر منها شعوباً متحــضرة. وبدا أيضاً أن لديها قوةً غامضةً لا يُكبحُ جماحُها. وبمرور الوقت أثبتت أيضاً أن لديها قدرة مذهلة على إخفاء طبيعتها الحقيقية وعلى إظهار صورة لنفسها على العكس تماماً من حقيقتها.

تحوَّل الانتباه الذي كان ينبغي أن يعيره المسلمون لدراسة هذه الظاهرة الأوروبية الغربية تحوُّلاً غريباً وغامضاً حين وقعت الغزوات المغوليــة الوحــشية الفاحــشة، إذ تصرَّف المغول تصرُّفاً لا يختلف عن تصرُّف الأوروبيين وأرهبوا العالم الإسلامي. ولــو لم يقع الغزو المغولي لربما أدرك المفكرون المسلمون حقيقة نمط السلوك الغريب المفجع الذي بدأ يتكشَّفُ في أوروبا المسيحية–الأوروبية.

وكان عدم إعارة الانتباه إلى دراسة هذه الظاهرة الغريبة الناشئة في التاريخ هـو بالضبط الذي حال دون تمكُّن العالم الإسلامي من فهم وتفسير الثورة الأغرب والأكثر غموضاً، المستعصية علىالتفسير، التي حولت أوروبا من حضارة العصور الوسطى المسيحية إلى حضارة غربية علمانية ملحدة أساساً. وأوجدت هذه الثورة في أوروبا ثورة علمية صناعية ونظاماً اقتصادياًّ قائماً على الربا، أسفرا عن جعل أوروبا الملحدة أقوى من سائر أنحاء العالم مجتمعة، فتبوأت مركز **حاكمة العالم** بلا منازع، ولا يمكن لأحد أن ينازعها. وفي أوروبا الجديدة، تحدَّت بريطانيا، وهي جزيرة غير ذات شأن تقع على مسيرة شهر في البحر من الأرض المقدسة، كل معادلات القوة الأوروبية، وأصبحت زعيمة أوروبا وحاكمة العالم.

ولكن أوروبا الجديدة الملحدة أساساً، والمسيحية في ظاهرها، أبدت نفس الهَوَسِ الغريب بالأرض المقدسة الذي أبدته أوروبا المسيحية القديمة. فوضعت يدها في يد الخزر الأوروبيين الملحدين الذين يتظاهرون باليهودية في متابعة هَوَسٍ مستمرٍّ لتحرير الأرض المقدسة. وظل هذان الشعبان الأوروبيان ملتصقَيْن في حلفٍ دنس يستعصي على الأفهام منذ ذلك الحين.

وكانت جزيرة بريطانيا هي التي أعلنت (فيما يُعرف باسم وعد بلفور)، في عام 1917، أنها ستعمل على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. ومضت بريطانيا بعد ذلك إلى تحرير الأرض المقدسة من حكم الأغيار (المسلمين). كان ذلك في عام 1917، حين قاد الجنرال اللنبي جيشه إلى الانتصار على الجيش العثماني الذي كان يدافع عن القدس والأرض المقدسة[1]. وحيث فشلت الحملات الصليبية القديمة التي شنتها أوروبا، المسيحية في ظاهرها، نجحت الحملة الصليبية الجديدة التي شنتها أوروبا

[1]- احتل الجنرال أللنبي القدس في 9 كانون الأول/ديسمبر 1917. ووقعت المعركة الأخيرة الفاصلة في فلسطين في مجدو بتاريخ 18 أيلول/سبتمبر 1918. وانتهى القتال بين الإمبراطورية العثمانية وبريطانيا في تشرين الأول/أكتوبر 1918، بعد احتلال الجيش البريطاني لسوريا

الملحدة. وكانت المحاولتان كلتاهما، الراميتان إلى 'تحرير' القـدس والأرض المقدسـة، أوروبيتين. وكانت كلتاها حملة صليبية. والواقع أن الجنرال أللنبي نفسه أكـد ذلـك بإعلانه المشهور حين دخل القدس فاتحاً، الذي قـال فيـه: "**اليوم انتهت الحروب الصليبية**". وبذلك يتضح أن الجهود المبذولة لتحرير الأرض المقدسة لا تمتُّ إلى الدين بصلة. وإنما تمتُّ بكل شيء إلى الجهة الفاعلة الجديدة الغربية على المسرح الدولي، أي أوروبا!

تولّت بريطانيا السيطرة على الأرض المقدسة بوصفها الدولة المنتدبة تحت غطـاء عصبة الأمم. ومضت تسعى إلى تحقيق هدفها المتمثل في إقامة الوطن القومي اليهودي الذي وعدت به. ويطرح هذا الكتاب سؤالاً: لماذا هـذا الهَـوَسُ الأوروبي الغريـب بالأرض المقدسة الذي تبديه أوروبا التي اعتنقت العلمانية والمادية و لم يبـق لهـا مـن المسيحية إلا الاسم؟

إذا كان اعتناق أوروبا للمسيحية غريباً فاعتناق أوروبا لليهودية أغرب. وكـان – ربما – في وقت ما من القرن السابع أن اعتنقت قبائل من الخزر في أوروبا الـشرقية الديانة اليهودية. وعندما أصبحت يهودية فعلت ذلك لأسباب سياسـية أساسـاً. و لم يكن للإيمان دور في تحوُّلِها. فقبل أن يتحول الخزر الأوروبيون إلى اليهودية كان يُرى أن لديهم قوة غامضة مَكَّنتهم من النجاح في وقف تقدُّم الإسلام إلى أوروبـا وقفـاً فعالاً.

ويختلف اليهود-الأوروبيون، شأنهم في ذلك شأن المسيحيين-الأوروبيين، اختلافاً كبيراً عن اليهود الإسرائيليين. فاليهود-الأوروبيون، خلافاً لليهود الإسرائيليين، كـان بهم هَوَسٌ لانتزاع السيطرة على الأرض المقدسة. وكان اليهود الأوروبيون هم الـذين قاموا في النهاية بإنشاء الحركة الصهيونية وسعوا إلى تحقيق نفس الهدف الذي سعى إليه المسيحيون-الأوروبيون في الحروب الصليبية، أي تحرير الأرض المقدسة. ويطرح هـذا الكتاب سؤالاً: لماذا هذا الهَوَسُ اليهودي-الأوروبي بالأرض المقدسة؟

لقد ساعدت بريطانيا الحركةَ الصهيونيةَ على تحقيق 'عودة' اليهــود إلى الأرض المقدسة، وهذا شيء تحقق في النهاية بإقامة دولة إســرائيل في عــام 1948. وحــين ولّدت بريطانيا '**القابلة**' الطفلَ 'إسرائيل'، شهد العالم ما بدا أنه اســتعادة إســرائيل القديمة التي أهلكها الله، سبحانه وتعالى، قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة.

بعد أن حكمت بريطانيا العالم بضع مئات من السنين حــدث تغيُّــر غريــب وغامض أصبحت به دولة عظمى جديدة هي **حاكمة العالم**. برز الدليل الواضح علــى ذلك التغيُّر في الحرب العالمية الأولى حين أنقذ التدخل العسكري الأمريكي بريطانيا من الهزيمة. وكان أكثر وضوحاً في الحرب العالمية الثانية حين اخــتير القائــد العــسكري الأمريكي، الجنرال أيزنهاور، قائداً أعلى لكل قوات الحلفاء التي حاربــت في الحــرب العالمية الثانية. ولم يكن أيزنهاور، الألماني-الأمريكي، من أصل بريطاني.

ثم في عام 1944 عقد مؤتمر دولي، في بريتون وودس بشمال ولايــة نيويــورك لإنشاء نظام نقدي دولي جديد. وحل الدولار الأمريكي محل الجنيه الاسترليني، الــذي كان معترَفاً بأنه العملة الرئيسية في عالم العملة الورقية المــصطنعة. وكــذلك حلــت وشنطن محل لندن باعتبارها مركز النظام النقدي الدولي الجديد، الذي بُني على العملة الورقية المصطنعة.

ووُلِدَت الدولة العظمى الجديدة — يا للغرابة والغموض — مــن رحــم نفــس الحضارة الأوروبية التي شنت الحروب الصليبية بسبب هَوَسِها بالقدس، والتي قامــت بدورٍ كبير في إنشاء وطن قومي يهودي في الأرض المقدسة. وواصلت الدولة العظمى الجديدة من حيث تركت الدولة العظمى السابقة العلاقة الغريبة والحميمــة بــالأرض المقدسة ودولة إسرائيل. وعندما أُعلِنَ إنشاء إسرائيل دولةً مــستقلةً في عــام 1948 كانت أول دولة في العالم اعترفت بالدولة اليهودية هي الولايات المتحدة الأمريكية.

وأوضحت الدولة العظمى الجديدة بما لا يدع مجالاً للشك أنها حلت محل بريطانيا بوصفها الشريك الاستراتيجي للدولة اليهودية. بل إنها مضت إلى فِعلِ ذلك بطريقةٍ ألحقت ببريطانيا إهانةً علنية. فقد قامت ثورة في مصر في عام 1952 وحل الجيش المصري محل الملكية في حكم مصر وأصبح هو حاكمَها الجديد. وفي عام 1956 حل البكباشي جمال عبد الناصر محل اللواء محمد نجيب رئيساً للدولة، وسارع عبد الناصر على الفور إلى إبراز أوراق اعتماده القومية بأبرع طريقة ممكنة بتأميمه قناة السويس. وفهمت إسرائيل هذا بأنه تهديد للدولة اليهودية. وشعرت بريطانيا، من ناحية أخرى، أن مركزها كدولة عظمى أصبح موضع تحدٍّ.

وبعملية مشتركة اتفقت عليها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل، دون علم الولايات المتحدة الأمريكية، شنت الدول الثلاث هجوماً على مصر وأخرجت الجيش المصري من منطقة السويس. ورد الرئيس الأمريكي أيزنهاور بأمر القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية بالانسحاب من الأراضي المصرية. وأُرغِمَت الدولة العظمى السابقة، بريطانيا، على سحب قواتها وانهارت حكومة أنطوني إيدن البريطانية. ولذلك، وحتى هذه اللحظة، أصبحت الولايات المتحدة الحامية الرئيسية للدولة اليهودية. ويطرح هذا الكتاب سؤالاً: لماذا هذا الهَوَسُ الأمريكي–الأوروبي بالأراضي المقدسة.

إذا كان الهَوَسُ الأوروبي والأمريكي (بما في ذلك الهَوَسُ المسيحي–الأوروبي واليهودي– الأوروبي) بالأرض المقدسة غريباً فإن المستقبل يبدو أنه يخبئ أشياء أغرب من ذلك بكثير. فنحن نرى أن العالم يوشك أن يشهد بروز دولة إسرائيل–الأوروبية (أي إسرائيل التي أنشأتها الحركة الصهيونية الأوروبية) بوصفها الدولة العظمى التي ستحل محل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بوصفها الدولة المسيطرة على العالم. فإسرائيل–الأوروبية تملك بالفعل أسلحة نووية ونووية–حرارية تكفي لوضعها في مصافِّ الدول العظمى. يضاف إلى ذلك أن تكنولوجيتها العسكرية تعادل في مستواها أفضل ما هو موجود في العالم. وأخيراً، يوجد لدى رجال المال والبنوك اليهود–

الأوروبيين، القدرة على السيطرة المالية على العالم بمناورة بسيطة تسبب انهيار الدولار الأمريكي. وعندما ينهار الدولار الأمريكي سينهار معه نظام النقد الورقي العالمي بأسره. ويمكن أن يخطَّط لهذا الانهيار بحيث يحدث في نفس الوقت الذي يحدث فيه استعراض باهر تقوم به إسرائيل–الأوروبية لقوتها العسكرية بهجوم على الفلسطينيين وعلى الدول العربية المجاورة كذلك. وعندئذ ستنجح إسرائيل في تحدّي العالم أجمع، وتتمسك بثمار حربها، وبذلك ترسي قواعدها باعتبارها **الدولة الحاكمة** للعالم. وعندما يحدث ذلك من المؤكد أنه سيبدو لليهود الإسرائيليين (أي بني إسرائيل) أنهم يشهدون عودة العصر الذهبي، أي العصر الذي كانت فيه إسرائيل برئاسة سليمان تحكم العالم.

فهل يفسِّر القرآن كل ما ذُكِرَ أعلاه؟ وإن فسَّره فما هو ذلك التفسير؟

نود أن نعترف منذ البداية بأنه ما كان يمكن لكتابٍ كهذا أن يُكتَبَ قبل عودة اليهود إلى الأرض المقدسة. ويبدو أن هذا هو أول كتابٍ من نوعه يُكتَبُ منذ وقوع ذلك الحدث. ولذلك، عندما نستخدم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لتفسير الأحداث الغريبة والغامضة المذكورة أعلاه، من المؤكد أن يأتي تفسيرُنا مفاجئاً حتى لعلماء الإسلام. ويبدو لهذا الكاتب أيضاً أن التفسير القرآني لكل هذه الأحداث الغريبة في أوروبا وفي الأرض المقدسة إنما هو معرفةٌ ربما لم تكن موجودةً في العالم قبل هذا الوقت. ولذلك فإنه لا يسعه هو وجميع من يقبلون الآن بأن ما يشرحه هذا الكتاب هو'الحقيقة'، وكذلك مَنْ سبق أن حباهم الله هذه المعرفة، إلا أن يسجدوا بخشوع لله سبحانه وتعالى، الذي هو وحده **"العليم بكل شيء وهو الذي يهدي لنوره من يشاء."**

وعلى الذين يرفضون التفسير القرآني الموجود في هذا الكتاب أن يعلنوا هم أنفسهم إما أن القرآن لا يفسِّر عودة اليهود إلى الأرض المقدسة واستعادة دولة إسرائيل، أو أن هناك تفسيراً مختلفاً غير الوارد في هذا الكتاب. وفي هذه الحالة عليهم أن يأتوا بذلك التفسير القرآني الآخر!

القدس في القرآن

أتحدّى الذين يكفرون بالإسلام ويعلنون أنهم هم الذين لديهم **الحق** أن يستخدموا ذلك **الحق** لتفسير هذا الموضوع. وسواءٌ أكانت دولة إسرائيل الحديثة هي التي تدَّعي أن لديها **الحق**، أو كانت الديانة اليهودية، أو المسيحية، أو الهندوسية، أو اليانية، أو البوذية، أو الكونفوشيوسية، أو الطاوية، أو البهائية، أو الأحمدية، أو الإنسانية العلمانية، أو التحررية، أو المادية، أو الإلحادية، هي التي تدَّعي ذلك لا يمكنها إثبات صحة هذا الادِّعاء إلا إذا فسَّرت الموضوع الذي هو قيد البحث. وهذا ما يبدو أنه الأهمية الكبرى لهذا الكتاب. إنه يثبت صحة ادِّعاء الإسلام بأنه **الحق**.

فقد أنذر القرآن الكريم بأن العالم سيشهد الآن العدَّ التنازلي إلى اليوم الآخر:

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ {97} ﴾

(الآية 97 من سورة الأنبياء 21)

فإذا فُتحت يأجوج ومأجوج فإنهم 'من كل حدب ينسلون' و'في كل صوبٍ ينتشرون'. وهذا يبين أنهم بقوتهم التي لا تُقهر سوف يسيطرون على العالم بأسره، ولأول مرة في التاريخ تحكم مجموعة واحدة من البشر البشرية بأسرها. **هذه بالضبط هي اللحظة من لحظات التاريخ التي يجد العالم فيها نفسه الآن.**

سيكون النظام العالمي الذي تضعه يأجوج ومأجوج نظام **فساد** (أي ظلم وشر). وقد وصفت سورة الكهف الخاصيَّتين المميزتين **لفساد** هذا النظام العالمي بأنه نقيض الخاصيَّتين المميزتين للنظام العالمي الذي وضعه ذو القرنين. وهما كما يلي:

استخدم ذو القرنين القوة (القائمة على أسس الإيمان بالله) لعقاب الظالم، وبفعله هذا – لتحقيق الانسجام بين النظام العالمي على الأرض والنظام العالمي في السماء (أي الانسجام بين الحقيقة الدنيوية والحقيقة الروحانية). بينما يأجوج ومأجوج،من جهة

أخرى، تستخدم القوة التي لا تُقهر (القائمة على أسس الإلحاد) لظلم الناس ومعاقبة المظلومين. وبذلك تقيم هنا على هذه الأرض نظاماً عالمياً يناقض تماماً النظام العالمي الذي في السماء. ثانياً، سيكون هذا النظام العالمي نظاماً يشهد باستمرارٍ ظلماً متزايداً.

استخدم ذو القرنين القوة لمكافأة الذين آمنوا بالله، سبحانه وتعالى، وعملوا صالحاً. وتستخدم يأجوج ومأجوج القوة لغرض مناقضٍ تماماً. وضبط ذو القرنين نفسه في استخدام القوة حين واجه البدائيين من سكان الأرض. وأظهر حكمة ورحمة في المحافظة على طريقة حياهم وتركهم لا يتعرض لهم أحد. ولكن يأجوج ومأجوج، من جهة أخرى، تستخدم القوة للقضاء على طريقة حياة جميع الشعوب البدائية على وجه الأرض. ثانياً، سيكون هذا النظام العالمي نظاماً يشهد زيادة مستمرة في الهجمات على طريقة حياة الشعوب البدائية إلى أن تختفي في نهاية المطاف.

وبذلك ستخلق يأجوجُ ومأجوجُ وتديمُ نظاماً عالمياً لا يمكن أن يفلت من أن يعرفه الذين تمكّنهم فراستهم (القائمة على الإيمان والعمل الصالح) من رؤية حقيقة الأمور. وإذا سمح الشعب اليهودي لهؤلاء الناس أن يُصبحوا أبطالهم الذين يحررون لهم الأرض المقدسة ويعيدونهم إلى القدس، فمعنى ذلك أن الشعب اليهودي مصاب بالعمى الروحاني – عمى البصيرة.

لقد أظهرت أوروبا باطّرادٍ، منذ عهد المسيحية–الأوروبية في العصور الوسطى حتى عهد الحضارة الغربية الحديثة، خصائص النظام العالمي ليأجوج ومأجوج، وحققت رسالة يأجوج ومأجوج. ولقد أفسدت أوروبا العالَمَ بأسره، وكانت أوروبا هي التي أعادت اليهود إلى الأرض المقدسة. وهذا دليل على منتهى العمى الروحاني للشعب اليهودي الذي سمح لنفسه بأن يُخدَعَ وأن يُقادَ على طريق دماره النهائي على يدِ يأجوج ومأجوج.

الفصل الحادي عشر

اليــــهــــــود والعــــــــــــــــــرب

(* لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ {82} *)

(الآية 82 من سورة المائدة 5)

قبل أن نعود إلى دراسة أشدِّ النبوءات الإلــــٰهية إنذاراً بالخطر الـــتي تحققـــت بالفعل، أي نبوءة أن الله، سبحانه وتعالى، سيُعيدُ اليهود إلى الأرض المقدسة في **'آخر الزمان'**، يَلزَمُنا أن ننظر إلى موضوع 'إسماعيل، عليـــه الـــسلام، والعـــرب والأرض المقدسة'. هذا موضوع هامٌّ لأن الحركة الصهيونية تمكنت من بَعثِ دولة إسرائيل بأن أخرجت العرب بالقوة من الأرض المقدسة ومن ديارهم. وما كان في وسعها أن تفعل ذلك من دون تبرير **في الكتاب المقدس**. غير أن هذا **التبرير الكتابي** الذي لجأت إليـــه كذبٌ وزورٌ افتُرِيَ على إلــــٰـــهِ إبراهيم، عليه السلام. والصهاينة يعرفون أنه كَذِبٌ واستغلوا هذا الكذب أبشع استغلال. هذا هو الموضوع الذي سنتناوله في هذا الفصل.

نظرة اليهود الدينية إلى العرب

ذُكِرَ أن الزعيم الروحي لحزب شاس الأورثوذكسي المتـشدد في إسـرائيل – حزب اليهود الشرقيين – أعلن في خطبته يوم السبت الموافق 5 آب/أغسطس 2000 أن: "أبناء إسماعيل (العرب) كلهم أشرار ملعونون، وكلهم أعداء لإسرائيل؛ وإن المقدَّس، مباركٌ هو، يأسف لأنه خلق أبناء إسماعيل هؤلاء."

ووصف الخبر المذكور استهزاء عوباديا يوسف بجهود حكومة بـاراك، رئـيس الوزراء آنذاك، الرامية إلى التوصل إلى نوع من الاتفاق مع منظمة التحرير الفلـسطينية بشأن ادِّعاءاهما المتنازعة بالحق في مدينة القدس الشريف. فـسأل: "لماذا تقسَّمُ البلدة القديمة؟ ألِكَيْ تُتاح لهم فرصةٌ أخرى ليقتلونا؟ بل لماذا نريدهم إلى جانبنا؟" وأضاف الحاخام مخاطباً رئيس وزراء إسرائيل: "أتجلب الأفاعي إلى جوارنا؟ كيف يمكنك أن تقيم سلاماً مع الأفعى؟" ومـضى يقـول: "إن باراك يهرول وراء الإسماعيليين الأشرار..إنه سيجلب الأفاعي لتعيش بجوارنا في القدس. إنه خالٍ من العقل." وذكرت صحيفة جيروساليم بوست أن أتباعه قابلوا تصريحاته هذه بالتصفيق (انظـر: www.JerusalemPost.com –
5 آب/أغسطس 2000).

وإن واحداً من الأسباب التي تفسِّر عداء الحاخام للشعب الإسمـاعيلي وعـداءه لادِّعائهم بالقدس هو بالطبع ما جاء في سفر التكوين من التوراة عن إسماعيل، عليـه السلام، وفيما يلي نصه:

"... رجلاً كحمار الوحش، يدُهُ مرفوعةٌ على كل إنسان، ويد كلِّ إنسان مرفوعةٌ عليه."

(سفر التكوين، 16:12)

ولذلك من المرجح أن يُحاجَّ الحاخامُ وأتباعُهُ بأن الظلم المستمر والمتزايد باسـتمرار الذي تُلحقه دولة إسرائيل بالعرب يبرر ما يُزعَمُ أنه قرار إلـٰهي نُقِلَ بوضوح في

عبارة مشؤومة، هي: " وَيَدُ كلٍّ إنسانٍ مَرفوعَة عَلَيْـهِ". وكيف يمكن بغير ذلك لبقية العالم المتحضِّر أن يبرر الهجوم البربري الوحشي على مخيم جنين في الأرض المقدسة. ولو لم يُعِدِ اليهودُ كتابةَ التوراة ويضعوا فيها هذا الكذب علـى إسماعيـل، عليـه السلام، ابن إبراهيم عليه السلام، لكان أسهل عليهم أن يدركوا الخـداع والفـخ الذي أوقعهم فيه المشروع الصهيوني الشيطاني لينتزعوا ملكية الأرض المقدسة مـن أيدي المسلمين العرب لكي يعيدوا إقامة دولة إسرائيل.

إن وصف إسماعيل، عليه السلام، نبي الله، سبحانه وتعالى، الـوارد في القـرآن الكريم، يكشف بوضوح زيف هذه المقولة الواردة في التوراة ويبين أنها كذبة على الله، سبحانه وتعالى،:

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً {54} وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً {55} ﴾

(الآيتان 54-55 من سورة مريم 19).

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ {85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ {86} ﴾

(الآيتان 85-86 من سورة الأنبياء 21)

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ {48} هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ {49} جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ {50} مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ {51} وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ {52} هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ {53} إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ {54} ﴾

(الآيات 48-54 من سورة ص 38)

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {84} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {85} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86} وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {87} ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {88} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ {89} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ {90} وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {91} وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ {92} ﴾

(الآيات 83-92 من سورة الأنعام 6)

وينبغي للحاخام أن يحذر من هذا الإنذار الخطير الذي وُجِّهَ في القرآن إلى كـــل من يفتري على الله كذباً، بما في ذلك الأكاذيب المفتراة عن إسماعيل وأتباع إسماعيل:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {93} ﴾

(الآية 93 من سورة الأنعام 6).

إن الحاخام وكُلَّ من تستند معتقداهم إلى هذا التزوير وأمثاله مما جاء في التوراة، إنما يعيشون في عالَم غير حقيقي. وإن مفهومهم للحقيقة مزوَّر ومشوَّه. والضرر الذي حصل هو أن هذا المفهوم أوجَدَ، وما زال يوجِدُ، اعتقاداً كاذباً فيما يتعلق بإسماعيـــل عليه السلام، كالمذكور أعلاه. و لم يحدث أن قدَّمَت التوراة في أي وقت دليلاً علـــى الشر أو سوء الخلق أو التمرد من جانب إسماعيل، عليه السلام، يفسر هـــذه الإدانـــة القاسية التي يُزعَمُ أنها من الله، سبحانه وتعالى. بل إن أبناء إسماعيل، الـــذين وصـــفهم الحاخام 'بالأفاعي' أَعطَوا اليهود مساكنَ بين ظهرانيهم لمدة تزيد على ألفـــي ســـنة. واستمتع اليهود في هذه السنين بالأمن على أرواحهم وأموالهم، وأُعطـــوا الحريـــة لأن يعيشوا ويعبدوا ربهم كيهود.

إن الذين أيدوا وما زالوا يؤيدون إنشاء دولة إسرائيل الدجّالة (وهي مـــشروع علماني، قومي، ملحد أساساً) على أسس من الظلم والقهر قومٌ ليـــست لـــديهم أي بصيرة على الإطلاق. وإن عمى البصيرة هذا الذي يجعلهم عاجزين عن معرفـــة هـــذه الدولة الدجّالة – دجّالةٍ تقودهم كل يوم إلى نهر اللاعودة، هو نفسه الذي قادهم أيضاً إلى إعلان أن مريم زنت وأن عيسى (المسيح) ابن زنا، وأن ادِّعاءه بأنه المسيح ادِّعـــاء

كاذب. وقادهم أيضاً إلى ارتكاب أخزى وأشنع عمل في التاريخ، أي محاولة صــــلب عيسى، عليه السلام، ثم تبجحوا بأنهم نجحوا في قتله. عمى البــصيرة هــذا جعلـــهم يكفرون بآخر نبي أرسله الله، سبحانه وتعالى،، إلـــــٰه إبراهيم، إلى البشرية – الـــنبي محمد، صلى الله عليه وسلم. وقادهم إلى الكفر بالقرآن ورفض الاعتراف بأنه كلمـــة الله، سبحانه وتعالى، إلـــٰه إبراهيم. عمى البصيرة هذا قادهم مـــراراً وتكـــراراً إلى ارتكاب أعمال أغضبت الله، سبحانه وتعالى،. ومن الواضـــح الجلـــيِّ أن ســـلوكهم العنصري والمالي والاقتصادي الحالي سلوك شنيع.

عندما أهانوا موسى، عليه السلام، قبل وقت طويل، وقالوا لـــه 'فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا' (لتحرير الأرض المقدسة) بينما يظلون هم قاعدين حيث هـــم، ردَّ الله، سبحانه وتعالى، على هذا السلوك الشائن بأن حرَّمَ الأرض المقدسة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض. ثم خاطب الله، سبحانه وتعالى، موسى قائلاً: " فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" . لا يوجد مكان للعطف في هذه الكلمات. حتى ولو لم يكن لـــدى العـــالم القرآنُ ليشير إلى ما كُتِبَ في التوراة من تزوير، لكانت البصيرة تكفي أتباع التـــوراة والإنجيل ليفهموا أنْ ليس من المقبول أن يتفوَّهوا بعبارات كالتي قالوها عن إسماعيل.

ولذلك لم يستحقّوا العطف في ذلك الوقـــت، وللـــسبب نفـــسه بالـــضبط لا يستحقّون العطف الآن. لقد انتهى وقتهم. وسبق القدر بهم. لقد خُدِعوا أكبر خديعة عرفها التاريخ منذ الأزل، خُدِعوا فتركوا البلاد التي عاشوا فيها بين ظهـــراني العـــرب أبناء إسماعيل في سِلمٍ نسبيٍّ وأمنٍ وحريةِ عبادةٍ طيلة 2000 سنة (في اليمن، والمغرب، ومصر، وإيران، والعراق، وسوريا، وغيرها) وعادوا إلى الأرض المقدسة ليؤيدوا الظلم والاضطهاد. ومما ينذر بالسوء أن هذا الاضطهاد يزداد يوماً بعد يـــوم. المـــسلمون لم يخدعوهم، و لم يدعوهم إلى العودة. وقال القرآن الكريم إن إلـــــٰه إبراهيم هو الـــذي

قضى بذلك. وإن الإلٰه الذي قضى سبحانه وتعالى بهدم الهيكل (المسجد) الذي بناه سليمان، عليه السلام، مرتين، سيضمن هو نفسه هلاك دولة إسرائيل الدجّالة. والغرض من هذا الكتاب هو توجيه الأنظار إلى القرآن حيث يتكلم عن القدس وعن هلاك دولة إسرائيل. وفي اليوم الذي يحدث فيه ذلك، وهو محتوم، سيرون أعظم عذابٍ إلٰهي نزل بأي قومٍ في التاريخ يتبدَّى أمام أعينهم المروَّعة. ألا فليأخذ الحاخام حِذره!

هذا المفهوم المشوَّه للحقيقة، الذي يتبدّى بوضوحٍ في قول الحاخام، يتبدّى هو نفسه أيضاً في الشريكين المتفاوضين الذين تفاوضا في مسعى عقيم على مستقبل القدس والأرض المقدسة، أي منظمة التحرير الفلسطينية ودولة إسرائيل. غير أن الطرفين كليهما يبديان، في هذه الحالة، جهلاً مطبقاً بالقرآن والتوارة كمصدرين للإرشاد في هذا الموضوع، أو إهمالاً لهما. وإنَّ بينهما من العوامل المشتركة أكثر مما بينهما وبين الإسلام أو الديانة اليهودية. فهما حركتان علمانيتان قوميتان تستغلان الدين في سعيهما لتحقيق أهداف علمانية قومية أساساً. والقومية العلمانية لا تشتهي هي نفسُها البحث عن الحقيقة المطلقة. والإلٰه الذي تعبده هاتان الحركتان هو الإلٰه الذي تخلقانه وتعيدان خلقه. وتصنعان قيَمَهُما المستمدة من المصلحة وتعيدان صنعها لتتفق مع العالَم المتغير باستمرار — عالَمِ الأهداف القومية العلمانية.

ربما يتم التوصل إلى حلٍّ وسط ذكي بشأن مطالبة الفلسطينيين بالقدس الشرقية عاصمةً لدولتهم الفلسطينية. ولكن هذه الدولة الفلسطينية، إذا قامت، وعندما تقوم، ستكون نسخةً طبق الأصل عن الدولة اليهودية القومية العلمانية — دولة إسرائيل. وعندئذٍ سيتم تأكيد كون الأرض المقدسة بصورةٍ تامةٍ جزءاً من النظام العالمي الجديد — نظام الشِّرك الذي انبثق من الحضارة الغربية الحديثة. فالشِّركُ يُرْتَكَبُ عندما تُناط السيادة بالدولة، أو بجهةٍ أخرى بدلاً من إناطتها بالله، سبحانه وتعالى،! والشِّركُ

يُرتكب حين تناطُ بالدولةِ السلطةُ العليا، وعندما يكون قانون الدولة هـــو القـــانون الأعلى!

وأوقحُ استعراضٍ للشِّرك رأيناه في التاريخ كان اقتراحاً قدمته حكومة الولايـــات المتحدة في سعيها للتوفيق بين موقفَي الحكومة الإسرائيلية ومنظمة التحرير الفلـــسطينية المتنازعين على المكان الذي يقع فيه المسجد الذي بناه سليمان، والذي يعرف لـــدى المسلمين باسم الحرم الشريف، ولدى اليهود باسم جبل الهيكل. وتنص خطة الولايات المتحدة على إعطاء دولة إسرائيل 'السيادة' على الحائط الغربي (أو 'حائط المبكـــى'). ويعرِّفه اليهود بأنه بقية من الهيكل (المسجد) الأصلي الذي بناه سليمان. وتنص علـــى إعطاء الدولة الفلسطينية 'السيادة' على المسجد الأقصى وعلى مسجد عمر (المعروف بقبة الصخرة). وعلى إلـــٰه إبراهيم، سبحانه وتعالى، أن يقنع بـــ 'السيادة' علـــى بقية الحرم الشريف (أو 'المنطقة المسَوَّرَة، لمن لا يرتاحون لاستخدام الاسم العـــربي). ولا بد من أن يكون الشيطان جالساً مستشاراً حين تمت صياغة هذا الاقتراح.

والشِّركُ يُرتكَب حين تُحِلُّ الدولة ما حرَّمه الله، سبحانه وتعالى، وتحرِّمُ ما أحَلَّه. ومن المؤكد، بقدر ما هو مؤكد أن الشمس تطلع مـــن جهـــة الـــشرق، أن الدولـــة الفلسطينية المستقبلة ستُحِلُّ القمار واليانصيب، بل ستنشئ حتى يانَصيباً برعاية الدولة. وستُحِلُّ الربا، أي إقراض المال واقتراضه بفائدة. (**انظر كتابَيْنا في الربا للاطلاع على شرح وافٍ لهذا الموضوع**). وسوف تُحِلُّ شُرب المشروبات الكحوليـــة. وبعبـــارةٍ أخرى ستعتنق الدولة الفلسطينية الشِّرك تماماً بنفس الطريقة التي اعتنقتـــه بهـــا دولـــة إسرائيل اليهودية وسائر العالم (بما في ذلك معظم العالم الإسلامي) من قبل. وســـتُلحق الدولة الفلسطينية التي تنشئها منظمة التحرير الفلسطينية بشعبها الانحلال المتفشي اليوم في دولة إسرائيل اليهودية العلمانية وفي سائر العالم.

لا يستطيع المسلمون ولا ينبغي لهم أن يؤيدوا أي اتفاق من قبيل الخطة السعودية التي أُعلِنَت مؤخَّراً، والتي تسعى إلى إضفاء صفة الشرعية على دولة إسرائيل القوميـــة

العلمانية والقبول بخمسين سنةً من الظلم الذي ألحقته بالشعب الفلسطيني الأصيل – نصارى ومسلمين على السواء. ولا ينبغي للمسلمين أن يقبلوا أن تُقام في الأرض المقدسة دولة فلسطينية تكون نسخةً طبق الأصل عن الدولة اليهودية. تأييداً لموقفنا هذا كتبنا في هذا الموضوع — موضوع القدس ومصيرها حين يُنظَرُ إليها من زاوية القرآن الكريم. وتوجد معاملة أشمل لهذا الموضوع في كتابنا المعنون: "***The Religion of Abraham and the State of Israel – A View from the Qur'an***" (**ملة إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن**).

ويسعى هذا الكتاب أيضاً إلى شرح حقيقة اليهود الذين قبلوا بلا سؤال ولا جواب بأن تكون إسرائيل القومية العلمانية ممثلة للدولة العظمى التي أقامها داود وسليمان، عليهما السلام. فدولة إسرائيل الحديثة هذه دولة دجّالة خدعت اليهود. وقد وصف الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، الباحث الإسلامي الفلسطيني الذي كان شديد الانتقاد لإسرائيل، والذي قُتِلَ غيلةً تحت جنح الظلام، إسرائيل بأنها "مشروع استعماري"، "حُمِلَ به سِفاحاً"، "وأُنشِئَ على أساس مفاهيم بالية ذات طابع قومي ورسالة قومية"، وهو "مضطَهِدٌ عسكري للسكان الأصليين". (انظر كتابه الممتاز: ***'Islam and the Problem of Israel'*** (**الإسلام ومشكلة إسرائيل**)). وإن السكان العرب الأصليين الذين أُخرِجوا من ديارهم. أو أُرغِموا على الفِرار خوفاً وإرهاباً، هم قوم يعبدون إلـٰه إبراهيم. ومع ذلك، حين أحكم اليهود قبضتهم على الأرض المقدسة رفضوا أن يدعوا هؤلاء السكان إلى العودة إلى ديارهم، أو أن يسمحوا لهم بالعودة. وحتى اليوم – بعد مضي خمسين عاماً – ترفض الدولة اليهودية بكل إصرارٍ أن تسمح بعودة اللاجئين إلى ديارهم بينما توجِّهُ دعوةً مفتوحة إلى اليهود حيثما وُجِدوا، في أي مكان من العالم، ليأتوا ويقيموا في الأرض المقدسة. وهذا ليس عملاً صالحاً! إنه عملٌ شيطاني!

تشير نبوءات النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى أن دولة إسرائيل الــصهيونية ستغدر ببني إسرائيل في نهاية المطاف وسترميهم أمام الشعب الذي اضطهدته إســرائيل بلا هوادةٍ وأنزلت به أخزى وأبشع أنواع الاضطهاد.

وياسر عرفات دجاّل هو أيضاً لا يمثِّل القوم الذين انتُزِعَت أملاكهم وديــارهم وعُذِّبوا واضطُهِدوا بلا رحمة لمدة تزيد على خمسين سنة. إنهم الفلــسطينيون الــذين طردهم إسرائيل من فلسطين. وعاشوا في مخيماتٍ لاجئينَ في لبنان وفي أماكن أخــرى مدة تزيد على خمسين سنة. وسيخونهم عرفاتُ بالضبط كما خانت إسرائيلُ اليهــودَ بالفعل. وسيكون الذين خانهم عرفات طليعةَ الجيش الإسلامي الذي سيواجه اليهــود المقيمين في الأرض المقدسة ويعاقبهم عندما تتخلى عنهم دولة إسرائيل. وقد أثبت هذا الجيش الإسلامي قدرته على القتال حين قاتل في جنوب لبنان. وما انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان، وتخلّيها في واقع الأمر عن الجيش المسيحي العميل في تلك المنطقــة (بعد أن حارب لمصلحة إسرائيل)، إلا مقدمة للحدث الآتي الذي سيكون أشدَّ هولاً.

لقد اشتدت حدة ظلم دولة إسرائيل اليهودية العلمانية لأبناء إسماعيل في الأرض المقدسة اشتداداً مهولاً، وما زال هذا الظلم مستمراً في الازدياد. هذا هو السياق الذي نستطيع أن نفهم فيه الآن نبوءة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، التي تنذر الظــالمين بالويل، حين قال:

"تقاتلون اليهود،حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله! هذا يهودي ورائي فاقتله".

(صحيح البخاري)

الفصل الثاني عشر

التفسير القرآني لعودة اليهود إلى الأرض المقدسة

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ {93}﴾
(الآية 93 من سورة النمل 27)

إننا نعيش في عصر رجع فيه اليهود إلى القدس ليستعيدوها بعد أن أخرجهم الله، سبحانه وتعالى، قسراً من الأرض المقدسة قبل نحو 2000 سنة. والقدس مزدهرة اليوم. وتمارس نفوذاً وقوة على المنطقة التي توجد فيها الأرض المقدسة بأسرها. وعقدت دولة إسرائيل معاهدات 'سلامٍ' مواتية لمصالحها مع دول عميلة للغرب الملحد، مثل مصر والأردن. وعقدت عدة اتفاقات تراكمية مع منظمة التحرير الفلسطينية أضعفت بصورة تدريجية معارضة المنظمة لإقامة الدولة اليهودية في الأرض المقدسة. حتى المملكةُ العربية السعودية دخلت، بصورة فعلية، في معانقة إسرائيل هذه، ولكنها فعلت ذلك بمنتهى السِّرِّيَّة حتى خرجت بصورة دراماتيكية عن صمتها المفرط في الحذر وعرضت 'الخطة السعودية' التي تتضمن **الاعتراف** بالدولة اليهودية.

وعادت المدينة المنورة في الوقت نفسه إلى وضعٍ 'خلفي' لا تمارس فيه أيَّ نفوذٍ كان على التطورات التي تحدث في المنطقة أو في العالم. وإلحاقاً للأذى الذي أصاب المدينة المنورة بالإهانة، أقيمت الدولة السعودية – التي نهضت على أنقاض الخلافة والتي تسيطر على المدينة المنورة – كدولة عميلة لبريطانيا. وحين حلت الولايات المتحدة الأمريكية محل بريطانيا بوصفها **الدولة الحاكمة** في العالم، أصبحت الدولة السعودية دولة عميلة للولايات المتحدة. فقد كانت المملكة العربية السعودية، شأنها في ذلك

شأن إسرائيل، معتمدة منذ إقامتها على بريطانيا (أوَّلاً) ثم على الولايات المتحدة الأمريكية للمحافظة على بقائها.

وحافظ الحلف السعودي-الوهّابي، الذي يسيطر على السياسة والدين في الدولة السعودية، بإخلاص على وضع الدولة العميلة منذ عام 1916، حين قبل عبد العزيز آل سعود عرضاً من بريطانيا بدفع 5000 جنيه إسترليني كل شهر مقابل حلف يسمح لبريطانيا بأن تواصل العمل على تحقيق هدفها المتمثل في انتزاع السيطرة على الحجاز من الحكم الإسلامي العثماني. واستطاعت الحركة الوهّابية أن تستوعب هذا الوضع – وضع الدولة العميلة للغرب المسيحي واليهودي، لأنها كانت دائماً ترى أن المسيحيين واليهود أقرب إليها من سائر العالم الإسلامي. فالوهابيون يعتبرون المسلمين غير الوهابيين كفاراً، لأنهم يتهمونهم كلَّهم بارتكاب الشرك! (انظر كتابنا المعنون: ***'The Caliphate, the Hejaz and the Saudi-Wahhabi Nation-State'*** (الخلافة والحجاز والدولة-الأُمَّةُ السعودية-الوهابية)).

برزت دولة إسرائيل إلى حيِّز الوجود بنفس الطريقة تماماً، كدولة عميلة للغرب. ولكنَّ ثمة فرقاً أساسياً بين الدولتين العميلتين، إسرائيل والمملكة العربية السعودية. فدولة إسرائيل مقدَّرٌ لها أن تخلِّص نفسها من وضع الدولة العميلة لبريطانيا (أوَّلاً) ثم للولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، ولتبرز أيضاً وتكون الدولة العظمى التي تحل محل بريطانيا والولايات المتحدة بوصفها **الدولة الحاكمة** في العالم. وعندما يحدث ذلك ستصبح المملكة العربية السعودية دولة عميلة لإسرائيل. وعندئذٍ ستكون القدس عامرة بينما تكون المدينة المنورة 'خراباً' (أي في حالة خضوعٍ تامٍّ لدولة إسرائيل).

وقد تنبأ النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن ذلك اليوم سيأتي، ولكنه سيحمل في طياته إنذاراً بالسوء لإسرائيل:

عن معاذ بن جبل، قال:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: "عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال." ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدّثه أو منكبه ثم قال: إن هذا لحقٌّ كما أنك ها هنا، أو كما أنك قاعد [يعني: معاذ بن جبل].
(سنن أبي داود)

وإن عمران القدس، التي تسيطر اليوم سيطرة تامة على المنطقة التي تقع فيها بأكملها، يحقق النبوءة المذكورة أعلاه إلى حدٍّ كبير. فقد نجحت إسرائيل بالفعل في تحدّي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، اللذين طلبا – هما كلاهما – أن تسحب إسرائيل قواتها العسكرية من الضفة الغربية الفلسطينية. وكان ذلك بعد أن ردت إسرائيل على موجة من القنابل البشرية الفلسطينية (وهؤلاء شهداء ولا يجوز أن يشار إليهم بأنهم انتحاريون). ولكن هذا سيزداد عندما تشن إسرائيل أكبر حرب تشنها في تاريخها، وهي حرب يتوقعها كل الناس (ربما فيما عدا الرئيس الأمريكي). وستؤدي هذه الحرب إلى توسيع إقليمها توسيعاً هائلاً. عندئذٍ سيفهم الناس نبوءة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فهماً أوضح.

وسوف يسفر انهيار الاقتصاد الأمريكي، الذي هو متوقع، ونجاح إسرائيل في تحدّي طلبٍ من الولايات المتحدة أن تنسحب من الأرض التي احتلتها بالحرب، عن التحقُّق التام للنبوءة. وكذلك النبوءة بخراب يثرب (أي المدينة المنورة) قد تحقَّق إلى حد كبير بوضع الدولة العميلة الذي هو حال "قلب أرض الإسلام" مع الولايات المتحدة الأمريكية الملحدة. وعندما تأخذ إسرائيل بمقاليد الأمور بوصفها الدولة العظمى في العالم وتصبح المملكة العربية السعودية دولة عميلة لإسرائيل سيؤدي ذلك إلى تحقُّق النبوءة تحقُّقاً تاماً. وما ينطوي عليه التحقُّق التام للنبوءة الواردة في الحديث هو أن المسلمين يقفون الآن على شفا حربٍ عظمى ستبدأها إسرائيل، ربما بالاشتراك مع

القوات المسلحة لتركيا الكمالية. فقد تنبأ النبي، صلى الله عليه وسلم، بحرب مع تركيا، التي أصبحت قواها العسكرية الآن أداةً في يد إسرائيل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه،عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالُهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، وتجدون من خير الناس أشدَّهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه، والناس معادن، خيارُهُم في الجاهلية خيارُهُم في الإسلام، وليأتين على أحدكم زمان، لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله".
(صحيح البخاري)

ربما تبدأ الحرب بهجوم تركي على سوريا تستخدمه إسرائيل لإثارة حريق أكبر منه في المنطقة. ولكن دولة إسرائيل ستخرج منه بوصفها **الدولة الحاكمة** في العالم. وفي هذا الحادث بالذات سيظهر **الدجّال فيما بعد، في يوم كواحد من أيامنا**، أي أنه سيظهر في بُعدِنا الزمني، ومن ثمَّ في عالمنا نحن. ومن المؤكد أنه سيظهر في القدس كحاكم لدولة إسرائيل. وعندما يظهر **الدجّال** في ذلك الحين يعود المسيح الحقيقي، ابن مريم. وسيقتل **الدجّال** وعندئذٍ سيدمِّر الجيشُ المسلمُ دولةَ إسرائيل.

تنبأ القرآن الكريم بعودة اليهود إلى الأرض المقدسة وكذلك فسَّر تداعياتها. وتوجد تصريحات قرآنية كثيرة وتنبؤات وإعلانات كثيرة من النبي، صلى الله عليه وسلم، تتعلق بمصير القدس. فما هي هذه التصريحات القرآنية؟ وما هي التنبؤات والإعلانات التي قالها النبي، صلى الله عليه وسلم؟ ينبغي للقارئ أن يوجه عناية خاصةً للإعلانات العشرة التالية لأنها تشكل صميم ما يقوله القرآن الكريم بشأن مصير القدس.

يؤكد القرآن الكريم والحديث الشريف كلاهما أن عيسى، عليه السلام، سيعود يوماً ما إلى العالم. وعند عودته لا يكون أمام اليهود مناصٌ من الإيمان بأنه المسيح. ثم يُقضىَ عليهم، ولكنهم سيموتون أسوأ ميتةٍ، أي يموتون وهم يعلمون علم اليقين أنهم خُدِعوا وأن '**الحق**' الذي تشبثوا به بكل عناد وعنجهية إنما هو في الواقع '**الباطل**'،

وأن النبيَّيْن اللَّذين كفروا بهما – عيسى ومحمداً، عليهما السلام – هما **'الحق'**. وبذلك سيموتون وهم على يقين من أنهم سيدخلون جهنم.

بعد أن تبجحوا بصلبهم عيسى، عليه السلام، أخرجهم الله، سبحانه وتعالى، من الأرض المقدسة. غير أن إخراجهم هذه المرة كان مختلفاً عن إخراجهم الأول، حينما أُخِذوا إلى بابل عبيداً. هذه المرة قُطِّعوا باستمرارٍ إرباً إرَباً وبُعثِروا في الأرض بين الناس. ثم مضى القرآن يكشف عن مصير القدس ومصير اليهود على النحو التالي:

- شتات اليهود بتقطيعهم إرَباً إرَباً وبعثرتهم في كل أنحاء الأرض
- يحرَّم على اليهود أن يعودوا إلى الأرض المقدسة ليستعيدوها
- إمكانية غفران الله الرحمن الرحيم لليهود إذا آمنوا بالنبي **'الأمي'**، (أي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ويكون من الأغيار)
- عودة اليهود بأمر الله، سبحانه وتعالى، إلى الأرض المقدسة في آخر الزمان (أي في المرحلة الأخيرة من العصر الأخير)
- عودة اليهود إلى الأرض المقدسة على يدِ يأجوج ومأجوج
- إنذار من الله، سبحانه وتعالى، بأن العقاب الإلـٰهي يمكن أن يتكرر
- إنذار لليهود بأشد العقاب
- عمى البصيرة عندما يحين أوان العقاب الأخير
- انتشال جثة فرعون (الذي كان حاكماً في وقت خروج بني إسرائيل من مصر) وستكون هذه دلالةً على أن مصير اليهود سيكون كمصيره هو

➢ لن يكون أمام اليهود مناص من أن يؤمنوا بأن عيسى هو المسيح عندما يعود ولكن عندئذٍ سيكون الأوان قد فات لإنقاذهم من العقاب المهين ومن عذاب النار.

1- شتات اليهود بتقطيعهم إرَباً إرَباً وبعثرتهم في الأرض

حين أخرج الله، سبحانه وتعالى، اليهود من الأرض المقدسة، بعد أن كفروا بالمسيح وحاولوا قتله، قال سبحانه وتعالى قولاً كشف فيه عن أن هذا الشتات الجديد سيكون مختلفاً عن الشتات الأول (في بابل). في ذلك الوقت ظل اليهود مجتمعاً متجانساً يعيش في منطقة جغرافية واحدة (هي بابل). ولكن، عندما أُخرجوا في المرة الثانية، قال الله، سبحانه وتعالى، إن هذا سيكون نوعاً مختلفاً من الشتات:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً ...{168}﴾

(الآية 168 من سورة الأعراف 7)

هذا التصريح القرآني تحقّق بجلاءٍ حين ظل اليهود مشتتين في مختلف أنحاء العالم أكثر من 2000 سنة. وعاشوا في هذه الفترة الطويلة في اليمن والمغرب والعراق وإيران ومصر والأردن وليبيا وإثيوبيا وشبه جزيرة العرب وسوريا وتركيا، إلخ.

قُصِد بشتات اليهود هذا وتفرُّقهم الغريب لمدة نحو 2000 سنة أن يكون دلالة لليهود على غضب الله عليهم وعقابه لهم، ويعترف كثيرٌ من اليهود بذلك.

2- حُرِّمَ على اليهود أن يعودوا إلى الأرض المقدسة ليستعيدوها

بعد أن أخرج الله، سبحانه وتعالى، اليهود من الأرض المقدسة حرَّم عليهم العودة إلى تلك الأرض. (كان بإمكانهم أن يأتوا سائحين لا أن يعودوا إليها ليستعيدوها). وأصبح هذا التحريم حقيقة تاريخية وظل سارياً على مرأى ومسمع من الجميع نحو 2000 سنة. وكان هذا تأكيداً واضحاً لقول القرآن الكريم في سورة الأنبياء:

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ {95} ﴾

(الآية 95 من سورة الأنبياء 21)

(انظر أدناه: 'ربط يأجوج ومأجوج بعودة اليهود إلى الأرض المقدسة' وكذلك الفصل العاشر المعنون: '**يأجوج ومأجوج في القرآن والحديث**، حيث نبين أن '**القرية**' هي القدس.)

قُصِدَ بهذا الحظر الإلــٰهي على اليهود وتحريم عودهم إلى القدس (والأرض المقدسة) لاستعادتها أن يكون دلالةً على غضب الله، سبحانه وتعالى، على اليهود وعقابه لهم. وقصد به أيضا أن ينقل إليهم بما لا يقبل الشك رسالةً تبلغهم أنه لم يعودوا 'الشعب المختار'.

3- إمكانية غفران الله الرحمن الرحيم لليهود إذا آمنوا بالنبي 'الأمي'، (أي الذي لا يعرف القراءة والكتابة ويكون من الأغيار)

حتى بعد أن أخرج الله، سبحانه وتعالى، اليهود من الأرض المقدسة بسبب محاولتهم صلب المسيح (في جملة خطيئات أخرى كثيرة)، ثم حرَّم عليهم العودة إلى القدس (لاستعادتها)، قال القرآن إنه ما زالت ثمة إمكانية لأن يفوز اليهود بمغفرة من الله الغفور الرحيم:

﴿... عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ . . . {8} ﴾

(الآية 8 من سورة الإسراء 17).

أعطاهم الله، سبحانه وتعالى، مهلة من الزمن كان مستعداً خلالها لأن يغفر لهم إن أصلحوا أمرهم وطلبوا منه المغفرة وعادوا إلى ملَّةِ إبراهيم، عليه السلام. ولكن كان أمامهم بابٌ واحد يمكن أن تأتيهم منه المغفرة. فقد خاطب القرآن الكريم بني إسرائيل،

الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل، وهم بنو إسرائيل الذين حاولوا صلب عيسى، عليه السلام، وأبلغهم أن طريق المغفرة كالتالي:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} ﴾

(الآية 157 من سورة الأعراف 7).

ولذلك كان يمكن لهم أن يفوزوا بالمغفرة بقبولهم خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، والإيمان به واتّباعه.

ويوجد عدد من الآيات يُعرَف بها أن الوقت الذي أُعطِيَ لبني إسرائيل لكي يطلبوا المغفرة قد انتهى الآن.

من بين تلك الآيات خروج **الدجال** ويأجوج ومأجوج إلى العالم. **وقد حدث كلاهما في عهد الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم.** كان ذلك بعد أن أقام النبي، صلى الله عليه وسلم، في المدينة مع اليهود سبعة عشر شهراً اتضح خلالها بجلاءٍ أن اليهود قد كفروا به وكفروا بالقرآن، وكانوا يتآمرون للقضاء على الإسلام. كان في ذلك الوقت أن أنزل الله، سبحانه وتعالى، آيةً أمر فيها بعودة القبلة إلى الكعبة. وأشار تغييرُ القبلة هذا من القدس إلى مكة إلى أن 'الفرصة' الوحيدة التي كانت متاحة لليهود ليفوزوا بمغفرة من الله ورحمة قد أقفلت. وبذلك بدأ آخر الزمان ولم يعد في الإمكان تجنيب اليهود العقاب المحتوم. فقد كان ذلك أمراً مقضياً.

ومع أن آخر الزمان قد بدأ، وأن باب الرحمة باليهود قد أغلق، كان عليهم أن ينتظروا فترة من الزمن قبل أن يحل بهم العقاب الأخير. بل إن هذا العقاب سيتكشَّف

'بحركة بطيئة' مرتَّبةٍ بكل عناية. وفي جانب كبير من الوقت الذي سبق العدَّ التنـــازلي وجد اليهودُ، في واقع الأمر، ملجأً وملاذاً في بلاد المسلمين وبين ظهرانيهم.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {112}﴾

(الآية 112 من سورة آل عمران 3).

وعندما حان الوقت لبدء 'العدِّ التنازلي' الأخير للعقاب، كان هناك آيات أيـــضاً من الله، سبحانه وتعالى. ومن أبرز هذه الآيات انتشال جثة فرعون الذي أغرقـــه الله وهو يلاحق موسى، عليه السلام، وبني إسرائيل. ومن سوء حظ بني إسرائيل أن جثـــة فرعون (رمسيس الثاني) قد انتُشِلَت فعلاً وفات عليهم أوان التوبةـــ وقبول الحق الذي أنزله إلـــــه إبراهيم في القرآن، والإيمان بمحمد، صلى الله عليه وسلم، خاتم أنبياء الله، سبحانه وتعالى،، وفات أيضاً أوان تجنُّب أشد عقاب من الله، سبحانه وتعالى،:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ {158}﴾

(الآية 158 من سورة الأنعام 6).

3- عودة اليهود بأمر الله، سبحانه وتعالى، إلى الأرض المقدسة في آخر الزمـــان (أي في المرحلة الأخيرة من العصر الأخير)

مضى القرآن فأعلن أن الله، سبحانه وتعالى، هو نفسه سيُرجِع اليهود إلى الأرض المقدسة في 'آخر الزمان'. سوف يُخدع اليهود ويظنون أن انتصارهم في العـــودة إلى الأرض المقدسة لاستعادتها يثبت صحة ادِّعائهم **بالحق**. هذه النبوءة المتعلقة بالعودة إلى الأرض المقدسة تحققت هي أيضاً، وبصورة أكثر بروزاً، بإقامة الكيان القومي العلماني أساساً، المسمى 'دولة إسرائيل' الدجّالة:

﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً {104}﴾

(الآية 104 من سورة الإسراء 17).

هذه النبوءة الواردة في القرآن تقول إن اليهود سيعودون في آخـــر الزمـــان إلى الأرض المقدسة حيث يكون ما اكتسبوه من تنوُّع وتبايُن أثناء الألفي سنة التي عاشوها في الشتات بادياً بكل وضوح. فكلمة 'لفيف' تعني جمهوراً من الناس ليـــسوا كلـــهم سواءً. وهذا بالضبط هو وصف المجتمع اليهودي في إسرائيل اليوم. إنه 'جمهور متنافر' من اليهود الذين جاءوا من أصقاع كثيرة مختلفة من العالم، بما في ذلك أنحاء مختلفة من العالم العربي والإسلامي، يتكلمون لغات عامية مختلفة ولغات مختلفة ولهجات مختلفـــة ويرتدون ملابس مختلفة ويأكلون أغذية مختلفة ويعبدون بطرقٍ مختلفة في معابدَ مختلفة، إلخ. ولكن أكثر الاختلافات إثارة للدهشة هو الاختلاف العنصري، وهنـــا تحققـــت النبوءة الواردة في القرآن الكريم على نحو منذر لهم بالويل. فإسرائيل الحديثـــة تـــضم أعداداً كبيرة من اليهود الذين هم أوروبيون محض، ذوو عيون زرقاء وشعر أشقر. وثمة أدلة وراثية آخذة في الظهور تبيِّن أن اليهود الأوروبيين (الأشكنازيين) يختلفون وراثيـــاً

عن كل الشعوب الأخرى على وجه الأرض. وقد تبخر التماثُل الوراثي للشعب، الذي يفترض أن يكون كل أبنائه منحدرين من إبراهيم وإسحق ويعقوب، عليهم السلام.

فما معنى تحقُّق النبوءة القرآنية المتعلقة بعودة اليهود إلى الأرض المقدسة؟ وما هي تداعيات هذه العودة؟

5- عودة اليهود إلى الأرض المقدسة على يد يأجوج ومأجوج

توجد في القرآن الكريم ثلاث آياتٍ على الأقل تشير بوضوح إلى العقاب الإلٰهي لليهود عندما يعودون إلى الأرض المقدسة. ومشكلة الذين ينظرون إلى القرآن بعَيْنٍ واحدة هي أن فهم حقيقة الأمور المتعلقة بآخر الزمان لا يمكن أن يتحقق إلا عندما تُكَمِّلُ 'البصيرةُ الروحانيةُ' الداخلية (أي العين الداخلية) 'الرؤيةَ الخارجيةَ'. إليكم اثنتين من هذه الآيات الثلاث:

﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ {95} حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ {96} ﴾

(الآيتان 95-96 من سورة الأنبياء 21).

وإن كانت هوية 'القرية' لم تُبَيَّن بصراحةٍ، من الواضح بجلاء أنها لا يمكن أن تكون غير القدس. وثمة إشارة غير مباشرة في القرآن إلى القرية كما يلي: ردَّ الرِّبِّيون في المدينة على طلبٍ من قريش أن يبيِّنوا لها إن كان محمد، صلى الله عليه وسلم، نبياًّ بالفعل. وكان ردُّهُم أن طرحوا ثلاثة أسئلة. فإن أجاب عليها كلِّها جواباً صحيحاً كان بالفعل نبياًّ. وردَّ الله، سبحانه وتعالى، بتنزيل أجوبة على الأسئلة الثلاثة كلها في القرآن الكريم. نزل جوابان على السؤالين المتعلقين بالفتية الذين أوَوا إلى الكهف وبـ 'المسافر العظيم' الذي بلغ مشرق الأرض ومغربها في سورة الكهف (انظر

الآيات 9-26 و 83-98 من سورة الكهف 18). ولكن الجواب على السؤال الثالث المتعلق 'بالروح' نزل في الآية 85 من سورة الإسراء 17). وما ينطوي عليه هذا الترتيب الغريب هو إثبات مبدأ من مبادئ التفسير يقرن السورتين من سور القرآن الكريم بعضَهما ببعض كالفَدَّان. وقد قدم الدكتور إسرار أحمد، الباحث المتميز في القرآن الكريم، أدلة وفيرة تثبت قرن السورتين معاً.

ولذلك، إذا أردنا تحقيق هوية الفتية الذين أوَوا إلى الكهف وهوية ذي القرنين ويأجوج ومأجوج و'القرية' فعلينا أن نرجع إلى سورة الإسراء، فهي تعيننا في ذلك. وعندما نرجع إلى السورة نجد أنها تتناول 'قرية' واحدة – القدس.

ولكن أحاديث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، تثبت هوية المدينة بصورة مباشرة. فالقدس ليست مذكورة بالاسم فحسب في الأحاديث المتعلقة بيأجوج ومأجوج ولكن لم تُذكر أيُّ مدينة أخرى أهلكها الله، سبحانه وتعالى. وحسبنا الحديث التالي الذي يصف ويروي الأحداث المتعلقة بعودة عيسى، عليه السلام، لإثبات صلة يأجوج ومأجوج بالأرض المقدسة وكذلك بالقدس. ومن هنا لا يمكن أن تكون 'القرية' مدينة أخرى غير القدس:

> "عن النواس بن سمعان: ... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون. فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية. فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه، مرة، ماء. ويُحصر نبيُّ الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ..."

(صحيح مسلم)

تقع بحيرة طبرية في الأرض المقدسة. ثانياً، جبل الطور المذكور في الحديث جبل في القدس. وهذا مذكور في نصٍّ آخر للحديث نفسه، نقلاً عن نفس السلسلة من المحدِّثين:

" ثم يسيرون [يأجوج ومأجوج] حتى ينتهوا إلى جبل الخمر. وهو جبل بيت المقدس. فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض. هلم فلنقتل مَنْ في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء. فيردُّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً".

(صحيح مسلم)

نستطيع الآن أن ندرك أن عودة اليهود إلى القدس في 'آخر الزمان' **آية**، وردت في القرآن، لا تؤكد فقط خروج يأجوج ومأجوج، وإنما تبيِّن أيضاَ أهم يسيطرون على العالم اليوم بقوة لا تُقهر. (انظر الفصل العاشر لمزيد من توضيح أمر يأجوج ومأجوج). إنَّ يأجوج ومأجوج الآن مفسدون في الأرض.(انظر الآية 94 من سورة الكهف 18). والفساد يعني "الإفساد، والعفن، والخبث، والشر، وسوء الخلق، والانحراف، إلخ." وعندما يتقارب يأجوج ومأجوج مع قوم فإهم يقودون هؤلاء القوم إلى نار جهنم. ويبيِّنُ الحديث الشريف أن العلمانية، في عهد يأجوج ومأجوج، ستؤدي إلى أن يدخل النار 999 شخصاً من كل 1000 شخص:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مِنْ يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبَّرنا، ثم قال: ثلث أهل الجنة. فكبَّرنا، ثم قال: شطر أهل الجنة. فكبَّرنا.

(صحيح البخاري)

لقد أمكنت عودة اليهود إلى القدس واستعادة دولة إسرائيل بفعل يأجوج ومأجوج والمسيح الدجال. وهي بذلك تشكل أكبر خطر ممكن تعرَّضَ له اليهود في

تاريخهم. بل إن مصيرهم الآن أصبح أمراً مقضياًّ. ولكنهم لا يعلمون ذلك أبـــداً. و لم يكن ثمة إمكانية لأن يدرك الشعب اليهودي الحقيقة التي تواجهه الآن، بغـــير اعتنـــاق القرآن — كلمة الله، إلـــٰـه إبراهيم، المُنزلة – وتعاليم النبي محمد، صـــلى الله عليـــه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين. ومن شأن الإشارات إلى القرآن الكريم والأحاديـــث الشريفة الواردة في هذا الكتاب أن تساعدهم على فهم تلك الحقيقة.

6- إنذار من الله، سبحانه وتعالى، بأن العقاب الإلـــٰـهي يمكن أن يتكرر

حذر القرآن الكريم اليهود من أنهم إذا عادوا إلى طرق الشر التي ساروا فيها فإن الله عز وجل سيعود إلى عقابهم. فقد عاقبهم أول مرة بأن سلَّط عليهم جيشاً من بابل. ثم عاقبهم بأن سلَّط عليهم جيشاً رومانياًّ. وإن العقاب الأخير، عندما يقع، ســـيكون على يدي جيش مسلم.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً {8}﴾

(الآية 8 من سورة الإسراء 17).

7- إنذار إلـــٰـهي لليهود بأشدِّ العقاب

أعطى القرآن الكريم أوضح وأبسط إنذار ممكن لليهود بأنهم يوماً ما (حين ينتهي الوقت الذي يمكنهم فيه أن يلتمسوا المغفرة) سيواجهون الحقيقة التي تجابههم الآن، أي أن يأجوج ومأجوج و**المسيح الدجال** سيُخرَجونَ إلى العالم. لقد رفـــض اليهـــود أن يؤمنوا بالقرآن باعتباره تتريلاً من عند إلـــٰـه إبراهيم، وبمحمدٍ، صلى الله عليه وسلم، باعتباره آخر أنبياء إلـــٰـه إبراهيم. ونتيجة لذلك لا يستطيعون معرفة تلك الحقيقة:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {167} ﴾

(الآية 167 من سورة الأعراف 7).

ينص قانون الله، سبحانه وتعالى، على أن العقاب يجب ان يكون من نوع الجريمة ومكافئاً لها. ولما كان اليهود قد ارتكبوا أشنع جريمة ممكنة بمحاولتهم صلب عيسى عليه السلام، وتحريف التوراة، إلخ.، فسيدفعون ثمن ذلك بالوقوع تحت أشد عقاب ممكن. وسيبدأ العقاب حتى قبل يوم الحساب. بل إنه بدأ بعد بعثة النبي محمد (خاتم الأنبياء والمرسلين)، صلى الله عليه وسلم، وكُفرهم به. فقد حدثت سلسلة من الأحداث الباهرة وستنتهي بأشد عقاب ممكن على رقاب اليهود. وسيبعث الله، سبحانه وتعالى، من سيكونون المنفِّذين الرئيسيين لهذه الدراما: إنهم بالطبع يأجوج ومأجوج و**الدجّال**. وقد شرحنا مِن قبلُ ظاهرة **الدجّال**، في الفصل الثامن.

8- عمى البصيرة اليهودي عندما يحين أوان العقاب الأخير

قضى الله، سبحانه وتعالى، بألاّ يتمكن اليهودُ ولا سائرُ العالمِ الكافرِ من إدراك حقيقة أحوالهم:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ {146} ﴾

(الآية 146 من سورة الأعراف 7).

وليس المنفِّذ الرئيسي لهذه الدراما المهولة التي ستجري في آخر الزمان — دراما ستحيل كل البشرية (ما عدا المؤمنين) إلى حالة من عمى البصيرة- سوى **الدجّال**

نفسه. ومن الطريف أن أهم أداة أعطاها الله، سبحانه وتعـــالى، إلى **الدجّال** (لينجـــز مهمته) هي كونه 'أعور'. **فالدجال** أعور بعينه اليمنى، وهذا يعني العمـــى الروحـــاني الداخلي (عمى البصيرة). وكل من يُخدَعُ به سيصبح هو أيـــضاً مـــصاباً بـــالعمى الروحاني الداخلي، ومن ثم لا يستطيع أن يرى آيات الله، سبحانه وتعـــالى، في آخـــر الزمان ولا يعرفها. وسوف يستمر هذا العمى الروحاني حتى عودة المسيح الحقيقـــي، عيسى ابن مريم، عليه السلام.

9- انتشال جثة فرعون (الذي كان حاكماً في وقت خروج بني إســـرائيل مـــن مصر) وستكون هذه دلالة على أن مصير اليهود سيكون كمصيره هو

أعطى القرآن آية أخرى يمكن بها للمراقبين المدركين أن يعرفوا أن العدَّ التنـــازُلي لبني إسرائيل في آخر الزمان قد بدأ وأن الله، سبحانه وتعالى، سيُنزل بهـــم الآن أشـــدَّ عقاب ممكن. كانت تلك الآية هي انتشال جثة فرعون الذي أُغرِقَ في محاولته عبـــور البحر مطارداً موسى، عليه السلام. فقد فرق الله، سبحانه وتعالى، البحر لينقـــذ بـــني إسرائيل. وعندما عبروا البحر إلى بر الأمان ردَّ الماءَ فأطبق علـــى فرعـــون وجيـــشه فأهلكهم جميعاً. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {50}﴾

(الآية 50 من سورة البقرة 2).

لم يعرف بنو إسرائيل آنذاك وما زالوا حتى اليوم لا يعرفون أنهم هـــم أنفـــسهم سيهلكون، **يوماً ما** (كما هلك فرعون)، وسيذوقون نفس الميتة التي ماتها فرعـــون إذا خانوا الله، سبحانه وتعالى، وارتكبوا معاصي معينة.

كيف مات فرعون؟ إن القارئ الكريم سيدهش عندما يقرأ في القـــرآن الكـــريم وصفاً لميتة فرعون:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {90} آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {91} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ {92}﴾

(الآيات 90-92 من سورة يونس 10).

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ {55} فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ {56}﴾

(الآيتان 55-56 من سورة الزخرف 43)

هكذا تنبأ القرآن الكريم بهذه النبوءة العجيبة وهي أن جثة فرعون، الذي كـان حاكماً في وقت خروج بني إسرائيل من مصر، ستُكتشف يوماً ما وستُنتشل من البحر وعندئذٍ تشكّل آيةً من آيات الله المنذرة بالويل. ومما يثير الدهـشة أن جثـة فرعـون اكتشفت في أواخر القرن التاسع عشر. وهي آيةٌ منذرةٌ بالويل دالّةٌ علـى الـسقوط الروحاني الذي اجتاح العالم الإسلامي مما أعجز علماء الإسلام عن قراءة أيِّ معـنى في هذا الحدث المدهش (أي انتشال جثة فرعون الذي عاش في وقت الخروج) باسـتثناء القول إن نبوءة القرآن قد تحقّقت. وثمة آية أكثر إنذاراً بالويل لليهود وهي بزوغ نجـم الحركة الصهيونية في نفس الوقت الذي اكتُشفت فيه جثة فرعون تقريباً. من الواضح أن **الدجال**، كان العقل المدبر وراء إنشاء الحركة الصهيونية. ولذلك فإن عصر يأجوج ومأجوج هو عصر **الدجال** أيضاً.

الذي نستنتجه مما ذكر أعلاه هو أن **الدجال** هو الـذي يقـود اليهـود الآن – يقودهم هو ويأجوج ومأجوج على طريق سيؤدي إلى إنزال أشد عقاب بهم وسيؤدى

في النهاية إلى هلاكهم كما قضى الله، سبحانه وتعالى. ولكن نهايتهم ستأتي كما أتت نهاية فرعون. فماذا ستكون هذه النهاية؟ كان اكتشاف جثة فرعون آية من آيات الله، سبحانه وتعالى، منذرة بأن العالم سيشهد اليوم أعظم دراما عرفها تاريخ البشرية. لقد حان الآن وقت اليهود على وجه الخصوص، ووقت البشرية جمعاء. فمن عاشوا كما عاش فرعون سيموتون كما مات فرعون.

10- لن يكون أمام اليهود مناص من أن يؤمنوا بأن عيسى هو المسيح عندما يعود ولكن عندئذٍ سيكون الأوان قد فات لإنقاذهم من العقاب المهين ومن عذاب النار.

بعد أن روى القرآن الحادثة التي حاول فيها اليهود صلب عيسى، عليه السلام، ثم تبجحوا بأنهم حققوا هدفهم ذاك، وجَّهَ الله، سبحانه وتعالى، لهم أخطر إنذار. فقد أُبلِغَ اليهود الذين رفضوا الاعتراف بأن عيسى، عليه السلام، هو المسيح (والنصارى الذين عبدوه باعتباره إلـٰهاً) بأنهم سوف يُضطرّون إلى الإيمان به قبل موته، أي بعد أن يعود إلى الأرض وقبل أن يموت. وهكذا سيُضطر اليهود إلى الاعتراف بأنه المسيح وسيضطر النصارى إلى التوقف عن عبادته كأنه إلـٰه وإلى الإيمان به كنبيٍّ:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً {159} ﴾

(الآية 159 من سورة النساء 4).

تشير الآية الكريمة المذكورة أعلاه إلى أنه عندما يعود عيسى، عليه السلام، فإن اليهود لن يعترفوا به فقط ويؤكدوا أنه المسيح، ولكنهم أيضاً سيعترفون، ضمناً، بمحمد، صلى الله عليه وسلم، ويؤكدون أنه خاتم الأنبياء والمرسلين, أرسله إلـٰه إبراهيم، وأن القرآن آخر تنزيل من عند الله، سبحانه وتعالى،. ولكن إشهار اليهود إيمانهم هذا في آخر لحظة لن ينفعهم في شيء، تماماً كما لم ينفع فرعونَ إشهارُهُ إيمانَهُ

في آخر لحظة (فقد حُكِمَ عليه بالبقاء في النار). هذه هي الرسالة المنذرة بالويل لبني إسرائيل التي وُجِّهَت إليهم باكتشاف جثة فرعون!

النتيجة الأخرى، المهمة جداً لفهم العملية التاريخية بينما العالم يتحــرك نحــو لحظة القمة العظمى النهائية، هي أن اليهود والكفار أيضاً سيظلون مقتنعين –بعنــادٍ – حتى اللحظة الأخيرة قبل القمة العظمى بأنهم سائرون في طريق النجاح. وهكذا فإن الصورة التي قضى بها الله، سبحانه وتعالى، **للحق** (أي الإسلام) في العــالم في آخر الزمان هي صورة توحي فيها الملاحظة الخارجية على نحو متزايد بأن الإسلام قد فشل. وهذا بالضبط هو حال العالم اليوم.

الفصل الثالث عشر

القرآن ومصير القدس

﴿... وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا . . . {8} ﴾

(الآية 8 من سورة الإسراء 17)

" ... ولكن إذا عدتم (إلى انتهاك الشرط المفروض لوراثة الأرض المقدسة) عُدنا (إلى معاقبتكم، أي أننا سنخرجكم منها مرة بعد مرة)..."

قال حذيفة: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها؛ ثم تكون مُلكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون مُلكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة' ثم سكت."

(مسند أحمد بن حنبل)

أعلن لله، سبحانه وتعالى، بعد أن عاقب اليهود بإخراجهم من الأرض المقدسة، أنه سيظل يعاقبهم (ويخرجهم) إذا استمروا في تدنيس الأرض المقدسة بانتهاكاتهم لشرط الإيمان والعمل الصالح:

﴿... وإن عُدتُّم عُدْنا . . . {8} ﴾

(الآية 8 من سورة الإسراء 17)

مستقبل القدس مكتوب بوضوح في هذا الإنذار والتصريح الحاســم الــوارد في القرآن الكريم، المذكور أعلاه. وعلى الرغم من الاتفاقات التي تَفاوَضَ عليها الممثلــون العلمانيون القوميون للشعب الفلسطيني واليهودُ الأوروبيون العلمانيون القوميون الذين يدَّعون أنهم يمثلون 'ذرية' إبراهيم، بني إسرائيل، فإنَّ مصير القدس واضح في سياق ما يدنِّس الأرض المقدسة الآن من الإلحاد والانحطاط والظلم المَهول. وأكثر مـــا يكـــون خرقاً للقواعد في حياة دولة إسرائيل اليهودية هو الإلحاد وهجر الحياة الدينيـــة. وقـــد نشرت جريدة جيروساليم بوست مؤخراً مقالاً افتتاحياًّ عن إقامة شعائر مِلَّةِ إبـــراهيم، عليه السلام، في إسرائيل، جاء فيـــه مـــا يلـــي: أصبحت الديانة اليهودية، في نظر الكثيرين من الإسرائيليين، نظاماً بدائياً من مخلفات الماضي، ولا صلة له بالحياة، ينافس غيره على السلطة والتمويل، بل إنه أصبح مصدر إحراج للمجتمع الحديث الموجَّه فكرياً

(جيروساليم بوست، 12 أيلول/سبتمبر 2000).

إن 'آيات' الله التي أُرِيَتْ للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، في الإسراء والمعراج 'آياتٌ'، كشفت له، في جملة أمورٍ، عن مصير القدس. ويبدو أن دانيال بايبس غفل عن هذه المسألة. وهذا أمر غير مستغرب لأنه يبدو، ككثيرين غيره من اليهود ، لم يتمكن من سماع أصوات 'حجارة' الانتفاضة التي بدأت فعلاً تتكلم في الأرض المقدسة. ولكن إفراييم إيتان، العميد السابق في قوات الدفاع الإسرائيلية، الذي استقال مـــؤخراً مـــن القوات الإسرائيلية، يبدو أنه يؤمن بأن 'الحجارة' تتكلم بالفعل في الأرض المقدســة. فقد صرح بقوله: "إن إسرائيل أخطر بلد في العالم لليهود ..."

(جيروساليم بوست، 20 شباط/فبراير 2001).

لقد أثبت القرآن الكريم بوضوح أن مصير القدس سيشهد استئناف المـــسلمين حكمهم للقدس – الحكم الذي بدأ بعد وفاة النبي، صلى الله عليـــه وســـلم، بقليـــل واستمر بلا انقطاع لبضع مئات من السنين. وعندما احتل الـــصليبيون المـــسيحيون– الأوروبيون القدس سُمِحَ لهم بحكمها لفترة وجيزة دامت نحو ثمانين سنة ثم عاد مـــصير القدس وساد. فقد هزم الصليبيين جيشٌ مسلمٌ، واستأنف المسلمون حكمهم لـــلأرض

المقدسة. واستمر هذا الحكم بلا انقطاع مرة أخرى لبضع مئات من السنين حتى حان الوقت الذي أعيد فيه اليهود، بإذن الله، إلى الأرض المقدسة. من المستبعد جداً أن يدوم حكم اليهود، كحكم الصليبيين الأوروبيين قبله، أكثر من ثمانين سنة، والله أعلـــم. ثم يهزم اليهودَ جيشٌ مسلمٌ ويستعيد المسلمون حكمهم. وقد أعلن الله، سبحانه وتعالى، ذلك في القرآن الكريم، إذ قال:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {55} ﴾

(الآية 55 من سورة النور 24).

من المؤكد أن القرآن الكريم، حين أشار إلى الخوف الذي يعيش فيه المـــسلمون، شمل هذا الظلمَ الإسرائيليَّ الفادحَ في الأرض المقدسة. وتُبَيِّن الآية القرآنيـــة بوضـــوح أيضاً أن المسلمين الوحيدين الذين سيشاركون في وراثة الأرض المقدسة هم المسلمون الذين يعبدون الله لا يشركون به شيئاً. وليس لمنظمة التحرير الفلـــسطينية أي دور في هذا المجتمع الذي ظل مؤمناً بالله، سبحانه وتعالى.

وأكد النبي، صلى الله عليه وسلم، هذا الوعد الوارد في القرآن الكريم، بالحديث التالي:

" عن أبي هُرَيرَةَ، رضي الله عنه، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلِيهِ وسَـــلَّم: "يخرُجُ من خُراسانَ راياتٌ سودٌ فلا يَردُّها شيءٌ حتَّى تُنصبَ بإيلِيَاءَ."

(سنن الترمذي)

ويعطي القرآن الكريم التبرير المنطقي لهذا 'الكفاح المسلح' الذي سيتوَّجُ بفتح المسلمين للقدس. وأعلن إلـٰه إبراهيم نفسُهُ أنه أَذِنَ بالقتال رداً على ذلك الظلم الذي يُخرج الناس عُنوةً من ديارهم ومن الأرض التي عاشوا فيها – أُخرجوا بغير حقٍّ، وما أُخرِجوا إلاّ لأنهم مسلمون:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} ﴾

(الآيتان 39-40 من سورة الحج 22).

إن مصير القدس هو أن يدمر جيشٌ مسلمٌ دولةَ إسرائيل وأن المسيحَ (عيسى ابن مريم) سيحكم العالم من القدس حَكَماً عَدْلاً. إن عيسى، المسيح، عليه السلام، سيحكم العالم من الدولة الإسلامية التي ستقام آنذاك في الأرض المقدسة مكان دولة إسرائيل الصهيونية اليهودية.

ومصير القدس أيضاً هو أنه قبل أن يتم ذلك، يجب أن تصبح دولة إسرائيل اليهودية, '**الدولة الحاكمة**' في العالم. سوف 'تحكم' إسرائيل العالم لفترة **يوم كجمعة**. وفي نهاية تلك الفترة سيظهر **المسيح الدجال** نفسه في **يومٍ كيومٍ من أيامنا**. في ذلك الوقت يكون ماء بحيرة طبرية قد جف. و'يحكم' **الدجال** العالمَ من القدس وبذلك ينجز مهمته المتمثلة في التشبُّه بالمسيح الحقيقي. وبعد أن يظهر **الدجال** نفسُه شخصياً يظهر الإمام المهدي.

تحدث النبي، صلى الله عليه وسلم، عن هذا الحدث في الحديث التالي:

قال حذيفة: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: 'تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها؛ ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها؛ ثم تكون خلافة على منهاج النبوة' ثم سكت."

(مسند أحمد بن حنبل)

سيهاجم **الدجالُ** الإمامَ في دمشق، وسيترل عيسى، المسيح الحقيقـــي، ويقتـــل **الدجال**. وبعد أن يُقتَلَ **الدجال** عندئذٍ سيُفتَحُ ما تبقى من يأجوج ومأجوج، ويمـــرون على بحيرة طبرية ويقولون "**كان هنا مرةً ماءٌ**". وسيتبع يأجوجُ ومأجوجُ عيسى المسيحَ إلى جبلٍ في القدس، ويأمر اللهُ سحبانه وتعالى المسيح بصعود الجبل. ويتبجح يـــأجوج ومأجوج بقولهم: "**لقد قتلنا مَنْ في الأرض. هلم فلنقتل مَنْ في السماء**". فيرمـــون بنشابهم إلى السماء. فيردُّ الله عليهم نشابهم مخضوبةً دما". (لعل شخصاً ما يتمكن، إن شاء الله، من شرح هذا الحديث في المستقبل غير البعيد). سيدعو عيـــسى المـــسيحُ اللهَ آنئذٍ أن يُهلِكَ يأجوج ومأجوج، ويهلِكُهُمُ الله بحشرات تهاجمهم في رقابهم من الخلف، فتنهار قواهم كلهم ويسقطون على الأرض فيصبحون كلهم أمواتاً.

عندما تهلك يأجوج ومأجوج سينهار 'النظام العالمي الأبيض' المسيطر وينـــهار العالم الحديث – عالم العجائب العلمية والتكنولوجية. ويتوقع هذا الكتاب ألا يتـــأخر ذلك الحدث عن خمسين سنة من الآن. وفي ذلك الوقت سيخرُج الجيشُ المسلم مـــن خراسان ويواجه اليهود عندئذٍ في معركة 'بأرض مســـــتوية' – تكون فيها الفـــرص متكافئـــة –. وقد أعلن النبي، صلى الله عليه وســـلم، في حـــديث وارد في صـــحيح البخاري وصحيح مسلم، أن المسلمين سيحاربون اليهود عندئذ. وفيمـــا يلـــي نـــص الحديث:

> تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله

(صحيح البخاري)

عن أبي هريرة أن الرسول، صلى الله عليه وسلم قـــال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود. فيقتلهم المسلمون. حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر.فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي. فتعال فاقتله. إلا الغرقد.فإنه من شجر اليهود."

(صحيح مسلم)

من السهل جداً في الواقع القضاء على مَن لا يستطيع من علماء الإسلام تقـــديم الإرشاد الصحيح في هذا العصر. فهم علماء لن يذكروا هذا الحديث علناً، وإن ذكروه فنادراً ما يفعلون.

إن مصير القدس يعطي المسلمين أكبر ثقةٍ وأملٍ في أن ينتصر الحق على الباطـــل والطغيان.

لقد كُتِبَ هذا الكتاب لهذا الغرض بالذات – أن يفسِّرَ للمسلمين هـــذا العـــالَمَ الغريب الذي نعيش فيه اليوم. إنه عالم 'يــبـدو' فيه أن قضية الإسلام قضية خاســـرة. لكن القارئ، بعد أن يقرأ هذا الكتاب، سيعرف، إن لم يكن يعرف مـــن قبـــل، أن **الحقيقة** غير ذلك تماماً. وعندما يستيقن المسلمون من أن مصير القدس يُثبت بما لا يقبل الشك صحة ادِّعاء الإسلام بأنه **الحق**، يستجمعون القوى لمقاومة الحرب الـــتي تُـــشَنُّ الآن على الإسلام، والتي يبذل فيها العالم الملحد كل جهدٍ ممكنٍ للقضاء على إيمـــانهم بالإسلام.



الباب الثاني

الفصل الأول

الأرض المقدسة والشرك السياسي لدولة إسرائيل

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً {2}﴾

(الآية 2 من سورة الإسراء 17).

(الشرك هو أن يعبد المرء أي شيءٍ غير إلـٰـه إبراهيم، عليه السلام. وكل إفساد لعبادة ذلك الإلـٰـه الواحد هو أيضاً شرك. والكفر هو رفض **الحق**).

إسرائيل دولة علمانية حديثة في الأرض المقدسة. ونظامها السياسي يقوم على العلمانية السياسية. فما هي الشرعية الدينية لهذه الدولة العلمانية الحديثة عندما نحكم عليها بموجب مِلَّة إبراهيم، عليه السلام؟ فهل تتفق هذه الدولة العلمانية التي أنشئت في الأرض المقدسة مع الشروط الإلـٰـهية لوراثة الأرض المقدسة أم تنتهكها؟ يحاول هذا الفصل الإجابة على هذه الأسئلة.

النظام العالمي اليوم

من الغرابة أنه في هذا العالم، الذي ما زال يضم حضارات كثيرة، بعضها عمره ألف سنة أو يزيد، لا يسيطر أيٌّ من هذه الحضارات الآن على أيِّ أرضٍ. فالبشرية الآن في كل أنحاء العالم خاضعة لحكم الحضارة الأوروبية. وفي كل مكان في العالم

اعتنقت البشرية اليوم النموذج الأوروبي للدولة العلمانية. وهذا شيء فريد لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية. وإنه كذلك شيء غامض ينذر بالويل والثبور. لقـــد أوجـــد النظام الأوروبي – نظامُ الدول العلمانية – مؤسسةً سياسيةً دولية جديدة سميت (بادئ الأمر) **عصبة الأمم** ثم بُعِثَت من موتها باسم 'الأمم **المتحدة**'. وفي هذا الاسم ذاتـــه – **الأمم المتحدة** – تَكَرَّسَ هدف النظام العالمي الجديد الذي أوجدته أوروبا. والهدف هو توحيد العالم تحت النفوذ السياسي الأوروبي والسيطرة الأوروبية لكي تتمكن أوروبـــا في نهاية المطاف من حكم العالم بوصفها **حكومة عالمية**. في الوقت الذي يُكتب فيـــه هذا الكتاب تقف أوروبا على عتبة النصر النهائي الكامل لتلك الاستراتيجية السياسية. وتبدو جميع الحضارات غير الأوروبية في العالم عاجزة عن تحرير نفسها مـــن قبـــضة العلمانية الأوروبية.

ردَّ آرنولد توينبي، المؤرخ البريطاني الشهير، على هذه الظاهرة الفريدة بقولـــه إن كل الحضارات السابقة (أي السابقة للحضارة الأوروبية الحديثة) إمـــا '**ميتة**' أو '**في حكم الميتة**'، **وليس من الحتمي أن تؤول الحضارة الغربية إلى ما آلت إليه كل الحضارات السابقة** (*Toynbee: Civilization on Trial, Ox Univ. Press, London, 1957: p.38*). فمن الواضح تماماً، أنَّ أوروبا تهدف، لأسباب غامضةٍ جـــداً ومنـــذرةٍ بالويل أيضاً، إلى إقامة حكم أوروبي على العالم أجمع. وقد أكد توينبي ذلك في بيـــان صريح جداً جاء في كتابه المشهور "*Civilization on Trial*" "**الحضارة الأوروبية لا تهدف إلى ما هو أقل من وضع البشرية بأسرها في مجتمع عظيم واحد والتحكُّم في كل شيء في الأرض والجو والبحر ...**"

(المرجع نفسه، الصفحة 166)

غير أن الهدف الأوروبي النهائي هو تمكين اليهود من العودة إلى الأرض المقدسة لتسليم حكم العالم إلى اليهود لكي يحكموا العالم من القدس. ويشرح هذا الكتـــاب تلك الحقيقة التي تستعصي على التفسير!

أعلن القرآن (في الآية 96 من سورة الأنبياء 21) بوضوح تام أنه عندما يفتح الله، سبحانه وتعالى، يأجوج ومأجوج ويخرجهم إلى العالم فإنهم "﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾". ونتيجةً لذلك فإن قوماً أُخرِجوا من '**قرية**' أهلكها الله، سبحانه وتعالى، وحرَّم عليهم أن يعودوا إليها، سيعودون الآن إلى تلك '**القرية**' ليستعيدوها. وقلنا في هذا الكتاب إن '**القرية**' هي القدس! وعندما '**ينسل يأجوج ومأجوج من كل حدب**' سيكون من المستحيل على سائر البشرية أن تقاومهم بسبب ما جاء في قول الله، سبحانه وتعالى،:

"إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم. فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون."

(صحيح مسلم)

يتضح مما تقدم أعلاه أن الحضارة الأوروبية (بعد بعثة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم) هي حضارة يأجوج ومأجوج.

ويفسِّر هذا الكتاب أيضاً ظاهرة **الدجّال**. فهو يشكل، مع يأجوج ومأجوج واحدة من الآيات الكبرى الدالة على آخر الزمان. وحيث إن مهمته هي أن يقلد المسيح فيجب أن يحكم العالم من القدس. وقد عين هذا الكتاب مكان **الدجّال** الأصلي الذي سيبدأ منه مهمته، ألا وهو جزيرة بريطانيا. ولذلك كان الهدف الأول لأوروبا ليس فقط أن تمكِّن اليهود من العودة إلى الأرض المقدسة، وإنما أن تسلمهم **حكم** العالم أيضاً، لكي يحكموا العالم من القدس!

وشكلت الدولة العلمانية جزءاً أساسياً من الاستراتيجية الشاملة التي سعت بها أوروبا إلى تحقيق هذا الهدف.

تكوين الدولة العلمانية الحديثة

برزت الدولة العلمانية الحديثة إلى حيِّز الوجود في أوروبا بعد أن تعرضت الحضارة المسيحية–الأوروبية لهجوم غامض من الداخل أدخل عليها تغييرات ثورية تنذر بالويل. وأدت هذه الثورة إلى تحويل حضارة تقوم أساساً على المسيحية واليهودية (لأن إحداهما نشأت من الأخرى) إلى حضارة هي من القوة بحيث لا يقوى أحد على مقاومتها، وهي ملحدة أساساً، ومخادعة إلى حد يثير الدهشة، ومنحطة إلى حد يثير الذعر. وكان هذا واحداً من أكثر الأحداث هولاً وفردِيَّةً في تاريخ البشرية منذ الأزل.

لقد ظهر إلحاد الحضارة الأوروبية واضحاً جلياً في عناقه 'للمادية'. ومعنى ذلك أن أوروبا لم تعد تؤمن بوجود أي حقيقة سوى الحقيقة المادية. وكان عناقُها الماديةَ نتيجةً منطقية لاعتناقها الديانة الجديدة '**العوراء**' التي تصر بكل عناد على أن المعرفة مستمَدَّة من مصدر واحد فقط، ذلك هو الملاحظة الخارجية والتجريب. أما'العين' الأخرى، أي البصيرة الروحانية الفوقية الداخلية، فقد رُفِضَت كوسيلة يمكن من خلالها اكتساب المعرفة.

برزت الدولة العلمانية الحديثة إلى حيز الوجود نتيجةً لتطبيق الإلحاد الأوروبي الجديد على الفلسفة السياسية والنظرية السياسية. ولكن هذا لم يكن كلَّ ما في الأمر! ومع أن الدولة العلمانية ربما تكون قد ظهرت مِن قبلُ في التاريخ، فقد كان في العصر الحديث فقط أن أصبحت ظاهرةً عالميةً تعانق البشرية بأسرها في نظام عالمي علماني جديد. وظهر العصر الحديث بالضبطِ نتيجةً لتلك الثورة الأوروبية الهائلة المنذرة بالويل. وعانقت الثورة الأوروبية بعلمانيتها الملحدة البشرية بأسرها ومضت إلى تغيير كل البشرية ووضعِها في عالم واحد شامل وملحد وعلماني ومنحط. هذا حدثٌ كان

بلا شك فريداً في نوعه لم يشهد مثله تاريخُ البشرية منذ الأزل. فهل هناك شيء يفسره؟ نحن ندَّعي أن القرآن فقط هو الذي يفسره.

كانت الثورة الأوروبية الملحدة ظاهرة أكثر غموضاً حتى من كل شيء لأنها كانت مصحوبة بثورة علمية وتكنولوجية سلَّحت أوروبا الملحدة بـ 'قوة' بدا أنها لا تُقهَرُ وأعطتها 'بريقاً' جعلها لا تُقاوَمُ. فالآلة البخارية، والقطارات، والسيارات، والشاحنات، والدبابات الآلية للحرب، والسفن التي تجري بالبُخار ثم بالنفط، والطائرات، إلخ.، غيرت الطرق التي يسافر بها العالم ويشن الحروب تغييراً تاماً؛ وهذا بدوره غيَّر الطريقة التي يعيش بها الناس. فالكهرباء أنتجت الطاقة وحولت الليل إلى نهار، وهذا غيَّر حياة الناس. ومكَّن الهاتفُ والتليغرافُ الناسَ من إجراء اتصالات آنية عبر مسافات شاسعة وهذا بدوره غيَّرَ الطريقة التي يعيش بها الناس. وقامت ثورة نسائية أعطت المرأة حرية أخْذِ الدور الوظيفي للرجل في المجتمع متحدية بذلك الاختلاف الوظيفي الذي خلقه الله، سبحانه وتعالى، وقضى به (الآيات 1-4 من سورة الليل 92). وهتف الناس لذلك باعتباره تحرُّراً للمرأة! فأسفر عن أهم تغيُّر في الطريقة التي يعيش بها الناس وأكثر التغيُّرات إنذاراً بالويل.

وَوَجَّهَتْ أوروبا هجوماً مستمراً على البشرية بمخاطبتها الغرائز الدنيئة — الطمع والشهوة. وقامت ثورة جنسية تَــعِدُ بجعل الجنس — الطبيعي وغير الطبيعي – موجوداً بيسرٍ وبالمجان كضوء الشمس. وأصبح الزواج بصورة متزايدة يعتبر أمراً لا لزوم له، وأصبح بإمكان الناس أن يعيشوا معاً دون زواج ومع ذلك تكون عيشتهم هذه مقبولة ومحترمة. فقد عاشت جاكلين كنيدي، أرملة الرئيس الأمريكي الراحل جون ف. كنيدي، وهي الأيقونة الأمريكية، السنوات الأخيرة من حياتها عشيرة بلا زواج. وحينما توفيت قُدِّمَ 'شريكُ حياتها' اليهودي على أنه 'رفيقُها'.

ويدافع الناس عن اللُّواط والسِّحاق باعتبارهما جنسانيةً بديلة، وأصبح مقبولاً في ضمير الشعب أن يخرج لوطي أو مساحقة من الحياة السِّرِّية التي كانا يعيشانها ويكون

(أو تكون) خورياً أو ربِّياً، ويحظى الواحد منهما بالاحترام ويظـــل يمـــارس وظيفتـــه كخوريٍّ أوربِّي. بل إن كلمة 'اللواط' تعلمَنَت هي الأخرى لتُبعد عن نفسها ما لصق بها من كُرْهٍ اجتماعي باعتبارها جنساً غير طبيعي. واستعيض عنها بكلمة "gay"، أي 'المَرِح'. وقَبِلَ الجمهور، الذي لم تساوره الشُّبُهات، تغيير الاسم بهذا الـــشكل الـــذي تبدو عليه البراءة في ظاهره.

وأعطت الثورةُ الاستهلاكيةُ البشريةَ شهية لا يمكن إشباعها لامـــتلاك الـــسلع الاستهلاكية التي تبهر العين بتزايُد لا يقف عند حد. وتغلغلت الثورة الاســـتهلاكية في نفوس الناس إلى حدٍّ تحوَّلت معه المطابخ والحمامات وحتى المراحيض، في أكثر البيوت بدائيةً، تغيُّراً تاماً.

ومضت أوروبا الملحدة الجديدة إلى استخدام 'القوة' لتهزم بهـــا ســـائر العـــالم وتستعمره، ثم استخدمت 'البريق' لتغوي البشرية بأسرها لتقليد طريقة الحياة الأوروبية الملحدة المنحطة وثقافتها الاستهلاكية الجديدة. وشهدت الثورةُ الأوروبية الملحدة نقطةَ تحوُّلها السياسي في الثورات الأمريكية والفرنسية والبلـــشفية في الـــسنوات 1776، و 1787-1800، و1917. وكانت نقطة التحوُّل الاقتـــصادي ظهـــور النظـــام الاقتصادي القائم على الربا، وتحققت تحقُّقاً تاماً بقيام الثورة البروتستانتية. وكانـــت نقطة التحوُّل الثقافي بقيام الثورة النسائية وكفاحها من أجل حرية المرأة. لكنْ ما كان يمكن أن تقوم أيٌّ من هذه الثورات لولا مصاحبة الثورة العلمية والتكنولوجية لها.

الشِّركُ والكُفرُ في الدولة العلمانية الحديثة

بعد انتهاء هذه الثورات، لم تعد الحضارة المسيحية-الأوروبية، التي كانت تستند إلى الإيمان بالله وبسيادته وسلطته العليا (من خلال نظرية حق الملوك الإلـــٰـــهي الذي يمارسه 'خليفة الله على الأرض' المتمثل بكنيسة روما)، تعترف بسيادة إلـــٰه إبـــراهيم، عليه السلام، ولم تعد تعترف بأن سلطته هي العليا، وأن قانونه هو القانون الأعلـــى.

وإنما اعتُرِفَ الآن بسيادة ‘الدولة العلمانية الحديثة’، وهذا شرك (**فالشرك هو عبادة أي شيء غير إلـه إبراهيم، عليه السلام. وأي إفساد لعبادة ذلك الإلـه الواحد هو أيضاً شرك. والكفر هو رفض الحق.**) واعتُرِفَ الآن بسلطة ‘الدولة العلمانية’ الحديثة، باعتبارها هي ‘السلطة العليا’، وبقانونها باعتباره هو ‘القانون الأعلى’، وهذا شرك! وأصبحت للدولة سلطة تحليل ما حرَّمه إلـه إبراهيم، عليه السلام، ومارست الدولة هذه السلطة، وهذا أيضاً شرك!

الشرك إثم كبير. بل إنه أكبر الكبائر كلها. إنه الإثم الوحيد الذي أعلن إلـه إبراهيم، سبحانه وتعالى، أنه لا يغفره:

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً {48}﴾

(الآية 48 من سورة النساء 4)

فمن أشرك بالله ومات وهو مشرك لا يدخل الجنة أبداً:

﴿ ... إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ {72}﴾

(الآية 72 من سورة المائدة 5).

عبادة الأوثان هي أوضح أنواع الشرك. وقد اختفى هذا النوع من الشرك إلى حدٍّ كبيرٍ من العالم اليوم. ولكنَّ العالَم الهندوسي يتمسك به بعناد. ومن ثم لا يمكن أن يُعذَرَ المؤمن إذا لم يعترف بأن الهندوس مشركون! وقد حذَّر القرآن المؤمنين بوضوح من أنهم سيجدون المرة تلو المرة، أن أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا هم اليهودُ والذين أشركوا (كالذين يعبدون الأوثان):

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا . . . {82} ﴾
(الآية 82 من سورة المائدة 5).

لكنَّ هناك أنواعاً أخرى من الشِّرك يَرِدُ وصفها في القرآن أيضاً. فقد قال فرعـــونُ، مثلاً، لموسى، عليه السلام: "أنا ربكم الأعلى"؛ أماّ لزعماء شعبه فقد: "قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي . . . ". وهذا شرك! فعبادة الـــشعب المـــصري لفرعون كانت تقتضي منهم أن يخضعوا لسلطته العليا في أرض مصر وأن يعترفـــوا بأن قانونه هو القانون الأعلى في أرض مصر. وهذا أيضاً شرك!

وقد أنَّبَ القرآنُ مراراً وتكراراً الناسَ الذين يقيمون 'حُكماً'،كما فعل فرعـــون. والحكم هنا هو نظام القانون والعدل الذي يقوم 'على غـــير' ســـلطة الله، ســـبحانه وتعالى، أو 'مناقضاً لها'. غير أنه عندما يصل هُدى الله، ســـبحانه وتعـــالى، إلى قـــوم (كاليهود والنصارى والمسلمين) ويقبلون هذا الهدى فعندئذٍ يصبح الأمر مختلفاً جـــداًّ. وإذا أتيحت لمثل هؤلاء القوم فرصة لبسط سيطرهم على إقليمٍ ما، كما فعل المسلمون في الهند عندما أقاموا باكستان، ويقصِّرون عندها عن إقامة القانون والـــسلطة وفقـــاً للقانون الإلهي الذي أنزله الله، سبحانه وتعالى،، فعندئذٍ يدينهم القرآن إدانة قاطعـــة لا تدع مجالاً للشك ويتهمهم بالكفر والظلم والفسق:

﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾
﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
﴿ . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

(الآيات 44-47 من سورة المائدة 5)

ولما كان إعلان فرعون وتطبيقه العملي في أرض مصر شركاً، فالنتيجة التي نخلص إليها من ذلك هي أن إعلان الشيء نفسه مِن قِبَلِ الدولة العلمانية الحديثة هو أيضاً شرك! ولما قال إلـٰه إبراهيم، سبحانه وتعالى: " وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . . . فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . . . فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " وهذا هو بالضبط ما تفعله الدولة العلمانية الحديثة، نستنتج من ذلك أن اليهود والنصارى والمسلمين، إلخ.، الذين يقيمون دولة علمانية بعد أن تلقَّوا القانون الإلـٰهي في التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، يكونون قد ارتكبوا الكفر والظلم والفسق!

وعندما يصوت اليهودي أو النصراني أو المسلم في انتخابات وطنية تجرى في دولة علمانية حديثة، فمعنى تصويته أنه يعتبر الحزب الذي صوت لصالحه مناسب لأن يحكمه. وإذا ارتكب ذلك الحزب بعد أن يشكِّل الحكومة شركاً أو كفراً أو ظلماً أو فسقاً، فمعنى ذلك أن هذا اليهودي أو النصراني أو المسلم سيلحق بحزبه وحكومته إلى ارتكاب الشرك والكفر والظلم والفسق! (وينطبق الشيء ذاته على الهندوس والبوذيين، إلخ.) وأدان القرآن أيضاً تحليل ما حرَّم الله (والعكس بالعكس) ووصفه بأنه شرك. ولذلك جاء التنزيل من عند إلـٰه إبراهيم، عليه السلام، فأدان اليهودَ والنصارى بالضبط لارتكابهم هذا الإثم الكبير:

﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {31} ﴾

(الآية 31 من سورة التوبة 9).

عندما نزلت هذه الآية من آيات القرآن الكريم جاء رجل إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، محتجاً وقال إن اليهود والنصارى لا يعبدون أحبارهم ورهبانهم. فكيف يمكن إذن لإلـٰه إبراهيم أن يتهمهم بذلك؟ فردَّ عليه النبي بسؤال استنكاري قائل:

ألم يُحلّوا ما حرَّم الله؟ وقال إن ذلك شرك! ثم سأله: ألم يتَّبعهم الناس (أي اليهـــود والنصارى) في ذلك؟ وقال إن هذا هو شركهم! ومن المحرَّمات التي أحلّوهـــا القمـــار والأزلام، وتعاطي الكحول وبيعها وأكل الربا. وفي بعض الحالات، أعيـــدت كتابـــة التوراة نفسها لتحليل هذه المحرَّمات. (انظر كتابنا: ***The Religion of Abraham and the State of Israel – A View from the Qur'an"*** (مِلَّة إبراهيم ودولة إسرائيل – نظرة من القرآن)).

وعندما فعل اليهود ذلك لعنهم داود، عليه السلام، وعيسى، عليه السلام:

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ {78} كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ {79} . ﴾

(الآيتان 78-79 من سورة المائدة 5).

ومن مات وعليه لعنة نبي لا توجد لديه فرصة أبداً للإفلات من لهيب نار جهنم! بل إنه منتهى النفاق أن يعلن قوم ما أنهم يعبدون إلـــٰـــه إبراهيم ثم يُحِلّون ما حرمـــه عليهم، أو يحرموا ما أحله لهم:

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {67} . ﴾
(الآية 67 من سورة التوبة 9).

فإذا كان تحليل الأحبار والرِّبِّيين لما حرَّم الله شركاً، فعندما تفعل الحكومة الشيء ذاته اليوم فهي ترتكب شركاً كذلك. وإذا كان ذلك نفاقاً في تلك الأيام، فهو نفـــاق في هذا اليوم أيضاً. وإذا جلب لهم لعنة الأنبياء آنذاك، فهو يجلب لعنة الأنبيـــاء اليـــوم أيضاً!

والآن، النَّهجُ العادي الذي يُتَّبَعُ في دراسة هذا الموضوع هو وزن مشاركة المؤمنين في السياسات الانتخابية للدولة العلمانية الحديثة **'بما لها وما عليها'**. فالمدافعون عن الدولة العلمانية يتحدثون بأفصح لسانٍ عن محاسنها. ويقولون إنها أكثر النظم السياسية والدول تقدماً ورقياً منذ فجر التاريخ. ويقول بعضهم: "إذا لم نشارك في السياسة الانتخابية فلن يكون لنا أي تمثيل سياسي – ولن يكون لنا مَن يدافع عن حقوقنا." وعلى مستوى من التفكير أكثر جديةً يقول آخرون: "إن المشاركة في السياسة الانتخابية هي الشرط الضروري لنجاح أي كفاح من أجل تغيير النظام السياسي الملحد." وتُعالَجُ مسألة الشرك معالجةً ملتوية (أي باستراتيجية أو وسيلة مخادعة): "سنشارك في الانتخابات ولكننا نفعل ذلك على أساس موقف معلَن أننا لا نقبل الدستور العلماني والدولة العلمانية التي يحفظها. وهذا الشرط ينجينا من الشرك."

وردُّنا على ذلك هو أن نشير إلى أن المشاركة في السياسة الانتخابية في دولة علمانية تعني بحكم الواقع القبول بالطابع العلماني للدولة. والدولة العلمانية تعلن نفس الإعلان الذي أعلنه فرعون لموسى، عليه السلام. والإعلان هو: الدولة هي صاحبة السيادة. وسلطتها هي السلطة العليا. وقانونها هو القانون الأعلى. هذا شرك! وعندما يصوِّت الناس في الانتخابات في دولة علمانية فهم، بذلك التصويت، يقبلون بادِّعاء الدولة بأنها صاحبة السيادة. ويقبلون بادِّعائها السلطة العليا لنفسها. ويقبلون بالادِّعاء بأن قانونها هو القانون الأعلى. ولذلك عندما يصوت المؤمنون في هذه الانتخابات لا يستطيعون الإفلات من الشرك.

ثانياً، عندما يصوت المؤمنون في الانتخابات في دولة علمانية، عليهم أن يصوتوا لحزب سياسي. وإن أعلن ذلك الحزب عندما يشكل الحكومة تحليل ما حرَّمه إلٰه إبراهيم، سبحانه وتعالى، أو أنفذ قوانين من هذا القبيل تكون تلك الحكومة قد ارتكبت شركاً. واليوم أحلَّت حكومات وبرلمانات الدول العلمانية في سائر أنحاء العالم كل ما حرَّمه الله، سبحانه وتعالى، تقريباً. وعندما يدلي المؤمنون بأصواتهم لهذه

الأحزاب السياسية وهذه الحكومات التي ارتكبت الشرك مراراً وتكراراً، فـإن هـذه الأصوات تنطوي على القبول بأن هؤلاء الأشخاص أهلٌ لحكمهم. وهكـذا يتَّـبعهم المؤمنون في الشرك والكفر والظلم والفسق!

ثالثاً، هذا الأسلوب يشكل انتهاكاً لسـنَّة نبي الإسلام، صلى الله عليه وسـلم وهجر هذه السُّـــنَّة.

اليوم تتألف الأحزاب السياسية والحكومات في مختلف أنحاء العالم ممن يـصِرّون بازدراء على تحليل ما حرم الله. وقد قدَّمنا في هذا الفصل أمثلة عديدة لذلك. وعندما يصوِّت المؤمنون لصالح هذه الأحزاب في انتخابات وطنية ثم يعترفـون بـأن هـذه الأحزاب أهل لحكمهم، على المؤمنين أن يتوقفوا قليلاً للنظر في التـداعيات العمليـة لعملهم هذا. فعندما يصرٌّ الناس بازدراء على ارتكاب الحرام سيدفعون ثمناً باهظاً. ومن الواضح وضوح النهار أن العالَمَ العلماني الحديث يدفع بالفعل هذا الثمن الباهظ بالذات. فما هو؟

﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {166} ﴾

(الآية 166 من سورة الأعراف 7).

ما يعنيه هذا هو أنهم سيعيشون الآن كما تعيش القردة، لا يستطيعون أن يكبحوا جماح شهواتهم وأهوائهم، فإذا جاء 'آخر الزمان' رأيتهم يمارسون الجنس على مـرأى من الناس كالحمير.

أحلَّت الدولة العلمانية الحديثة إقراض المال بالفائدة (الربا). وترى اليوم أعـداداً متزايدة من الدول العلمانية في مختلف أنحاء العالم تُحِلُّ القمار (وأوراق اليانـصيب)، وتعاطي المسكرات (أي الكحول) ولحم الخنزير وبيعها، واستعمال العملة الورقية التي تخسر من قيمتها باستمرار (وعندما يحدث ذلك يكون الجمهور قد سُلِبَ أموالـه وفي النهاية تعرض للسجن 'كعمال السخرة'). وأصبح الإجهاض واللواط والسحاق والزنا

والفسق كلُّها حلالاً. وثمة محال تجارية في الولايات المتحدة تضع إعلانات في وسائط الإعلام لمن يريدون أن يبيعوا أولادهم. وتوجد خدمة متنقلة لبيع الزِّفالات لمن يرغب في انتهاز فرصة غير متوقعة.

لم تعد معظم الدول العلمانية الحديثة في مختلف أنحاء العالم اليوم تعترف بقانون الله الذي يقضي بأن للذكر مثلَ حظ الأنثيين في الميراث. وتعلن أن هذا القانون يميِّز ضد المرأة، وتضع لنفسها قوانين خاصة بها تدعي أنها أكثر عدلاً من قوانين الله، سبحانه وتعالى،. والواقع أن قانون هذه الدول ليس قانوناً. ففي وسع الرجل أن يترك كل ثروته لحمارٍ ولا يترك شيئاً لزوجته وأولاده! وحظرت الدولة العلمانية الحديثة على الرجل أن يتزوج أكثر من امرأة واحدة في الوقت نفسه، مدعية أن في هذا تمييزاً ضد المرأة. بل إنها فرضت على الرجل ألا يتزوج أكثر من امرأة واحدة في وقت واحد، مدعية أن هذا يقضي على التمييز الموجود في قانون الله، سبحانه وتعالى. وأدى هذا البديل إلى ثورة جنسية سَخِرَت بالزواج نفسه! ولم يعد على المرأة واجب قانوني أو أدبي أن تطيع زوجها لأن ذلك يميز ضد المساواة بين الذكر والأنثى. ولم تطلع الشمس يوماً على عالم أغرب من العالم الأوروبي الحديث الملحد بلا حدود، والمتبرِّج تبرُّجاً مخيفاً، ومن المؤكد أن هذه آية تنذر بالويل!

إن الطابع المميز لِمِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، هو أنه لا يوجد فيها مكان للكفر والشرك أبداً. ولكن النظام السياسي العلماني للحضارة المسيحية–الأوروبية الجديدة، الملحدة أساساً — التي تُعْرَفُ الآن باسم الحضارة الأوروبية الحديثة، يقوم على الكفر والشرك. وقد أقيمت الأمم المتحدة على أساس هذا الشرك بالذات. فميثاق الأمم المتحدة ينص على أن الله، سبحانه وتعالى، ليس هو الأكبر! بل تنص المادتان 24 و25 من الميثاق على أن لمجلس الأمن السلطة العليا في العالم على كل المسائل المتعلقة بالسلم والأمن الدوليين. بعبارة أخرى، سلطة مجلس الأمن أعلى من سلطة الله، سبحانه وتعالى، وسلطة رسوله، صلى الله عليه وسلم. وهذا شرك.

فكيف نفسِّر إذَنْ قبول بني إسرائيل بدولة علمانية حديثة في الأرض المقدسة (أي دولة إسرائيل)؟ وكيف نفسِّر قبول المسلمين في كل أنحاء العـالم بالدولـة العلمانيـة الحديثة (أي جمهورية تركيا، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية باكستان، ودولـة ماليزيا، إلخ.)، بديلاً صالحاً عن الخلافة؟ ربما تكون هذه هي اللحظة المناسبة لنا لنفسِّر ماذا كانت الخلافة ثم نقارن بينها وبين الدولة العلمانية الحديثة. وقد بلغ جهل العـالم اليوم حداً أصبح معه المسلمون أنفُسُهُم لا يعرفون الموضوع.

الخلافة والدولة العلمانية الحديثة

كانت الخلافة الإسلامية بالضبط مفهوماً لدولةٍ ونظامٍ سياسيٍّ يعترف بسيادة الله عز وجل وسلطته العليا وقانونه الأعلى، وتُـنْفِذُ الحرام حراماً والحلال حلالاً. وبرزت الخلافة إلى حيِّز الوجود بالضبطِ نتيجة للأمر الإلـٰهي الذي يقضي بالطاعة التامـة لله سبحانه وتعالى والرسول، صلى الله عليه وسلم، و'أولي الأمر من المسلمين'.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ . . . {59}. ﴾
(الآية 59 من سورة النساء 4).

رفض الإسلام القبول بالولاء المجزَّأ — أي أن يقدم المرء ولاءه الأعلى للدولة ومع ذلك يقدم ولاءه الأعلى لله سبحانه وتعالى. ولا يجوز الفصل بين العالَمَيْنِ (عالَمَ الدين وعالم السياسة) لأن القرآن الكريم يقول إن الله، سبحانه وتعـالى،: " هُوَ الأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ" (الآية 3 من سورة الحديد 57). فالولاء الأعلى يجـب أن يكـون لله سبحانه وتعالى لا للدولة لأن القرآن الكريم طلب من المؤمنين أن يقولوا:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} ﴾
(الآية 162 من سورة الأنعام 6).

قضت أوروبا على ذلك النموذج الإسلامي للدولة والنظام الـسياسي حينمـا استهدفت الخلافة العثمانية ودمرها. ومضت أوروبا إلى ضمان عدم عـودة الخلافـة الإسلامية إلى الوجود أبداً. وقد فعلت ذلك حين ساعدت على إقامة دولة علمانية هي المملكة العربية السعودية في الحجاز، ثم مضت فضمنت بقاء تلك الدولة بضمان أمنها. (انظر كتابنـا: (The ***Caliphate, the Hejaz and the Saudi-Wahhabi Nation-State*** (**الخلافة والحجاز والدولة-الأمة السعودية-الوهابية**)). لم يكن في الإمكان أن تعود الخلافة لسببين: أوّلاً، لأن النظام السعودي–الوهابي الذي يسيطر على الحـرمين والحجاز والحج لن يدَّعي بالخلافة. ثانياً، ما دام هو مسيطراً على الحـرمين والحجـاز والحج لا يستطيع أحدٌ غيره أن يدَّعي بالخلافة!

هناك عدة أسباب تبين لماذا استهدفت أوروبا الخلافة ودمرها. الأول، طبعـاً لتيسير تحقيق الهدف المتمثل في تحرير الأرض المقدسة وإعادة اليهـود إليهـا. ولكـن السبب الثاني هو تمكين البشرية كلها من الأخذ بالنموذج الأوروبي للدولة العلمانيـة. وعندما دُمِّرَت الخلاقة حلت محلها دولة تركيا العلمانية التي جلست في مقعد الخلافـة نفسه. ثم برزت دولة إيران العلمانية في معقل الإسلام الشيعي. ودولة المملكة العربيـة السعودية العلمانية في معقل الإسلام السُّنِّيِّ. وأخيراً خُدِع المسلمون الهنـود بـصورة ملحوظة جداً وحُمِلوا على إقامة جمهورية باكستان العلمانية. ثالثاً، كان لا بـد مـن القضاء على الخلافة لأنها تعوق تحقيق الهدف النهائي للبرنامج الأوروبي الملحد الجديد. ذلك الهدف الأوروبي هو إقامة دولة إسرائيل اليهودية بوصـفها '**الدولة الحاكمة**' في العالم — تحكم العالم من القدس.

ولقد تنبأ النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بزوال الخلافـة. وقـال ذلـك في الحديث التالي:

"كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم (أي أمير المؤمنين أو الخليفة) منكم (أي أنه سيكون مسلماً) "

(صحيح البخاري)

هذا الحديث كشف عن ثلاثة أشياء:

أوَّلاً، أخبرنا أن الخلافة ستكون موجودة في العالم في 'آخر الزمان'. وكان هذا بمثابة نبوءة بأن الخلافة ستزول من العالم ثم تعود في يومٍ ما. ثانياً، قبل عودة الخلافة سيعيش المسلمون تحت سلطة غير المسلمين وسيطرتهم وحكمهم. ذلك هو بالضبط العالم الذي نعيش فيه اليوم. ثالثاً، أن عودة الخلافة ستكون متزامنة مع عودة عيسى ابن مريم. ولما كنا نعلم أنه عندما يعود عيسى، عليه السلام، سيحكم العالم من القدس، حَكَماً عَدْلاً، يُنفذ قانون الله، سبحانه وتعالى،، فمعنى ذلك هو أن دولة إسرائيل العلمانية الحديثة ستختفي وتحل محلها في الأرض المقدسة الدولةُ الإسلاميةُ الحقَّة التي ستكون خالية من شرك دولة إسرائيل العلمانية.

ويجب على الذين يدافعون عن الوضع القائم، أي الدول-الأمم الإسلامية العلمانية، أن يتوقفوا قليلاً ويتأملوا في نبوءة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بشأن عودة الخلافة. ومن المرجح في تقديرنا أن تتحقق تلك النبوءة في الخمسين سنة القادمة.

محاسن الدولة العلمانية الحديثة

ما كان للدولة العلمانية الحديثة أن تنال قبول المسيحيين-الأوروبيين واليهود-الأوروبيين، أو حتى المسلمين، لولا أنها موَّهت شِركَها وكفرها ببعض المحاسن الظاهرية. فما هي هذه المحاسن؟ ظهرت الدولة العلمانية الحديثة في أوروبا رداً على ثيوقراطية مسيحية_أوروبية مسيطرة وظالمة، ورغبةً في تحدّي السلطة 'الدنيوية' للكنيسة المسيحية-الأوروبية. لقد تحدَّت الكنيسةَ حين أتت بإنجيلٍ جديدٍ زاهٍ فيه حرية فكرية ودينية كاملة بلا حدود وحقوق إنسان للجميع وتسامح ديني مع الجميع.

وأنشأت كذلك الأحوال السياسية التي تحفظ التعايُش السلمي لمختلف الديانات داخل الإقليم نفسه. وبذلك وضعت حداً لجميع الحروب الدينية الدموية التي نكبت أوروبا لعدة قرون.

ووصلت بالرشوة الماهرة إلى بطون الناس وقلوبهم بإبداعيتها الخلاقة. واكتشفت أو أنتجت كل ما أقبل عليه الناس بمحبة وفرح، بغض النظر عن المعتقدات الدينية, واعتبروه ضرورة من ضروريات الحياة الحديثة، كالكهرباء، مثلاً، والراديو، والهاتف، والهاتف اليدوي، والتلفزيون، والحاسوب، والطائرة، والسيارة، والفاكسيميلي، وتكنولوجيا تصوير الوثائق، إلخ. وعندما يُقبِل المرء على الحداثة بكل اختراعاتها العجيبة يُقبِل أيضا على الدولة العلمانية وعلى طريقتها العلمانية في الحياة. وهذا إنجازٌ ليس بالقليل.

حقيقة الدولة العلمانية الحديثة

لكن هذه المحاسن الظاهرية للدولة العلمانية الحديثة (التي وجد بعضها في دولة المدينة المنورة التي أنشأها النبي، صلى الله عليه وسلم)، لم تغيِّر قاعدتها الأساسية، وهي الكفر والشرك. والواقع أن الدولة العلمانية الحديثة بدأت تكشف ببطء عن برنامجها الحقيقي المخفي القائم على التنافُس، حين بدأت تشن حروباً ضروساً على طريقة الحياة الدينية. وباعتناق المجتمع للعلمانية تضاءل عدد الناس الذين يذهبون إلى الكنيسة، وبيعت الكنائس والمعابد الخالية وأصبحت قاعات للعبة 'البنغو'. بل إن الدين أصبح قوة متراجعة في العالم الجديد الذي هو علماني ملحد أساسا.

وتبيَّن أن ديمقراطية الدولة العلمانية الحديثة حبة سُمٍّ مغلفة بطبقة من السكر. وعملت الديمقراطية 'السياسية' بطريقة تُديم الطغيان الاقتصادي القائم على الربا. وفي كثير من الأحيان تعزز الطغيان الاقتصادي بطغيان عنصري وإثني. ولا تستطيع الجماهير الفقيرة أبداً أن تنتزع السلطة السياسية الحقيقية من أيدي النخبة الغنية

المفترسة، ومن ثم لا يمكن أن تكون لديها القوة لإنهاء الطغيان الاقتصادي. وذلك لأن ثروة هذه النخبة المفترسة هي بالضبط التي تشكل الفرق، بصورة متزايدة، بين النجاح والفشل في الحملات الانتخابية الباهظة الكلفة. والإنجيل الجديد للمجتمـــع العلمـــاني الحديث هو أن **الأغنياء سيرثون الأرض**. وهذا هو ما حدث بالضبط.

ومضت أوروبا الجديدة إلى استخدام قوتها العسكرية الجديدة وقـــدراتها الهائلـــة على الخداع للسيطرة على غير الأوروبيين من البشر وغسل أدمغتهم. وأَخَذَ كلٌّ الناس في سائر العالم في النهاية بالفلسفة السياسية الملحدة الجديدة بمفهومها الملحـــد للدولـــة ذات السيادة، ونظامها الاقتصادي الطاغي، وثقافتها المفسدة. وكان هذا إنجازاً لـــيس بالقليل!

وفُرِضَ الحكم الاستعماري الغربي على سائر البشرية، بما فيها المسلمون، وبهـــذه الطريقة أدخل النظام السياسي الملحد الجديد ، القائم على الكفر والشرك بالتحايُـــل والخداع. وقُضِيَ على الخلافة الإسلامية العثمانية، ومن أشلائها برزت الدولة التركية العلمانية الملحدة الحديثة. وقُضِيَ على **دار الإسلام** التي أقامها النبي نفسه، صـــلى الله عليه وسلم، في شبه جزيرة العرب، ومن أشلائها برزت المملكة العربيـــة الـــسعودية العلمانية الحديثة (بكل مظاهر السيادة الإقليمية والمواطنة، إلخ.) كدولة عميلة للغـــرب الملحد. وهكذا تحققت نبوءة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم! فقد تنبأ بأن أمته (أمة المسلمين) ستتَّبِعُ سنن اليهود والنصارى حتى إذا دخلوا جحر ضَبٍّ ســـتدخل أمتـــه وراءهم.

وكانت النتيجة أن دخل عالم اليهود والنصارى والمسلمين فتنة جماعية هـــي أُمُّ الفِتَن، وفشلوا فشلاً ذريعاً في طاعة إلـــٰـــه إبراهيم سبحانه وتعالى، حين أمرهم:

﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ {3} . ﴾

(الآية 3 من سورة الأعراف 7).

صممت الدولة العلمانية الحديثة الجديدة نظامَ سياسةٍ انتخابية لإنشاء برلمان وحكومة، وأحياناً لانتخاب القضاة. ويصوت مواطنو الدولة العلمانية، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، في انتخابات ديمقراطية. حتى وإن تشكلت الحكومة المنتخبة ممن يعبدون الشيطان نفسه رباً لهم وسيِّداً، يقتضي مبدأ الانتخابات الديمقراطية التزام النصارى واليهود والمسلمين (إلخ.) الذين يصوتون في هذه الانتخابات أن يقبلوا باعتبار هذه الحكومة قانونية وشرعية ومفوضة بحكمهم. وهم ملتزمون أيضاً بالخضوع لسلطتها وبطاعتها. وإذا أسفرت الانتخابات عن إقامة حكومة يسيطر عليها الهندوس، عبدة الأوثان، الذين يجاهرون بعدائهم لمن يعبدون إلــٰــه إبراهيم، سبحانه وتعالى، أو حكومة تُحِلُّ كل شيءٍ حرَّمه الله، سبحانه وتعالى، فإن مبدأ الانتخابات الديمقراطية يقتضي من اليهود والنصارى والمسلمين، إلخ.، الذين هم من مواطني الدولة العلمانية أن يعترفوا بأن هذه الحكومة هي حكومتهم الشرعية ويخضعوا لسلطتها ويطيعوها.

لا يوجد شيء في الكتب السماوية المترلة (التوراة والإنجيل والقرآن) أو في السنن النبوية ما يمكن استخدامه لتبرير اشتراك اليهود والنصارى والمسلمين، إلخ.، في هذه الانتخابات، التي يصوِّتون فيها بحرية لانتخاب حكومة كهذه يعتبرونها شرعية لتحكمهم. بل على العكس من ذلك، توجد إدانة واضحة جداً لهذا السلوك! ولكن الفقيه الإسلامي البارز، الدكتور جابر العلواني، استطاع إصدار فتوى (أخذ بها المسلمون العور بابتهاج) يعلن فيها أن من واجب المسلمين أن يصوِّتوا في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة في تشرين الثاني/نوفمبر 2000. وصوت معظمهم لجورج بوش، وانتهوا الآن إلى تلطيخ وجوههم بالطين. ولو صوَّتوا لمنافسِهِ، ألبرت غور، لما كان الوضع يختلف كثيراً عما هو عليه الآن. صوتوا لبوش، وها هم الآن يبكون على

المسلمين في الأرض المقدسة الذين يتعرضون لطغيان متزايد من دولة إسرائيل اليهودية، التي تؤيد حكومةُ بوش طغيانها الغاشم المستمر بكل صلابة! ويكون على المسلمين في أفغانستان الذين ذبحتهم حكومة بوش نفسها بوحشية وبلا رحمة. (انظر المرفق الثاني: ردٌّ إسلامي على الهجوم على أمريكا".)

البديل المتاح للمؤمنين عن السياسة الانتخابية في الدولة العلمانية الحديثة

من المرجح أن يسأل القارئ اليهودي أو النصراني أو المسلم نفسه: أيوجد بديل (للمؤمنين) عن السياسة الانتخابية في الدولة العلمانية؟ الجواب هو: نعم! يوجد بديل. البديل هو الجهاد لإعادة السيادة إلى إلـٰـه إبراهيم، سبحانه وتعالى، في النظام السياسي – الجهاد لضمان الاعتراف بأن سلطته هي السلطة العليا – والجهاد لضمان الاعتراف بأن قانونه هو القانون الأعلى. وهذا أنبل جهاد يمكن أن يقوم به أي إنسان، وإنه جهاد يجب أن يجاهده الناس حتى انتهاء الزمان. وليس النجاح أو الفشل مهماً في تقرير الحاجة إلى هذا الجهاد. بل إن الله، سبحانه وتعالى، ضمن ألا ينتهي الزمان حتى يتحقق النصر لهذا الجهاد في النهاية.

البديل للمؤمنين هو أن يتمسكوا بتحليل ما أحل الله وبتحريم ما حرَّم الله، بغض النظر عن الثمن الذي يمكن أن يدفعوه. وعندما يرتكب قومٌ الشرك والكفر والظلم والفسق، على المؤمنين أن يدينوا هذا السلوك ويعارضوه ويجاهدوا ضده، وأن يتوجَّهوا إلى الله ويطلبوا منه أن يَفْرُقَ بينهم وبين هؤلاء القوم:

﴿ . . . فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {25} ﴾

(الآية 25 من سورة المائدة 5).

ويشير القرآن الكريم إلى رسالة المؤمنين هذه بأنها "**أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر**". وإذا أفلح الجهاد لاستعادة سيادة الله، سبحانه وتعالى، وسلطته العليا وقانونه

الأعلى (في أي إقليم) فذلك الإقليم إذن هو دار **الإسلام**. ويحكم المسلمون ذلك الإقليم. ولكنَّ ثمة نموذجاً لبديل جَمعي في دولة يشترك فيها المسلمون مع غير المسلمين في السيطرة على الإقليم على أساس المساواة السياسية وبواسطة ترتيبات دستورية تسمح للمسلمين بأن يعترفوا بسيادة الله وسلطته العليا وقانونه الأعلى 'عليهم'. ولقد أنشأ النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ذلك النموذج 'الجَمعي' للدولة في **دولة المدينة المنورة**، حيث كان المسلمون واليهود والوثنيون يشتركون في السيطرة على الإقليم وعلى الدولة على أساس المساواة السياسية.

الناس أحرار في أن يختاروا الإيمان بمِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، أو الكفر بها. غير أنه عندما يؤمنون بمِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، فليس للمؤمنين الحرية في أن يختاروا بين حكومة مؤمنين وحكومة من غير المؤمنين. وما دامت للمؤمنين حرية الخيار فإن عليهم أن يختاروا أشخاصاً مؤمنين مثلهم ليحكموهم. وإذا حرموا من تلك الحرية في أي إقليم فإن عليهم أن يبحثوا عن مكان توجد فيه تلك الحرية ويهاجروا إليه! بهذا أمر إلـٰـه إبراهيم سبحانه وتعالى المؤمنين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ . . . {59} . ﴾ (الآية 59 من سورة النساء 4).

عندما لا يعود المؤمنون بمِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، يتمتعون بالحرية لإقامة دولتهم في أي مكان من العالم، ويضطرون إلى العيش تحت حكم غير المؤمنين، 'يذعِنون' لذلك الحكم إلى أن يأتي وقت يستطيعون فيه مرة أخرى أن يختاروا مؤمنين مثلهم ليحكموهم. ولكن الإذعان لهذا الحكم لا يمكن أن ينطوي على مشاركتهم في **إقامة** حكومة غير مؤمنة. يذعِن المؤمنون لهذا الحكم بشرط الحرية الدينية، أي ألا يُفرَضَ عليهم شيء ينتهك قانون إلـٰـه إبراهيم، أي الواجب الديني المتمثل في القتال، ومن ثم تلقّي التدريب العسكري. (من المستحيل في الوقت الحاضر على المسلم

أن يقيم في الولايات المتحدة ويحافظ مع ذلك على دينه. ولهذا السبب يبحث كاتب هذه السطور عن موطن جديد له). ومع أن هذه الحكومة لا تكون 'حكومتهم'، فإنهم يستطيعون أن ينصحوا هذه الحكومة ويساعدوها في كل ما هو حق وجيد وفاضل، بينما يحذروها ويقاوموها ويمتنعون على مشاركتها في كل ما هو باطلٌ وشرٌ ومؤذٍ.

إن طبيعة الدولة العلمانية الحديثة ذاتها هي أنها لا تسمح باستخدام الانتخابات وسيلة لتحويلها إلى نموذج آخر للدولة – كأن تتحول إلى دولة تعترف بالسيادة لإلـٰـه إبراهيم سبحانه وتعالى، وبأن سلطته هي السلطة العليا وأن قانونه هو القانون الأعلى. وإنما قُصِدَ بالسياسة الانتخابية أن تكون خادمة للدولة العلمانية الملحدة.

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: **الكفر مِلّةٌ واحدة**. وهذا بالضبط هو ما ظهر في العالم الآن. وينبغي لليهودي والنصراني أن يتفكرا في حقيقة أنه عندما استخدم المسلمون في الجزائر 'السياسة الانتخابية' لمحاولة استعادة مِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، في الجزائر، وفازوا بـ 85% من الأصوات في الانتخابات الوطنية، اتحد العالم الملحد كله ضدهم ليعاقب بلا هوادة أولئك الـ 85 في المائة من الناخبين الذين صوتوا لهم، وبلغت بهم الجرأة أن يحاولوا تغيير الأساس العلماني الإلحادي للدولة. وما زال اغتصاب العالم العلماني الملحد كله للجزائر بلا هوادةٍ ولا خجلٍ قائماً، حتى بعد سنين من تلك الانتخابات العاثرة.

وهكذا يجب على المسلمين، بدلاً من أن يصوِّتوا في الانتخابات ويعطوا شرعيةً للنموذج العلماني للدولة، أن يحموا أنفسهم من الِّرك بقطع الصلة بينهم وبين الدولة العلمانية. ويجب عليهم أيضاً أن يردّوا عليها بالقول إن النموذج 'الجَمعي' للدولة التي أقامها النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، نموذج أسمى للدولة مقارنةً بالدولة العلمانية الملحدة الحديثة.

تفسير قرآني للشرك العالمي للدولة العلمانية الحديثة

في رأينا أن القرآن الكريم فقط هو الذي يستطيع أن يفسِّر، وقد فسَّر، التغيرُّ السياسي الهائل الذي اجتاح العالم المسيحي–الأوروبي واليهودي–الأوروبي، ثم استولى على سائر البشرية. فما هو ذلك التفسير؟

علَّمنا القرآن الكريم أن مسيرة التاريخ ستصل إلى نهايتها يوماً ما، حين يقضي الله، سبحانه وتعالى، بأن يأتي 'اليوم الآخر' على البشرية وعلى العالم. غير أنه قبل أن يأتي ذلك 'اليوم الآخر' سيكون هناك **آخر الزمان** الذي سيُملأ بآيات عديدة من آيات الله تشير إلى أن هذا هو 'آخر الزمان'. من بين تلك الأحداث التي ستقع في آخر الزمان إخراج **الدجاّل** (المسيح الكذاّب) ويأجوج ومأجوج إلى العالم. وعندما يُخرجون سيصبحون هم الجهات الفاعلة المسيطرة في مسيرة التاريخ وهم الذين سيكونون العقول المدبرة لترتيب تحويل البشرية والعالم هذا التحويل الفريد والمنذر بالويل. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، إن عصر **الدجاّل**، سيشهد انتشار الربا في العالم وما يلازمه من طغيان اقتصادي مخيف. وسيكون أيضاً عصرَ كفرٍ لأن **الدجاّل** نفسه كافر، وكلمة 'كافر' مكتوبة بين عينيه. وسيكون عصرَ شركٍ لأن '**الدجاّل**' نفسه سيؤدي دور إلٰه ويخدع البشرية حتى تؤمن به كإلٰه. ومن الواضح لهذا الكاتب وضوح النهار أن **الدجاّل** هو العقل المدبر وراء إنشاء الدولة العلمانية الحديثة الملحدة أساساً ونظام سياستها الانتخابي.

ولقد أقام هذا الكاتب حججه على القرآن الكريم والحديث الشريف قائلاً إن المشاركة في السياسة الانتخابية في الدولة العلمانية الحديثة تشكل شركاً وكفراً. وفي حالة اختلاف العلماء مع وجهة النظر الواردة في هذا الكتاب فإن عليهم أن يردّوا بحجج تقوم على القرآن الكريم وسنة النبي، صلى الله عليه وسلم. وعليهم أن يبينوا

الشروط المحددة التي تُحِلُّ للمؤمنين أن يصوتوا في الانتخابات الوطنية. أفيمكن مــثلاً، للمؤمن أن يصوت لشخصٍ هندوسي يعبد الأوثان أو لعدو من أعــداء الإســلام، أو كذاب، أو سكّير، أو لصٍّ، أو زانٍ، أو دائنٍ يملك أسهماً في بنكٍ أو مدير بنك، إلخ.؟ أيستطيع أن يصوت في الانتخابات على أساس عنصري أو على أساس تجارة، كــأن يقول: "سنصوت لك بشرط أن نحصل منك على كذا وكذا؟" أنستطيع أن نــصوت لحزب سياسي ملتزم بتأييد دولة إسرائيل الصهيونية في استمرار احتلالها وطغيانها على الأرض المقدسة والمسجد الأقصى؟ أنستطيع أن نصوت لحزب سياسي يؤيــد تحليــل اللواط والإجهاض؟

قال النبي صلى الله عليــه وســلم: "**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهة. فمن ترك ما شُبِهَ عليه من الإثم كان لما استبانَ أتْركَ.**" وينبغي الآن للعلماء، الذين هم مرشدو المؤمنين، أن يوضحوا إن كانت المشاركة في الــسياسة الانتخابيــة للدولة العلمانية الحديثة حلالاً. ولكي يقدم العلماء رداً إيجابياً مرضياً يجب علــيهم أن يبيِّنوا أن هذا التصويت ليس حراماً؛ وثانياً، أنه ليس 'متشابهاً'. ويجــب أن يقيمــوا حجتهم على القرآن الكريم والحديث الصحيح.

دولة إسرائيل العلمانية في الأرض المقدسة

يمكننا الآن أن نصل إلى نتيجةٍ بشأن شرعية دولة إسرائيل العلمانية التي استعيدت في الأرض المقدسة. فهل يُمَثِّلُ نجاحُ الحركة الصهيونية في استعادة دولة إسرائيل إثباتــاً لصحة ادِّعاء اليهودية **بالحق**؟وهل كان ذلك فضلاً من الله، سبحانه وتعالى.

إن دولة إسرائيل العلمانية، شأنها في ذلك شأن كل الدول العلمانية، إنما هي لعنة لأنها أقيمت على أسس من الشرك! وإن أبسط خصائص مِلَّة إبراهيم أنها خِلــوٌ مــن الشرك. ومن المؤكد أن دولة إسرائيل تنتهك الشروط الإلــٰـــهية لوراثــة الأرض المقدسة. ولذلك لا تستطيع البقاء في الأرض المقدسة، وإنما ستهلك. وقد بــيَّن الــنبي

محمد، صلى الله عليه وسلم، أن جيشاً مسلماً سيأتي من خراسان وسيقضي على دولة إسرائيل. وسيأتي هذا الجيش بعد ظهور الإمام المهدي واستعادة الخلافة الإسلامية بظهوره:

" عن أبي هُرَيرَةَ، رضي الله عنه، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلِيهِ وسَلَّم: "**يخرُجُ من خُراسانَ** (وهي منطقة تشمل الآن أفغانستان وباكستان وأجزاء من إيران وآسيا الوسطى) **راياتٌ سودٌ فلا يَردُّها شيءٌ حتَّى تُنصبَ بإيلِيَاءَ** (القدس)."

(سنن الترمذي)

وهكذا، ستسفر استعادة الخلافة الإسلامية عن القضاء على إسرائيل. وسيكون هذا ثالث وآخر حدث من هذا النوع. ففي المرة الأولى استُخدِمَ جيشٌ بابليٌّ في القضاء على إسرائيل. وفي المرة الثانية جيشٌ رومانيٌّ. والآن – في المرة الأخيرة – سيكون جيشاً مسلماً.

لكنَّ هناك أسباباً سياسية أخرى كثيرة لرفض هذا الادِّعاء بأنَّ استعادة دولة إسرائيل فضلٌ من الله، سبحانه وتعالى، وأنه يثبت صحة ادِّعاء اليهودية **بالحق**. أوَّلاً، إن من التناقض الأساسي أن يكون شعب أوروبي حديث ملحد، يعيش حياة عفنة، ويضطهد الآخرين، وسيلةً يطالُ بها اللهُ بفضله الشعبَ اليهودي ويثبت **الحق** من خلال هذا الشعب. **فالوسيلة يجب أن تكون من نوع الغاية.**

ثانياً، انطَوَت الطريقة التي أنشئت بها إسرائيل على طرد شعب يعبد إلٰه إبراهيم، عليه السلام، من الأرض المقدسة. وقد طُردوا لا لسبب إلا لأنهم ليسوا يهوداً. وما زالوا يعيشون بعد أكثر من خمسين سنة بعد طردهم من ديارهم ومن الأرض المقدسة لاجئين في مخيمات. وهذا في حد ذاته ظلم. وعلاوة على ذلك، منذ

إنشاء إسرائيل ظل الظلم المحيق بالعرب، مسلمين ومسيحيين، الذين يعيشون في الأرضِ المقدسة وما حولها، يزداد باستمرار. وفضلُ الله لا يتفق مع هذا الظلم.

ثالثاً، عندما أُنشئت إسرائيل كان من الواضـــح أنـــه لا يوجـــد أي احتـــرام للمقدسات في ضمائر الذين أنشأوا إسرائيل. فما تتميَّزُ به إسرائيل من إلحاد، وفساد، وانحلال خلقي جنسي، وانحطاط لا يختلف في شيء عما تتميز به الحضارة الأوروبيـــة الملحدة. ولا يمكن أن يُفهم هذا بأنه فضل من الله. بل إن دولة إســـرائيل العلمانيـــة جلبت إلى الأرض المقدسة فساداً وانحطاطاً لا نظير لهما، إلى حد أن العبودية الجنـــسية مزدهرة الآن في الأرض المقدسة. وهذا عكس الصلاح. والواقع أن المجتمع القـــائم في الأرض المقدسة الآن مجتمع وثني!

دولة وثنية في الأرض المقدسة

إن دولة إسرائيل في واقع الأمر دولة وثنية تتجلى فيهـــا كـــل صـــور الوثنيـــة وأخلاقها. وإن كل يهودي مقتنــــع بأن أحداث عـــودة اليهـــــــود إلى الأرض المقدســة و 'استعادة' دولة إسرائيل تمثل تقدُّماً نحو عودة العصر الذهبي وإثبات صـــحة ادِّعـــاء اليهودية بأنها **الحق** يجب أن ترتعد فرائصه عندما يقرأ المقالات الإخبارية التاليـــة الـــتي نُشِرَت مؤخراً في صحيفة جيروساليم بوست، والتي تؤكد أن هنـــاك مجتمعـــاً وثنيـــاًّ مزدهراً الآن في الأرض المقدسة:

"تفيد إحصاءات الشرطة أنه يوجد أكثر من 200 بيت دعـــارة، و200 نـــادٍ جنسيٍّ، وعدد غير معلوم من المكاتب التي توفر مومسات في كل أنحاء البلد. وتقـــدر ياعيل ديان، رئيسة لجنة الكنيست المعنية بحالة المرأة، أنه تحدث مليون زيارة في الشهر لمومسات، سواء منهن العاملات في بيوت الدعارة أو المتجـــولات في الـــشوارع، أو العاملات في مكاتب توفير المُرافِقات. ويوجد نحو 50 أو 60 'نادي صحة' في بضعة

الشوارع المحيطة بمحطة الباصات المركزية القديمة في تل أبيب وحدها، وتوجد تجمعات مثلها في حيفا والقدس ونتانيا وبئر السبع وعسقلان وأسدود وإيلات. وتمتلئ الصفحات الأخيرة من الصحف المحلية في كثير من المدن بإعلانات تعرض خدمات جنسية، وكذلك إعلانات حصيفة تعرض 'وظائف شاغرة' سعياً إلى تدبير نساء للعمل في المهنة." (جيروساليم بوست، 28 آب/أغسطس 2000)

"قالت المتحدثة باسم الشرطة في مقاطعة تل أبيب إن مباحث الشرطة أغارت على بيت دعارة في بات يام ليلة الثلاثاء بينما كان صاحبه يحاول بيع أربع نساء أجنبيات إلى مدير بيت دعارة آخر. ويقال إن امرأة موظفة في بيت الدعارة المذكور في بات يام ساعدت رئيسها على الاتصال بعصابة في مولدافيا متخصصة بتهريب النساء إلى إسرائيل للعمل كمومسات. واعتقلت الشرطة الأشخاص الثلاثة وسبع نساء كنَّ موجودات في بيت الدعارة. وأُطلق سراح النساء السبع، ومنهن أربع نساء على الأقل مواطنات مولدافيات يعملن في إسرائيل بصورة غير مشروعة، بعد التحقيق معهن. بينما أُحضر الثلاثة الآخرون إلى محكمة الصلح في تل أبيب صباح أمس لسماع القضية في جلسة ابتدائية. وادَّعوا أنهم دفعوا مبلغ 7 000 دولار لإرسال أربع نساء إليهم، ينوون بيعهنَّ إلى ديوث محلي بمبلغ يتراوح بين 5 000 و10 000 دولار لكل امرأة."

(جيروساليم بوست، 14 شباط/فبراير 2000).

"امتلأت وسائط الإعلام في الأشهر الأخيرة بأخبار تكشف عن مدى تفشّي الرقيق الأبيض في إسرائيل. فالنساء يُبَعْنَ بيعَ النعاج من ديوث إلى آخر. ويقدَّر أنه تحدث كل يوم في إسرائيل 25 000 عملية جنسية مقابل مال. هذه الأخبار – بالإضافة إلى إدانة وزير الدفاع الإسرائيلي، اسحق مرضخاي، بالاعتداء الجنسي الجسيم وإصدار عفو قضائي عنه فيما بعد – أثارت قدراً كبيراً من المناقشة بشأن قيمة جسد المرأة في المجتمع الإسرائيلي. ومع أن الممارسات الجنسية في المجتمع الإسرائيلي

تخلفت في بداية الثورة، فإنها اليوم، باستثناء المتدينين، لا تختلف عن ممارسات المواطنين في البلدان الغربية الأخرى. وان عدم وجـــود الرضـــى يجعـــل أعمـــال مرضـــخاي والأشخاص الذين يبيعون النساء ويشترونهن في سوق الدلالة مذمومةٌ أخلاقياً وقانونياً اكثر من اللقاءات الجنسية التي تحدث عفوياً كل يوم. ولكن أعمالهم انعكاس للطـــرق الشائعة في النظر إلى الأمور."

(جيروساليم بوست، 10 أيار/مايو 2001).

وهناك تقرير آخر من شخص إسرائيلي يحتل مركزاً مرموقاً في ذلـــك المجتمـــع يكشف حتى أكثر من ذلك عن طبيعة ومدى ظلم الدولة اليهودية:

" .... في ملاحظات علنية هزت ضمائر الإسرائيليين، أنحى رئيس سابق لجهـــاز الأمن الداخلي الإسرائيلي باللوم على سياسة الحكومة في إشعال الثورة الفلسطينية.

"فقد قال عامي أيالون، الرئيس المتقاعد لجهاز الأمن المسمى شـــين بيـــت، إن إسرائيل مدانةٌ بسياسات 'الفصل العنصري' التي تُناقِضُ روح الديانة اليهودية. وقـــال إن الفلسطينيين يسيرون على المنطق في اختيارهم العنف، وتحدَّث عن 'إهانة' إسرائيل للفلسطينيين، العمال وغير العمال، الذين يسعون إلى دخول إسرائيل. وتُـــسمَعُ هـــذه التعليقات في أحيان كثيرة من الفلسطينيين وغير الفلسطينيين، ولكنها نادراً ما تُـــسمَع من إسرائيلي شغل مناصب رفيعة المستوى في جهاز الأمن."

(جيروساليم بوست، الثلاثاء، 4 كانون الأول/ديسمبر 2001).

أكد رئيس إسرائيل نفسه، في الواقع، عن غير قصدٍ، الظلم الواقع على الـــشعب الفلسطيني التعيس الذي يقاوم الدولة اليهودية بالانتفاضة:

"إذا كان لدى الفلسطينيين أي منطق فسيفتحون عيونهم ويدركون إلى أين سيأخذهم طريق الشر هذا: مئات القتلى وآلاف الجرحى مع أننا منضبطون، والفقـــر والحرمـــان والبطالة المتفشية، وما لحق بالاقتصاد من أضرار لا يمكن إصلاحها، وانهيـــار الجهـــاز الإداري، وعلاوة على كل ذلك لم يتقدموا خطوة واحدة سياسياً."

(الرئيس الإسرائيلي قصاّب، جيروساليم بوست، 16 شباط/فبراير 2001).

كشف الرئيس الإسرائيلي في غفلةٍ منه عن ازدرائه للعرب بالطريقة الاعتيادية التي نمَّتها في نفسه الحداثة الملحدة:

"إنهم جيراننا هنا، ولكن يبدو أنه على بعد بضعة أمتار منا يوجد شعب لا ينتمي إلى قارَّتنا، ولا إلى عالمنا، وإنما ينتمي في واقع الأمر إلى مجرَّةٍ أخرى."

(الرئيس الإسرائيلي موشيه قصاّب، جيروساليم بوست، 11 أيار/مايو 2001).

وقال دان جاكوبسون، الأستاذ في جامعة تل أبيب، ما يلي عن العدل الإسرائيلي:

"تعرضت الأقلية العربية، لمدة 52 سنة، لتمييزٍ مُخجلٍ. وما المصادرة المستمرة للأراضي إلا واحد من مظاهر طغيان هذا التمييز. فحرمانهم من الوظائف في الخدمة المدنية والشركات الحكومية الكبرى، والشركات المملوكة للشعب؛ وتفاهة الموارد المالية المخصصة لخدمات الصحة والتعليم في القطاع العربي؛ وضآلة الحصة المخصصة من ميزانية الدولة للبلديات العربية ضآلةً تسبب الحرج، مظاهر أخرى تُعرِبُ عن حالة المواطنين العرب الإسرائيليين — حالة المواطنين من الدرجة الثانية."

(جيروساليم بوست، 3 نيسان/إبريل 2001).

إن ما تَقَدَّمُ ذكرُهُ يؤكد أننا نشهد الآن تحقُّقَ الإنذار القرآني بأن جهنم ستُعرَضُ أمام أعين هؤلاء الناس:

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضاً {100} الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً {101} ﴾

(الآيتان 100-101 من سورة الكهف 18).

دعونا نبادر إلى الاعتراف بأن النظام العالمي الجديد الذي برز نتيجة لسيطرة الحضارة الغربية العلمانية الحديثة هو نظام اعتنقت فيه البشرية في كل أنحاء العالم اليوم، بما في ذلك العالم الإسلامي، الإلحاد، والعنصرية، والطغيان الاقتصادي والديني، وسوء

الخلق، والرق الجنسي. ولكن الأرض المقدســـة أرض خـــصوصية. والقرآن يؤكد في إعلانه أنه لن يسمح إلا للمؤمنين بإلـٰـه إبراهيم الذين هم عباد صالحون أن يرثوا هذه الأرْضَ المقدسة (انظر الآية 105 من سورة الأنبياء 21). ولا يبدو أن دولة إســـرائيل الحديثة ولا منظمة التحرير الفلسطينية العلمانية تستطيع الوفاء بتلك الشروط أو حـــتى الاقتراب منها. ولذلك فإن مفهوم القرآن لمصير القدس، بقدر ما يتعلق الأمر بالسيطرة على الأرض المقدسة، مفهوم لن تبقى بموجبة منظمة التحرير الفلسطينية العلمانية الـــتي يرأسها ياسر عرفات، ولا دولة إسرائيل العلمانية. فالطيور على أشكالها تقع حـــتى في الموت!.

تبيِّن الحجج الواردة أعلاه بوضوحٍ عدم صحة ادِّعاء إسرائيل السياسي بالشرعية بقدر ما يتعلق الأمر بوراثة الأرض المقدسة. وهذا أمر لا يصعب على اليهودي المؤمن أو المسيحي المؤمن أن يعرفه ويقبله.

الفصل الثاني

الأرض المقدسة واقتصاد إسرائيل القائم على الربا

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيراً {160} وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً {161} ﴾

(الآيتان 160-161 من سورة النساء 4).

مقـــدمـــــة

إسرائيل دولة علمانية حديثة موجودة في الأرض المقدسة. ونظامها الاقتصادي، كَنُظُم كل الدول العلمانية في العالم، قائم على الربا، والربا في اللغة هو إقراض المـــال بالفائدة بغض النظر عن سعر هذه الفائدة. ولكن تعريف الربا في الإسلام يشمل أيضاً المعاملات التي تقوم على الخداع، وتعود على الخادع بفائدة أو مكسب ليس له بهمـــا حـــق. (انظـــر كتابنـــا: ***The Prohibition of Riba in the Qur'an and Sunnah*** (تحريم الربا في القرآن والسنة).) في اللغة الأمريكية توصَف هذه المعاملة بأنها "Rip-off (سرقة)! وإذا أردنا الحُكم بمِلَّة إبراهيم ، عليه السلام، فإننا نطرح السؤال التـــالي: ما هي الشرعية الدينية لإسرائيل التي توجد في الأرض المقدسة ويقوم اقتصادها علـــى الربا؟ فهل تفي بالشروط التي اشترطها الله، سبحانه وتعالى، لوراثة الأرض المقدسة أم تنتهك هذه الشروط؟ يحاول هذا الفصل الإجابة على هذا السؤال.

الاقتصاد العالمي اليوم

من الخصائص الأساسية للاقتصاد في كل أنحاء العالم اليوم أن الثـــروة لم تَعُـــد تُتداول في كل أنحاء الاقتصاد. وإنما تُتداول الثروة الآن بين الأغنياء فقط. ونتيجة ذلك في كل أنحاء العالم أن الأغنياءَ أغنياء دائماً، والفقراءَ فقراء دائماً. ثانياً، يظل الأغنيـــاء يزدادون غنىً وهم يمتصون — بالمعنى الحرفي للكلمة — دماء الجماهير بينمـــا ينحـــدر الفقراء إلى الفقر المدقع الذي يجرُّ معه الفوضى والعنف والمعاناة الهائلة والقضاء علـــى الإيمان والقِيَم. تصوَّر أن تكون البشرية كلُّها في سفينة، ويسافر فيها الأغنياء الـــذين يزدادون غنىً دائماً في 'الدرجة الأولى' في رفاهية وأمن لم يسبق لهما مثيـــل. لـــديهم تذاكر للسفر في 'الدرجة الأولى'، والأغنياء يحكمون السفينة، ويـــستخدمون ثـــروتهم للتحكم بالسياسة. فالديمقراطية على متن تلك السفينة تصبح **حكم الأغنياء ولمصلحة الأغنياء** في وضع هو بمثابة امتهانٍ مالي. وهم يفعلون ذلك بالنيابة والخـــداع الآتـــيين على شكل تأييد يقدمونه لسياسيين شعبيين وأحزاب سياسية يمارسون عليهم وعليهـــا نفوذاً غير منظور. هذا وصفٌ صحيحٌ للاقتصاد السياسي في العالم اليـــوم. واليهـــود الأوروبيون في بريطانيا والولايات المتحدة هم الذين أتقنوا هذا الأسلوب لكسب القوة والسيطرة على الشعب. ويُشكَرُ لهنري فورد انه أدرك هذا التطور الـــشرّير في تـــاريخ البشرية.

معظم من تبقّى من البشرية أسرى لفقرٍ دائمٍ محكومٌ عليهم أن يسافروا في قـــاع السفينة في وضع متزايد البؤس والفقر والفاقة والعذاب والمعاناة. محكـــوم علـــيهم أن يعملوا بأجور العبيد لكي يعيش الآخرون من عَرَقِ جبينهم هم، بينما يعيش الأغنياء في بحبوحة ورغد. ويعيش الفقراء أيضا في حالة يفتقرون فيها افتقاراً متزايداً إلى الأمـــن، حيث تقع السرقات والعنف وإطلاق النار والقتل واغتـــصاب النـــساء باســـتمرار في الأحياء التي تتفشّى فيها المخدرات وتجار المخدرات.

الذين يسافرون في 'الدرجة الأولى' يحصلون على ماء الشرب النظيف ويحصلون على أحسن أنواع الخدمات الصحية والطبية التي يستطيعون شراءها بالمال. والطب الحديث يفعل المعجزات إذ 'يَرُدُّ – بالمعنى الحرفي للكلمة – الأمواتَ إلى الحياة'. أما المسافرون في قاع السفينة فمكتوبٌ عليهم أن يشربوا ماءً ملوَّثاً مليئاً بالبكتيريا. ومُكرَهون على أكل طعامٍ وشرب لبنٍ مخلوطين بالكيماويات والهرمونات. ويُضطرّون بصورة متزايدة أيضاً إلى تناول طعامٍ مُغَيَّرٍ جينياً. يمرضون ولا يستطيعون الحصول على المعالجة الطبية. يعيشون في بؤسٍ ويموتون في بؤسٍ. والواقع أن الاقتصاد العالمي شكلٌ جديدٌ راقٍ من أشكال العبودية الاقتصادية. ولكنه يعمل بالخداع المخيف.

أوَّلاً، إن الذين يتحكمون بالاقتصاد العالمي، مع أنهم يكرزون بإنجيل 'السوق الحرة العادلة'، ينتهكون، هُم أنفسُهُم، 'السوقَ الحرَّة' بفَرضِ التزاماتٍ قانونية على الشعب ليقبل بنقودٍ ورقيةٍ مصطنعةٍ وزائفةٍ ويعتبرها العملةَ القانونية. والنقودُ الورقية تنقص قيمتها باستمرار! وكلما ازداد الفقر وتعمَّق فرضوا تحكُّماً بأسعار السلع الأساسية الضرورية كالغذاء وما أشبه ذلك، وتشريعاتٍ تضع حدوداً دنيا للأجور في سوق العمل. وهم يفعلون ذلك لتجنُّب إمكانية قيام الجماهير الفقيرة المعذبة بالثورة والتمرد على الحكومة والنخبة المفترسة التي هي غنية دائماً. ويفعلون ذلك أيضاً لتجنُّب إمكانية أن تدرك الجماهير عبوديتها الجديدة.

ويمتد الخداع إلى ما هو أبعد مما ذُكِرَ أعلاه. فكثير من الفقراء ينظرون إلى المسافرين في الدرجة الأولى وهم مقتنعون بأن هؤلاء القوم وطريقة حياتهم هم أهل الجنة بعينها. ويتوقون إلى الذهاب إلى تلك الجنة. يعجزون عن فهم نظام الطغيان وكيف يعمل. وآخرون من بين الفقراء يردّون على الاضطهاد الاقتصادي الذي يعانونه بغضبٍ أعمى ويلجأون إلى أعمال عنفٍ موجهة ضدَّ مَن يملكون شيئاً من الثروة ويتربعون في سدة الحكم. ويعتقد الفقراء جميعهم أنهم يعيشون في الجحيم

ويقلدون طريقة الحياة التي يعيشها المسافرون في الدرجة الأولى اعتقاداً منهم بأنها نفحةٌ من الجنة. هذه السفينة تستحق أن تُغرَقَ بكل مَن هُم على متنها!

وصف الرئيس الكوبي، فيدل كاسترو، كما فعل إيفان إليتش (**'الطاقة والعدالة'**) الاقتصاد العالمي بعبارات مشابهة:

"لم يحدث في أي وقت من قبل أن كان لدى البشرية هذه الإمكانيات العلمية والتكنولوجية الهائلة، كالقدرة الاستثنائية على إنتاج الثروة والرفاهية، ولكن لم يحدث من قبل أن انتشر التفاوت والإجحاف في العالم بهذا القدر الهائل." وردَّ على هذا الطغيان الاقتصادي بقوله "يلزم عقد نيورومبيرغ أخرى [إشارةً إلى محكمة نيورومبيرغ التي أنشئت لمحاكمة مجرمي الحرب بعد الحرب العالمية الثانية] للحكم في الاقتصاد العالمي المجحف." (من خطاب الرئيس في مؤتمر القمة لمجموعة السبعة والسبعين، المعقود في هافانا في شهر أيلول/سبتمبر 2000).

أعطى النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، العالم نظاماً اقتصادياً خالياً من الجَور والطغيان الاقتصادي. لم يعمل أحدٌ بأجر العبيد. و لم تُتَداوَل الثروة بين الأغنياء فقط، وإنما كان تداوُلُها في كل أنحاء الاقتصاد. و لم يكن الأغنياء أغنياء دائماً ولا الفقراء فقراء دائماً. ولذلك لم تكن ثمة حاجة إلى تشريعٍ يفرض حداً أدنى للأجور. كانت السوق حرة وعادلة. لم يكن أحدٌ يستطيع أن 'يحصد' دون أن 'يزرع'. وكان للنقود قيمة ذاتية ولذلك لم يكن في وسع البنوك أن تتلاعب بها وتخفِّض قيمتها. وكانت نتيجة ذلك أن هذه السوق وهذا الاقتصاد لم يعرفا 'التضخم المالي' أبداً. لم تُحدَّد أسعار بقانون حتى سعر اليد العاملة لم يحدد. وتَحَقَّقَ الرفاه الاجتماعي بفرض ضريبة إلزامية على الثروة، واستُخدِمَت هذه الضريبة لَسدِّ احتياجات الأفراد الذين لم يكونوا يمتلكون ضروريات الحياة الأساسية. ولكن نظام القِيَم في المجتمع كان يضمن أن يبذُلَ هؤلاء الفقراء دائماً جهودهم ليخلِّصوا أنفسهم من الاضطرار إلى العيش على هذه الصدقة.

نجح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، حيث فشلت كل حكومات العالم اليوم. نجح لأنه نفَّذ تحريمَ الله، سبحانه وتعالى، **للربا** (إقراض المال واقتراضه بالفائدة). لم تكن هناك شركات تأمين (صنيعة الربا)، وحافظ على سلامة العملة باستخدام عملة حقيقية لا عملة اصطناعية (من الورق والبلاستيك والنقود الإلكترونية). وعلاوة على ذلك، أنفذ قانونَ جزاءٍ يفرض عقوبة رادعة على من تثبت إدانتهم بالسرقة. ولكن العالم كفر به، والمسلمين تخلَّوا عن سُنَّتِهِ الاقتصادية. ولذلك حُكِمَ على العالم بأن يعيش في ما يعانيه اليوم من ظلم وفساد، أي إفساد السوق الحرة العادلة وتدميرها ومن ثم تدمير البَيْع.

يوجد اليوم هذا الظلم الاقتصادي في كل أنحاء العالم وهو آخذٌ في الازدياد باطِّراد – فالأغنياء يزدادون غنىً والفقراء يزدادون فقراً. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، مثلاً، نجد الأمريكيين السودَ فقراءَ بائسين دائماً، بينما الأمريكيون البيضُ أغنياءُ دائماً. والظلمُ آخذ في الازدياد باطِّرادٍ لأن الفجوة بين البيض والسود، بين الأغنياء والفقراء، في أمريكا آخذة في الاتساع باطِّراد! اقتصاد الولايات المتحدة يبهر عيون الناس غير البيض، أما الأمريكيون البيض فلم يحدث أن كانوا في وضع أفضل مما هم فيه الآن. ولكن الثروة في هذا البلد مُتداوَلَةٌ بين الأغنياء بينما عدد الفقراء الذين يعيشون على رعاية الشؤون الاجتماعية (أي الصدقة العمومية) مستمرٌّ في الزيادة باطِّرادٍ. ويريد أصحاب الحضارة الغربية البيضاء منا أن نصدِّق أن نموذجهم الاقتصادي هو أكثر النظم التي شاء حظ البشرية أن تخبُرها تقدُّماً ورُقِيًّا! و'أشباه الرجال' العور من المسلمين، المغسولة أدمغتهم، منهمكون في محاولاتٍ لضمان تقليد العالم الإسلامي للغرب. والواقع أن هذا الحلم الأمريكي الأبيض المفترس مُسَمَّدٌ بدماء الجماهير في مختلف أنحاء العالم، وبالثروة التي تُكشَطُ باستمرار من جيوب البشرية الجاهلة الغافلة. ومقصدنا هو أن نشرح كيف يتم ذلك! وإن الحضارة الغربية البيضاء والجماهير الكادحة في مختلف أنحاء العالم، وكذلك اليهود غير الأوروبيين، لا يمكن إلا أن

يستفيدوا إذا أخذوا عبرة من الشرح المقدم هنا، وآمنوا – قبل أن يفوقهم الأوان – بأن القرآن هو كلام الله عز وجل، وأن محمداً، صلى الله عليه وسلم، رسول الله.

نظريتنا هي أن الأشخاص الذين هندسوا التحوُّل السياسي للحضارة الأوروبية، وبالتقليد — تَحَوُّلَ سائر العالم – إلى عالمٍ ملحدٍ أساساً، هم أنفسهم الـذي أغـروا اليهود غير الأوروبيين بتأييد استعادة دولة إسرائيل اليهودية. وهم الأشخاص الـذين يسيطرون بصورة متزايدة على ثروة العالم من خلال ذكائهم الشرير الذي يـسيطرون به على نظام النقد الدولي الزائف ونظام البنوك والتأمين القائم على الربا في كل أنحـاء العالم ويتلاعبون بهما. وقد فاقوا في ذلك حتى اليهود التقليديين غير الأوروبـيين (أي الناس الذين حاولوا أن يصلبوا عيسى، عليه السلام) في لعبة الربا التي يلعبونها! ونحـن نرى أن الذكي الشرير الذي يفعل فعله في كل هذا هو ذلك الأوروبي الغريب الـذي أصبح يهودياً ثم مضى إلى اختطاف الديانة اليهودية.

ولا يكتفي القرآن الكريم بتفسير العالم اليـوم، وإنمـا يفـسِّرُ أيـضاً طغيانـه الاقتصادي. فالقرآن، وهو كتاب حكمةٍ (وهذا يشمل الحكمة الاقتـصادية أيـضاً)، وَضعَ قوانينَ تضمن عدم تداوُل الثروة ين الأثرياء فقط:

﴿ مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {7} ﴾

(الآية 7 من سورة الحشر 59).

وقد هجر المسلمون قوانين القرآن، ونتيجةً لذلك يـدفعون الآن ثمنـاً باهظـاً لخيانتهم للقرآن ولغباوتهم! وإن عبوديةً اقتصاديةً جديدةً آخذةٌ الآن في الهبوط عليهم،

وكذلك على سائر البشرية من غير الأوروبيين. والسخرية المخجلة في هذا واضحة للعيان عندما نذكر أن واحدة من الوظائف الرئيسية للإسلام هي تحرير المستضعفين.

فما هو سبب هذا الطغيان الاقتصادي العالمي؟ إنه الربا! فهناك نخبة عالمية مفترسة، تتركز في المراكز البنكية في الغرب التي يسيطر عليها اليهود، ولكنها موجودة أيضا في مختلف أنحاء العالم، تمص ثروة البشرية ودماءها باستمرار وتُفقر الجماهير الكادحة بواسطة الربا. والطاغية يخلق نظماً سياسيةً وتشريعيةً وقضائيةً وقانونيةً، ووسائطَ إعلامٍ وغيرها، بخداعٍ متقنٍ، ويضمن أن تفي كل هذه بالوظيفة الأساسية، المتمثلة في حفظ نظام الطغيان الاقتصادي. وتُستخدَم صناعة الأفلام، والتلفزيون، وأشرطة تسجيل الأفلام، وشبكة الإنترنت، والموسيقى الحديثة، والملابس المفصلة ببراعة، وما أشبه ذلك لنقل الجماهير إلى أرض الخيال، لكي تظل تعيش في سعادة مبنية على الجهل، بينما يُستخدَمُ الربا للتحكُّم بهم واستعبادهم. والهدفُ النهائي لعقلهم المدبِّر — **الدجّال**— هو استعباد البشرية كلها، ومن خلال الفقر والفاقة، ومن خلال الثروة التي يحصلون عليها بالرشوة والفساد، يضعون الإيمان بالله، سبحانه وتعالى، والحياة الدينية على محكِّ الامتحان النهائي. وتؤكد الأدلة التي ظهرت حتى الآن أن معظم المسلمين، سواءٌ منهم الأغنياء المفترسون والفقراء البائسون، قد فشلوا في ذلك الامتحان — امتحان الإيمان. والهدف الثاني **للدجّال** هو أن يخدع اليهود ويقودهم إلى الهلاك النهائي. ولا بد من أن يؤدي التقويم الموضوعي للعالم الحديث، وللأرض المقدسة على وجه الخصوص، إلى استنتاج أن ذلك الهدف كاد أن يتحقَّقَ تحقُّقاً تاماً. وقد قطع **الدجّال** شوطاً بعيداً في إنجاز مهمته التي يسلِّمُ إلى اليهودِ فيها السيطرةَ على العالم بأسره. وعندما تصبح إسرائيلُ '**الدولة الحاكمة**' في العالم وتُتِمُّ مدةَ يومٍ **كجمعةٍ من أيامنا**، يظهر **الدجّال** نفسه ويحكم العالم من القدس. وعندئذٍ يُكمِلُ مهمته المتمثلة في تقليد المسيح الحقيقي وانتحال شخصيته.

يجب أن يكون مدعاةً للقلق البالغ، إن لم يكن للذعر – أن العالم الذي مـــا زال يضم عدة حضارات، بلغ عمر بعضها آلاف السنين، يعتنق ليس فقط نفـــس النظـــام السياسي العلماني القائم على الشرك، وإنما يعتنق أيضاً نفس النظام الاقتصادي العلماني القائم على الربا. فالسلاح الاقتصادي، أي الربا، يكمِّلُ السلاح السياسي، أي الدولة العلمانية الحديثة ومنظمة الأمم المتحدة، التي يمضي **الدجّال** من خلالها بنجاح في العمل على إنجاز مهمته المتمثلة في تحقيق السيطرة السياسية والاقتصادية على العالم بأسره.

أسلوبنا هو أن نبدأ بشرح أهمية الموضوع ثم، فيما بعد، بشرح آيات القرآن التي تتناول موضوع الربا، وأحاديث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، التي يجد فيها الهُدى القرآنيٌّ تطبيقَه العملي الملموس. وسنحاول، في النهاية، أن نشرح كيف يفعل الربا فعله في الاقتصاد الحديث. وبعد أن يتم ذلك، سنحاول دراسة صحة وجـــود إســـرائيل في الأرض المقدسة، إسرائيل هذه التي يقوم اقتصادها على الربا.

ما هـــــــــو الربـــــــــــا؟

يُفهم الآن من الربا بوجه العموم أنه إقراض المال بأسعار فائدة عالية إلى حد غير مشروع. ولكن هذا التَّحْريفَ المَقْصودَ للكَلِمِ حدث في أوروبا لتمكين 'مُقرضِ المال' (الذي يُسَمِّىَ الآن صاحبَ البنك) من التحايُل على الكنيسة المسيحية ومعارضتها لكل أشكال الربا. وقد كتب آر. دبليو. تاوني (R. W. Tawney)كتاباً كلاسيكياًّ في عـــام 1935 بعنـــوان "***Religion and the Rise of Capitalism***" (**الدّين وظهور رأس المـال**)، وصف فيه معارضة المسيحية الأوروبية للربا زمناً طويلاً. وفَعَلَ وليم شكسبير الشيء نفسه في تمثيليته الكلاسيكية التي جاءت بعنوان: "**تاجر البندقية**".

الربا في الإسلام (كما في نصرانية القرون الوسطى) هو إقراض المال بالفائـــدة، بغض النظر عن سعر هذه الفائدة. وعندما يُقرِض 'مُقرِضُ المال' ماله بالفائـــدة، فـــإن المال نفسه، دون أي عمل أو مجهود أو تحمُّل مخاطر من جانب المستثمر، يزداد بمـــرور

الزمن. فكيف تحدث هذه الزيادة؟ تتحقق الزيادة بالخديعة من خلال استغلال اليد العاملة والسلع والممتلكات. ويتضح هذا بجلاء عندما يوجَّهُ الانتباهُ إلى ما قاله الله، سبحانه وتعالى، في القرآن الكريم بلا مواربة:

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى {39}﴾

(الآية 39 من سورة النجم 53).

وهكذا يرفض القرآن أن يكون 'الوقت' مساوياً 'للمال'، أو أنَّ المال يمكن أن يزداد بمرور الوقت!

من بين الطرق التي يحدث بها هذا الاستغلال ما ينتج عنه من انخفاض في قيمة الأجور والسلع والممتلكات بمرور الوقت. وهذا شيء حرَّمه الله، سبحانه وتعالى، على وجه التحديد في عدة آيات وردت في القرآن الكريم. وكان النبي شعيب (الذي اختفى اسمه – ذاتُ الاسم – من الكتاب المقدس) دائماً يحذِّر قومه من شرور حياتهم الاقتصادية. وحذَّرهم بقوله على وجه التحديد:

﴿ . . . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ . . {85}﴾

(الآية 85 من سورة الأعراف 7، والآية 85 من سورة هود 11، والآية 183 من سورة الشعراء 26، وغيرها)

لعل العلمانيين المدافعين عن العمال المنظَّمين، الذين يستقلّون شأن القرآن ويصفونه بأنه مجرد كتاب إرشاد، يبدأون الآن في فهم السبب الذي لأجله يتم تحويل القوى العاملة يومياً إلى حمير شغل، يعملون ويتصبَّبون عرقاً لمصلحة الأغنياء والبنوك التي يملكونها.

ويجب على المسلمين أيضاً أن يفهموا، وإن كان يبدو صعباً جداً على بعضهم أن يفهموا، أن الربا يفعل فعله عندما تُمتَصُّ الثروةُ من الجماهير بإضفاء الشرعية على التزييف الذي تنطوي عليه العملة الورقية المصطنعة. فقد حلت هذه العملة محل العملة الحقيقية التي كانت سُنَّةَ كُلِّ نبيٍّ من أنبياء الله، سبحانه وتعالى، أي الذهب والفضة والمعادن الثمينة الأخرى. فالعملة المصطنعة، الورقية والبلاستيكية والإلكترونية (أي العملة العلمانية) ليست لها قيمة ذاتية حقيقية. وإنما تُعطى القيمةُ للعملة ثم تخسر هذه العملة قيمتها على مر الزمن لأن النظام صُمِّمَ بحيث يجعل هذه الخسارة تحدث. والبنوك هي الفَعَلَةُ الرئيسيون في إرغام قيمة العملة على الهبوط؛ وتحصل البنوك على أكبر ربح عندما يحدث ذلك. فعندما تنقص قمة العملة تنقص قيمة كل شيء. فالأسعار ترتفع وبذلك تنخفض قيمة الأجور. وتصبح اليد العاملة أسيرةَ أجور العبيد.

آخر ما نزل من القرآن

اختار الله العزيز الحكيم في آخر ما نزل من القرآن أن يعود إلى موضوعٍ تناوَلَهُ في آيات نزلت من قبل – في القرآن، وكذلك في التوراة، وفي الزبور، وفي الإنجيل – ألا وهو موضوع تحريم الربا. فقد جاء في الأحاديث التي رويت عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قولهما: إننا نعلم أن آخر ما نزل من القرآن على النبي، صلى الله عليه وسلم، قُبيل وفاته، الآيات 278-281 من سورة البقرة، التي تناولت موضوع الربا:

"عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ قَالَ: إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَتْ آيَةُ الرِّبَا.وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، قُبِضَ وَلَمْ يُفَسِّرْهَا لَنَا.فَدَعُوا الرِّبَا والرِّيبَةَ."

(سنن ابن ماجة؛ الدارمي)

قرأ ابن عباس:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا (من الآن فصاعداً) إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . . . وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ .

(الآيات 278–281 من سورة البقرة 2).

وقال ابن عباس: "هذه آخر آية نزلت على النبي، صلى الله عليه وسلم." (صحيح البخاري)

أكد هذا التنزيلُ ما فعله النبي، صلى الله عليه وسلم، من إنفاذ تحريم الربا بأثر رجعي في خطبة الوداع على جبل عرفات. ويَردُ التنزيل الأخير في هذه الآيات من القرآن الكريم. وقد اقتبسنا هذه الآيات كلّها وأوردنا تعليقاتنا وشروحنا فيما بعد بحرف صغير:

﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {274} الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {275} يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ {276} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {277} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {278} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ {279} وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى

مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {280} وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {281} ﴾

(الآيات 274-281 من سورة البقرة 2).

شرح وملاحظات:

الآية **274**: **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {274}** : شريطة أن ينفقوا أموالهم في أمورٍ حلال، فإن إنفاقها على هـذا النحو سينشط الاقتصاد ويجعل الثروة مُتداولة بين الناس.

الآية **275**: **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ**: ذلك لأن الربا يمثل نقيض 'الإنفاق' — ففي الربا تُمتَصُّ الثروة من الاقتصاد حتى تصبح الجماهير فقيرة معدمة.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا: يقولون إن إقراض المال بالفائدة شكل مشروع من أشكال البيع.

وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا: حجتهم هذه باطلة. فقد أحل الله البيع وحرم الربا. ولذلك ليس الربا شكلاً من أشكال البيع. وذلك لأن جوهر معاملة البيع المشروعة هو أنها يجب أن تسمح باحتمال الربح أو الخسارة. وعندما يُقرَض المال بالفائدة يكون احتمال الخسارة تافهاً لا يكاد يذكر، بل إنه يكاد يكون معدوماً! ولذلك فإن إقراض المال بالفائدة لا يمكن أن يوصف بأنه معاملة بيع.

فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ : أي أن الله، سبحانه وتعالى، هو الذي يحكم في أمره — ولن ترغمه الدولة الإسلامية على إعادة ما أخذ من ربا.

وَمَنْ عَادَ: أي الذين يصرون على الربا بمعنى أنهم يقرضون المال بالفائدة، مثلاً، بعد نزول هذه الآيات من القرآن. **فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {275}**.

الآية 276 يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ: لأن فحوى الربا أن 'يأخذ' المرء ولا 'يعطي' شيئاً مقابل ما يأخذه، بينما فحوى الصدقة هو أن 'يعطيَ' المرء ولا 'يأخذُ' شيئاً مقابل ما يعطيه.

وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ {276} : مع الإشارة بوجه خاص إلى إثم أكل الربا.

...

الآية 278: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {278} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ**: أي أنكم إذا أصررتم على إقراض المال بالفائدة حتى بعد أن تشهروا إسلامكم، **فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ** : أي أنكم مُنذَرونَ بأن المسلمين الذين يلتزمون بالإسلام سيشنون عليكم حرباً لتحرير مَن اضطُهِدوا بسبب الربا.

وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ التي أقرضتموها بالربا؛ أي أنه يمكنكم أن تستردوا رؤوس أموالكم فقط – لا رؤوس الأموال ومقداراً معقولاً من الفائدة، ولا رؤوس الأموال ورسم خدمات.

لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ {279}: يمكن تفسير هذه العبارة بالقول إنكم بقبولكم استرداد رأس المال الذي أقرضتموه فقط تُنجون أنفسكم من إثم ظلمكم الآخرين، وبترككم الفائدة التي كانت مستحقة لكم لا تتعرضون أنتم أنفسكم لأي شكل من اشكال الظلم.

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ (أي إذا تنازلتم عن الدَّين واعتبرتموه صدقة) **خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {280}** .

وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {281} : أي أن كل الناس – الذين يأكلون الربا وغيرهم –سوف يُرجَعون إلى الله فَـيُوَفّى كل امرئٍ حـسابه بالعدل ولا يُظلَمُ.

لماذا اختار الله العزيز الحكيم أن يترل آية أو آيات أخرى قبيل وفاة النبي، صـلى الله عليه وسلم؟ لماذا اختار وقتاً يبدو أنه كان آخر فرصة لتتريل تلك الآيات؟ لماذا فعل ذلك بعد أن أنزل آية قال فيها: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ؟ وأخـيراً لماذا اختار، حين فعل ذلك ، أن يعود إلى موضوع تحريم الربا الذي كان قد عالجه من قبل في القرآن الكريم؟

لا بد من أن تكون هناك إجابات هامة جداً على هذه الأسئلة. يبـدو لنـا أن الطريقة الوحيدة لاستخدام هذا التتريل الأخير على الوجه الصحيح هي أن يؤكد مـن جديد شيئاً وضعه في صميم الهُدىَ الإلـٰـهي. وبالإضـافة إلى ذلـك، يمكـن استخدامه للفت الانتباه إلى ذلك الجزء من الهُدى الإلـٰـهي الذي يكون فيه إيمان المؤمن أضعف ما يكون في مواجهة الهجوم الـذي سـيتعرض لـه في المـستقبل (أمِّ الهجمات) من قِبَلِ أعداء الإسلام. وأخيراً ربما جاء في آخر التتريل لأنه سـتكون لـه أهمية استراتيجية قُصوى في آخر الزمان. والله أعلم!

يبدو أن اختيار الربا ليكون آخر التتريل الحكيم يشكل أشدَّ تحذير من أن الربـا يمكن أن يشكل أكبر خطرٍ على إيمان المؤمنين وحريتهم وقوَّتهم. فهـذا الموضـوع ذو أهمية بالغة لأنَّ فيه تكمن إمكانية وقوع أخطر الهجمات وأكثرها تدميراً وتخريباً علـى إيمان المؤمنين وعلى سلامة أمة النبي، صلى الله عليه وسلم، وقوَّتِها. هذا هو جوابنـا، ومرة أخرى أقول: الله أعلم!

النبي يؤكد أكبر أخطار الربا

يبدو أن رأينا هذا تؤكده حقيقة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، تنبأ في حديث روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، بالنجاح الكامل في النهاية لهجومٍ كهذا يُشَنُّ عن طريق الربا. ومن البديهي أنه سيكون هجوماً يشنُّهُ أعداء الإسلام، ولكنه سيتغلغل في البشرية بأسرها، بمن فيها أتباع النبي محمد، صلى الله عليه وسلم:

عن أبي هريرة: أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: **"ليأتينَّ على الناس زمانٌ لا يبقى أحدٌ إلاَّ أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من بخاره."**

قال ابن عيسى: **"أصابه من غباره"**

(سنن أبي داود)

هكذا أوضح النبي، صلى الله عليه وسلم، بما فيه الكفاية أن أكبر خطر على سلامة الأمة وإيمان المؤمنين يأتي من الربا. وهذا أكد التحذير الذي جاء من الله نفسه سبحانه وتعالى، والذي تجلّى في اختياره الربا موضوعاً لآخر ما نزل من القرآن الكريم.

لقد تحققت الآن نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، بأن الربا سيعم العالم. نعم، تحققت في حياتنا البائسة هذه! تحققت على وجه الخصوص أثناء الوقت التي مضى منذ إلغاء الخلافة العثمانية في عام 1924. فحتى عام 1924، لم يكن الاقتصاد الأوروبي الرأسمالي القائم على الربا قد نجح في التغلغل في اقتصاد العالم الإسلامي وأسواقه. ولكن أوروبا نجحت في إغراء الحكومات التي تربعت على عروش إدارة شؤون المسلمين في الدخول في الربا. فقد استدان الخليفة العثماني، مثلاً، مبالغ طائلة من المال بفائدة من أوروبا وازدادت مصاعبه المالية والاقتصادية إلى حدٍّ أنه أُرغِمَ على التماس عضوية نظام الدول العلمانية الأوروبية الجديد كمحاولةٍ يائسةٍ لمنع الإمبراطورية من الانهيار. وقد تحقق له ذلك في اتفاق السلام الذي عقد في مؤتمر باريس في عام 1856. ولكن الثمن الذي اضطُرَّ إلى دفعه كان الرضوخ للابتزاز المالي اليهودي/الأوروبي، الذي اعتصر منه إلغاء الجزية ونظام أهل الذمة في أقاليم الإمبراطورية العثمانية. وكان هذا أيضاً شرطاً لازماً للإعفاء من مدفوعات الديون والفوائد. وقد خان الخليفةُ، بفعله

هذا، اللهَ، سبحانه وتعالى، الذي فرض الجزية في القـــرآن (الآيـة 29 من سورة التوبـة 9). وكان المفروض في الحقيقة ألا تلغى الجزية إلا عندما يعود عيسى، عليه السلام:

عن أبي هريرة أن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "ليس بيني وبينه نبيٌّ - يعني: عيسى عليه السلام- وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ، فيقاتل الناس على الإسلام فيدقُّ الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثمَّ يتوفى فيصلّي عليه المسلمون".

(سنن أبي داود)

كان نجاح أصحاب البنوك اليهود-الأوروبـــيين في اســـتهداف الإمبراطوريـــة العثمانية مثالاً نموذجياً للإمبريالية المالية، التي أصبحت ممكنة عن طريق الربا. وكـــان هنري كيسنجر هو الذي رسم نفس الاستراتيجية، التي أدت في النهاية إلى انهيار دولة عظمى في العصر الحديث، تلك هي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية). وكان ينبغي لهذا الحدث أن يفتح عيون علماء الإسلام. ولكنه لم يفتحها! ونتيجةً لذلك، ما زالت الاستراتيجية نفسُها تطبَّق في صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرهما بمنتهى السهولة. و لم يقف الحد عند قيام اقتصاد إسرائيل على الربا، ولكن إســـرائيل حملـــت منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات ونظماً عربية أخرى على اعتناق نفس السلاح الاقتصادي الفتاك بالضبط، هذا السلاح الذي يوقِع ضحيته في غائلـــة الفقـــر والفاقة والعبودية الاقتصادية. وشهد نجاح الابتزاز المالي اليهـــودي-الأوروبي بدايـــة تفكيك النموذج المقدس للنظام العام (أو الدولة) في العالم الإسلامي (دار الإســـلام)، وإحلال النظام الأوروبي العلماني محله. وفي نموذج الدولة هذا 'انتزعت' السيادة مـــن الله، سبحانه وتعالى، ووضعت في الدولة بدلاً منه. وهذا شرك!

منذ عام 1924، تغلغل الربا في كامل الحياة الاقتصادية للمسلمين في كل أنحاء العالم. وقادت الإمبريالية المالية المتأصلة في الربا العالم الإسلامي برمته، مـــن خناقـــه، وسلمته إلى أيدي الأعداء الذين سنوا سكاكينهم. بل إن البشرية جمعاء واقعة الآن في

شَرَكِ عالَمَي الرِّبا والشِّرْكِ. و لم يقف الأمر عند حدِّ تحقُّق نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، بالانتصار التام للنظام البنكي القائم على الربا في العالم بأسره، وبالربا الكامن في العملات الورقية والبلاستيكية والإلكترونية المصطنعة وغير القابلة للتبديل بالذهب، وإنما تحققت أيضاً بالإفساد التام للسوق الحرة العادلة. وإن ما يسمى اليوم بالسوق الحرة ما هو إلا 'مغارة لصوص'، يستغل فيها القويُّ الضعيفَ – كما توقَّع علي ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، حين قال:

"سيأتي على الناس زمان عضوض ...".

(سنن أبي داود)

وأخيراً رَدَّدَ النبي نفسه، صلى الله عليه وسلم، صدى التحذير الوارد في الآيات القرآنية باستخدام أقوى عبارات ممكنة فيما يتعلق بالربا:

" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:

'الرِّبَا سَبْعُونَ حُوباً. أَيْسَرُهَا أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ'".

(سنن ابن ماجه؛ البيهقي)

" عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"درهم ربا [يأكله الرجل وهو يعلم] أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية." (مسند أحمد) ورواه البيهقي عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وأضاف إليه أن النبي، صلى الله عليه وسلم، مضى فقال: " من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به "

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ـليلة أسري بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فوق (قال عفان فوقي) فإذا أنا برعد وبرق وصواعق. قال: فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات تُرى من خارج بطونهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال" هؤلاء أكلة الربا.

(مسند أحمد، سنن ابن ماجه)

"عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: 'أربعةٌ حقٌ على الله أن لا يدخلهم الجنة، ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاقُّ لوالديه.'"

(المستدرَك، الحكيم، 'كتاب البيوع')

"عن سَمُرة بن جندب، رضي الله عنه، قال: قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم، فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة. فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فمه فردَّهُ حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيتَه في النهر آكل الربا."

(صحيح البخاري)

وأكد النبي، صلى الله عليه وسلم، من جديدٍ إعلان الحرب من الله ورسوله فيما يتعلق بتحريم الربا، في الحديث التالي:

عن جابر بن عبدالله، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: "من لم يَذَر المخابرة، فليأذن بحربٍ من الله ورسوله."

عن زيد بن ثابت قال: قلت: وما المخابرة؟. قال: 'أن تأخذ الأرض بنصفٍ أو ثلث أو ربع.' (الخطورة هنا أنها تؤدي بالخداع إلى استعمال الناس عبيداً).

(سنن أبي داود)

ينبغي أن يتضح مما تقدم أن إقامة الاقتصاد على أساس الربا إثم كبير حقـــاً. وإن كل إثم تقريباً، باستثناء الشرك، يتضاءل أمامه. ولذلك من المؤكد أنه ينتهك الشروط الإلــٰهي ة لوراثة الأرض المقدسة.

النبي، صلى الله عليه وسلم، وانهيار العملة الورقية

من الأهمية بمكانٍ أيضاً أن يدرس المسلمون بعنايةٍ نبوءة النبي، صـــلى الله عليـــه وسلم، التي تنبأ فيها بانهيار العملة العلمانية المصطنعة (أي العملة الورقية والبلاســتيكية والإلكترونية، وما أشبه ذلك):

حدثنا أبو بكر بن أبي مريم قال إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"ليأتين على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم."

(مسند أحمد)

نبوءة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، توشك أن تتحقق. فنظام النقد يستخدم اليوم 'الورق' ليصنع منه 'العملة'. وهذا تزييف واضح! فالعملة المـــصطنعة تختلـــف اختلافاً تاماً عن العملة الحقيقية. العملة الحقيقية لها قيمة ذاتية أصيلة، أما العملة الورقية فلا قيمة لها. والقيمة الوحيدة التي لها هي القيمة التي تعطيها إياهـــا قـــوى الـــسوق. وقيمتها السوقية لا تدوم إلا ما دامت ثقة الجمهور بها وما دام عليها طلب في السوق؛ وإلا بقدر ما توجد هذه الثقة وهذا الطلب. والطلب في حد ذاته يتوقف على الثقـــة؛ والثقة شيء يمكن التلاعب به (كما أدرك رئيس وزراء ماليزيا الآن، وكما أدركـــت إندونيسيا بعد فوات الأوان). وما دامت الحكومات تـــتحكم بمـــا يـــسمى أســـواق العملات الحرة تستطيع التدخل لحماية الثقة العمومية. ولكنَّ سوق النقد الآن تحـــت

سيطرة أسوأ قوى المضاربة على اختلاف أنواعها. وهي قوى يحرِّكها الطمع الغالب وليس لها ولاء ولا وطنية. وأي شيء يزعزع الثقة في السوق بخطورة يجعل قوى المضاربة تجري بلا وعي وتدوس بنعالها كل ما أمامها، وبذلك تتحقق نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم.

وسوف يشهد انهيار العملة، الذي ربما يكون أصدق وصف له هو 'ذوبان العملة'، النجاح النهائي للأوروبيين (الذين أصبحوا فيما بعد يهوداً) في كفاحهم الذي دام أكثر من ألف سنة لإقامة حكم اليهود للعالم بأسره. وسيتمكن الذين لديهم عملة حقيقية من البقاء بعد حدوث الذوبان، أما المضاربون الذين ينجحون في استغلال الانهيار فسيجنون أكبر أرباحٍ جُنيَت منذ الأزل. وأما الجماهير فستفقد ثروتها وستصبح عبيداً. ستجد نفسها تملك أوراقاً لا قيمة لها تبدو في شكل عملة. هذه هي المحرقة المالية التي ستحدث لا محالة.

والآن يوجد أشخاص آخرون، بخلاف نبيِّنا محمدٍ، صلى الله عليه وسلم، يتنبأون بحدوث هذا الذوبان المالي. فاستخدمته جودي شلتون، مثلاً، عنواناً لكتابها الممتاز المعنون: ***"Money Meltdown: Restoring Order to the Global Currency System"*** (ذوبان العملة: إعادة ترتيب نظام النقد العالمي) الصادر في نيويورك عن مطبعة Free Press، عام 1994. ولا ينبغي لنا أن ننسى، ولا أن نسمح للعالم بأن ينسى، الانهيار الدرامي المشؤوم للدولار الأمريكي، الذي لم يسبق له مثيل، الذي حصل في شهر كانون الثاني/يناير 1980، حين انخفضت قيمة الدولار بالنسبة إلى الذهب إلى 850 دولاراً لإوقية الذهب الواحدة! (في عام 1971 كانت القيمة 35 دولاراً للإوقية، والآن حوفظ على القيمة 'المدارة' عند رقم يتراوح بين 280 و 300 دولار للإوقية.) حدث انهيار الدولار هذا فوراً بعد نجاح الثورة الإسلامية المناوئة للغرب في إيران، التي وضعت السيطرة على موارد النفط الهائلة في إيران في يد حكومة

إسلامية مناوئة للنظام المالي. فلماذا تهدد ثورة إسلامية في إيران بانهيار نظام النقد الدولي العلماني؟ صمت الخبراء في اقتصاد النقد الدولي عن الإجابة على هذا السؤال.

حدث انهيار مماثل في عام 1973، بعد الحرب العربية–الإسرائيلية وفرض الحظر على تصدير النفط العربي إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وهبطت قيمة الدولار الأمريكي هبوطاً هائلاً بنسبة 400%، من 40 دولاراً لإوقية الذهب إلى 160 دولاراً للإوقية.

والواقع أن انهيار نظام النقد الدولي سيحدث عندما يرى اليهود أن من المناسب إسقاط الدولار الأمريكي. ويمكنهم أن يفعلوا ذلك في أي وقت يشاءون لأن الدولار الأمريكي المصنوع من الورق مزيَّف وليست له قيمة ذاتية أساساً. وعندما ينهار الدولار الأمريكي ستنهار معه كل العملات الورقية في العالم. وسيكون المستفيد الرئيسي من هذا الانهيار دولة إسرائيل، لأن الذين يتحكمون بالبنوك هم أنفسهم الذين سيتحكمون بالعملة. ولن يعود في استطاعة الحكومات أن تصدر عملات. وإنما البنوك (التي يسيطر عليها اليهود) هي التي ستُصدِرُ الآن العملة البلاستيكية (أي الإلكترونية)! ربما يحدث ذوبان العملة هذا عندما تشن إسرائيل حربها على العرب ثم تنجح في تحدّي العالم بأسره. ومن شأن النجاح في عرض هذه القوة العسكرية والسياسية، بالإضافة إلى السيطرة المالية الجديدة التي ستأتي مع انهيار العملة الورقية أن يعطي إسرائيل مركز **الدولة الحاكمة** في العالم. ويعتقد كاتب هذه السطور أن هذا الحدث يرجَّح أن يقع في غضون خمس سنوات إلى عشر سنوات، أو حتى قبل ذلك. وقد نجحت إسرائيل بالفعل في تحدّي رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، الذي طلب منها عدة مرات أن تسحب قواتها العسكرية من المدن الفلسطينية التي احتلتها بعد موجة الهجمات الفلسطينية بـ 'القنابل البشرية'، التي أزهقت أرواح كثير من اليهود. وبينما نحن نكتب هذه السطور، يبدو أن إسرائيل نجحت أيضاً في تحدّى مجلس الأمن، الذي طلب من إسرائيل أن تسمح بدخول بعثة تقصي حقائق موفدة من الأمم المتحدة لزيارة مخيم

جنين للاجئين في الضفة الغربية للتحقيق في الادِّعاءات بارتكـــاب إســـرائيل جـــرائم حرب.

ما هي حقيقة هجوم الربـــــــا؟

إن القوى التي ظهرت في التاريخ المعاصر، والتي مكنت مـــن اســـتعادة دولـــة إسرائيل، هي نفسها التي تغلغلت بالربا في البشرية بأسرها. القرآن يعرِّفُ هذه القوى بأنها يأجوج ومأجوج، وتحدث النبي، صلى الله عليه وسلم، مطوَّلاً عن **الدجال**. وقال إن عصر **الدجال** سيكون العصر الذي يسود فيه الربا في العالم. وقـــد أذهـــل العـــالِمُ الإسلاميُّ المبرِّز والحكيم، الدكتور محمد إقبال، العالمَ الإسلاميَّ حين أعلـــن في عـــام 1917 أن فتح يأجوج ومأجوج المشار إليه في القرآن قد حـــدث. ولـــذلك، مـــن الواضح وضوح الشمس أنَّ تَغَلْغُلَ قُوى الربا في جسد الأمَّـــــة يمثِّل هجوماً من قوى شريرة خلقها الله نفسه، سبحانه وتعالى. ويقصد المهاجمون من هـــذه الهجمـــات أن يضعوا البشرية بأسرها، بما في ذلك المسلمون، في أعظم امتحان عرفتـــه البـــشرية أو ستعرفه من عهد آدم، عليه السلام، حتى اليوم الآخر. ويقصدون أيـــضاً أن يخـــدعوا اليهود ويقودوهم إلى هلاكهم النهائي. وفي قمة هذا الهجوم تأتي محنة الربا! ونحن الآن نعيش هذه المحنة. هذه هي حقيقة هجوم الربا. والدليل الظاهر حتى الآن هو أن عالَماً من اليهود مصاباً بالعمى الروحاني (عمى البصيرة) فشِل فشلاً ذريعاً في الردِّ على هذه المحنة. ويبدو أن العالم الإسلامي لا يقل عنهم عمى بصيرة.

الله، سبحانه وتعالى، يشن حرباً على إسرائيل

تكلم الله العلي القدير بلهجة قوية جداً عن إثم الربا، إلى حدٍّ ربما يجعله أكبر إثم (بعد الشرك) يُرتَكَبُ في مجال الإيمان والسلوك. وغَضَبُ الله على الطغـــاة (بـــسبب طغيان الربـــــا) غَضَبٌ عظيمٌ إلى حد أنهم سيقفون أمامه عند قيامتهم وقفـــة يبـــدو منها أنهم يتخبطون كالذي يتخبطه الشيطان من المَسِّ. وعندما تمارس دولة إســـرائيل

الربا لن يكتفي الله، سبحانه وتعالى، بعقاب هؤلاء القوم في الآخرة، وإنما سيشن عليهم هو ورسوله، صلى الله عليه وسلم، حرباً في هذه الحياة الدنيا.

﴿"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {278} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ {279} ﴾."

(*الآيتان* 278-279 من سورة البقرة 2)

يوجِّهُ هذا الكتاب الانتباهَ إلى حقيقة أن اليهود يسيطرون اليوم على النظام البنكي في مختلف أنحاء العالم. ومع ذلك تشير الآيتان القرآنيتان المذكورتان أعلاه إلى الأهمية البالغة التي يعلقها الله، سبحانه وتعالى، على تحريم الربا. ولم يستخدم الله، سبحانه وتعالى، في كل التنزيل على مرِّ التاريخ – على حدِّ علمي – مثل هذه العبارات البالغة القوة في أي شيء آخر باستثناء الربا. وإذا ما كان ثمة أي ظلال من الشك ما زالت تخامر عقل أيِّ فردٍ بشأن الأهمية البالغة لهذا الموضوع فينبغي الآن أن يبددها. وقد بيَّن الله، سبحانه وتعالى، لبني إسرائيل بمنتهى القوة قدرته على محاربة الربا. ولقنهم بذلك درساً ينبغي لباكستان، على وجه الخصوص، أن تتذكره بخوفٍ!

بعد وفاة سليمان، عليه السلام، حرَّف الإسرائيليون التوراة وأعادوا كتابتها عدة مرات بعدة نصوصٍ مختلفة. وقد بيَّن الباحث المتخصص في شؤون التوراة، ريتشارد فريدمان، خريج جامعة هارفارد، هذا الأمر بشكل قاطع في كتابه الهام جداً المعنون: ***"Who Wrote the Bible?"*** (مَن كَتَبَ الكتاب المقدس؟) الصادر في نيويورك عن مطبعة Harper and Row، في عام 1989. وحذف الإسرائيليون من التوراة كل إشارة إلى المعبد (أو المسجد) الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، في شبه جزيرة العرب. ولم يعد للحج والكعبة مكان في التوراة. وكذلك شطبوا كل الإشارات إلى إسماعيل بأنه المفتدى، وأحلّوا محلَّهُ اسم أخيه إسحق، عليه السلام، مع

أن إسحق، عليه السلام، لم يكن قد وُلِدَ حين وقع امتحان الضحية والفدية. وبالإضافة إلى ذلك، وصف الله، سبحانه وتعالى، الولد المفتدى بأنه غلام حليم (الآية 101 من سورة الصافات 37)، بينما وصف الولدَ الذي ولدته سارة بأنه 'عليم' (الآية 53 من سورة الحجر 15). ووضعوا مكان شبه جزيرة العرب فلسطين، مدَّعين أنها هي المكان الذي تمت فيه التضحية والفدية. وبئر زمزم، المعجزة التي انبثقت من رمل الصحراء حين ضرب جبريل، عليه السلام، بقدمه الرمل، أصبحت بئراً في فلسطين. ووصفوا إسماعيل، عليه السلام، في التوراة بالشيطان ووصفوه بقولهم: "رَجلاً كحمار الوحش"، واستثنوه من عهد الله ليحصروا في أنفسهم لقب 'شعب الله المختار'. غير أن أخطر ما في ذلك كله فسادُهم وتحريفُهم لتحريم الله للربا. وأعادوا كتابة التوراة ليبيحوا لأنفسهم الإقراض بالفائدة لغير المؤمنين بينما أبقَوْا على تحريم الربا في المعاملات بين الإسرائيليين (سفرالتثنية 23: 20-21).

وردَّ الله، سبحانه وتعالى، على هذه الجريمة النكراء بأن أرسل إليهم من مخلوقاته رجلاً يمتلك قوىً خارقةً في شنِّ الحروب، ذلك هو الملك البابلي نَبوخَذ نُصَّر، الذي اجتاح فلسطين وهزم الإسرائيليين، واستعبد كل من وقع في قبضته منهم، ودمر دولة إسرائيل والمسجد الأقصى (الذي بناه سليمان)، ونقل الإسرائيليين عبيداً إلى بابل (الآيتان 4 و5 من سورة الإسراء 17). من المؤكد أن هذا كان بياناً قوياً لقدرة الله، سبحانه وتعالى، على شن الحروب.

وكان ثمة بيان آخر حين اجتاح الإمبراطور الروماني تيطس القدس ودمر الهيكل (المسجد) مرة أخرى (الآية 104 من سورة الإسراء 17). وكان هذا متصلاً بالربا أيضاً. وبعث الله، سبحانه وتعالى، إلى الإسرائيليين ثلاثة أنبياء: زكريا ويحيى وعيسى، عليهم السلام. فكفرت بهم طائفة من الإسرائيليين وأصبحت تعرف باسم **اليهود**. وقتل اليهود زكريا، عليه السلام، وهو في داخل المسجد الأقصى (إنجيل متّى 24: 35، و36؛ إنجيل لوقا، 11: 51). وقطعوا رأس يحيى، عليه السلام، بالخدعة والحيلة. ثم تبجح

اليهود في النهاية بأهم قتلوا عيسى، عليه السلام،. في الحالات الثلاث هاجمهم أنبياء الله وأدانوهم لشرورهم. وتَضَمَّنَ ذلك إدانتَهُمُ اليهودَ بجريمة تحريف التوراة وأكلهم الربا. فذهب عيسى، عليه السلام، إلى المسجد الأقصى، مثلاً، ووجدهم يتعاملون بالربا، فلعنهم وقلب الموائد على رؤوسهم وطردهم من الهيكل (المسجد) وقال لهم: "مكتوب إن بيتي بيتُ الصلاة. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (لوقا ص 132) ولذلك – لأن أنبياء الله كشفوا عن شرورهم المتمثلة في أكل الربا وجرائم أخرى – قتلوهم (إلا عيسى، عليه السلام، فقد أنقذه الله بمعجزة). وردَّ الله، سبحانه وتعالى، على هذا الشر بأن أرسل عليهم جيشاً رومانياً دمر دولة إسرائيل مرة ثانية. (وستدمر للمرة الثالثة والأخيرة على يد جيش مسلم يقوده الإمام المهدي.)

يكتسب إنذار الله، سبحانه وتعالى، بإعلان الحرب على الناس لأكلهم الربا أهميةً أكبر عندما نتفكر في حقيقة أن الله، سبحانه وتعالى، تدخَّل لحماية أوَّلِ مسجدٍ (الكعبة المشرفة) عندما جاء أبرهةُ بجيشه ومعهم الأفيال ليهدمه (الآيات 1-5 من سورة الفيل 105). حتى حينما كانت الكعبة ملآى بالأصنام تدخلت العناية الإلٰهية لإنقاذها من الدمار. ومع أنه لم يكن في المسجد الثاني (أي المسجد الأقصى) أي أصنام أرسل الله، سبحانه وتعالى، الجيوش مرتين لتدميره. هكذا يكون الغضب الإلٰهي على الطغيان الذي يسببه الربا.

والإنذار الخطير لبني إسرائيل هو أن شِرك دولة إسرائيل العلمانية والربا في حياتها الاقتصادية ينتهكان بكل وضوح الشروط الإلٰهية لوراثة الأرض المقدسة. وستكون نتيجة هذا الانتهاك أن يعاقبهم الله، سبحانه وتعالى، عليه.

الخـــــلاصـــــــة

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ {44} ﴾

(الآية 44 من سورة فصلت 41).

آن لنا الآن أن نخلص إلى نتيجةٍ نعطي فيها بياناً موجزاً نكرر فيه النقاط الرئيسية التي أبرزناها في هذا الكتاب. وهي كما يلي: إن التغيير الثوري الغريب الذي حـــول أوروبا الوثنية إلى قارة مسيحية في معظمها ولكن فيها أيضاً جالية يهوديـــة صـــغيرة متنفذة، تنحَّى في النهاية لحدوث تغيير ثوري أغرب حتى من الأول أسفر عن أن يصبح هذا الشعب الأوروبي نفسُهُ الآن ملحداً أساساً. وقام الرجل الأبيض، في معرض تحوُّله إلى مسيحي ويهودي ثم في النهاية إلى ملحدٍ أساســاً،بتخريب المــسيحية واليهوديـــة كلتيهما وقضى على كل ما كان باقياً من مقدسات هاتين الديانتين المُنزَلَتَين.

يحاول الرجل الأبيض العلماني الحديث، و 'أشباه الرجال' الموالون له من سُـــمرِ الجلود أو صُفرِها أو سودِها، الآن أن يفعلوا بالإسلام ما سبق أن فعلـــوه باليهوديـــة والنصرانية. هذا هو التفسير الأساسي للحرب التي شنوها على الإسلام منـــذ 1000 سنة وما زالت مستمرة، واشتد أُوارها واستعرت بعد 11 أيلول/سبتمبر. ويتعـــرضُ المسلمون الآن لجهودٍ متقدمٍ شاملٍ لإعادة صياغة الإسلام وتغيير الدين على نحو يمكِّن من استيعابه في المجتمع العالمي الجديد الملحد. ويجب أن يخرج من هذه العمليـــة نـــصٌّ مزخرف جديد للإسلام يقبل باليهود حكّاماً للعالم ويقبل بدولة إســـرائيل باعتبارهـــا

الدولة الحاكمة في العالم. ويجب، بالقوة، أن يكون هذا الإسلام خلواً من كل مفهـــوم أو إشارة إلى الجهاد.

ويقال للمسلمين الآن إن قيم المجتمع العالمي الجديد هي في الواقع قيم الإســـلام النقي. ولكن المجتمع العالمي الجديد ونخبته الكوزموبوليتية هما نتاج الحـــضارة الغربيـــة العلمانية، ويعتنقان نفس القيم التي تعتنقها تلك الحضارة الملحدة. ومن بين هذه القيم الشِّركُ السياسي الذي اعتنقته الآن كل البشرية، والربا الاقتصادي الذي يقوم عليـــه الاقتصاد الحديث، والذي أدى اعتناقُ البشريةِ له إلى إيجادِ نوعٍ جديدٍ مـــن العبوديـــة الاقتصادية.

مكَّنت الحضارة الغربية الملحدة من إقامة دولـــة إســـرائيل اليهوديـــة والدولـــة السعودية–الوهابية، أي المملكة العربية السعودية. وهذه الحضارة هي نفـــسها الـــتي مكنت من بقاء إسرائيل والمملكة العربية السعودية في حيز الوجود منذ مولدهما حـــتى الوقت الحاضر. (انظر كتابنا المعنون: ***"The Caliphate, the Hejaz and the Saudi-Wahhabi Nation-State"*** (الخلافة والحجاز والدولة-الأمة السعودية-الوهابية).) هذا هو المفتاح الذي يستطيع به المسلمون أن يحاولوا فهم العالم اليوم. ولا يمكن تفسير أيٍّ من هاتين الظاهرتين دون الاستعانة بالقرآن. والتفسير القرآني الذي برز باعتبـــاره صلب هذا الكتاب هو أن العالم اليوم تحت سيطرة يأجوج ومأجوج، وتحت ســـيطرة المسيح الدجّال.

شرح النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، مقصد الخطة الإلـٰـهية التي أُخْرِجَ فيهـــا اليهودُ (أي اليهود الإسرائيليون) من الأرض المقدسة بعد كفرهم بالمسيح ابـــن مـــريم ومحاولة صلبه. ثم أعطاهم الله الرحمن الرحيم فترة محددة من الزمن ليلتمسوا فيها الرحمة منه. ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ...﴾ (الآية 8 من سورة الإسراء 17)، وتـــرك بابـــاً واحداً مفتوحاً لهم ليدخلوا منه ويفوزوا برحمته. وباب الرحمة هذا هو الـــنبي الوحيـــد

الذي هو خاتم الأنبياء والذي كانت بعثته ما زالت منتظَرَة. ذلك هو محمد، صلى الله عليه وسلم، نبي الله، سبحانه وتعالى. كـــان ينبغـــي لليهـــود أن يؤمنوا به ويتَّبعوه ويعزِّروه وينصروه لكي يفوزوا برحمة الله، سبحانه وتعالى، (الآية 157 من سورة الأعراف 7).

وإذا كفر اليهود الإسرائيليون بمحمدٍ، صلى الله عليه وسلم، ولم يؤمنـــوا بـــه، فمعنى ذلك إغلاق باب الرحمة الإلـــٰهية هذا، وحينما يبدأ العدُّ التنازلي لليوم الآخـــر فإن الله، سبحانه وتعالى، سيعيدهم إلى مسرح جـــرائمهم الكـــبرى، أي إلى الأرض المقدسة (الآية 104 من سورة الإسراء 17). وتعني عودة اليهود هذه إلى الأرض المقدسة أن عقابهم الإلـــٰهي الأخير قد بدأ. ويقول هذا الكتاب إن تلك اللحظة قد حانـــت! وكانت فترة السبعة عشر شهراً التي انقضت بعد وصول النبي محمد، صلى الله عليـــه وسلم، إلى المدينةِ أهمَّ وأحرجَ فترة في التاريخ اليهودي بأسره. كـــان بـــاب الرحمـــة الإلـــٰهية مفتوحاً. وعندما اتضح بما لا يدع مجالاً للشك، بعد سبعة عشر شـــهراً، أن اليهود لم يكفروا بمحمد، صلى الله عليه وسلم، فحسب وإنما تآمروا عليه أيضاً للقضاء على الإسلام، أمر الله، سبحانه وتعالى، بتغيير القبلة، وكان معنى ذلك أن باب الرحمة الإلـــٰهية أغلق آنذاك في وجه اليهود. ولن يصبحوا بعد ذلك مؤهلين أبـــداً لوراثـــة الأرض المقدسة. وإنما آلَ هذا الميراثُ الآن إلى المسلمين بدلاً منهم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {165} ﴾

(الآية 165 من سورة الأنعام 6).

في هذه اللحظة بالذات، أي بعد تغيير القبلة وقبل وفاة الرسول، صلى الله عليـــه وسلم، فُتِحَ الدجّال وفُتِحَت يأجوج ومأجوج. ولن ينـــضم الآن ســـوى المـــسلمين 'العور' إلى اليهود ويحضروا معهم قُدّاساتٍ وصلواتٍ 'مشتركةً بين الديانات'.وسبب

ذلك هو أن اليهود عادوا الآن إلى الأرض المقدسة ليواجهوا عواقب أعمالهم الـشريرة الكثيرة، بما في ذلك الشر الذي يرتكبونه الآن. ويأتي في أعلى قائمـة هـذه الجـرائم خيانتهم لعهدهم مع الله، سبحانه وتعالى.

يعترف اليهود بالفعل أن الله، سبحانه وتعالى، عاقبهم عدة مرات من قبل. وقـد بيَّن هذا الكتابُ وجهة النظر الإسلامية القائلة إن التاريخ لن ينتهي حتى ينال اليهـود عقابهم النهائي. وقد قدَّم النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، معلوماتٍ هامةً جداً عـن هذا الموضوع، حين قال: إن جيشاً مسلماً سيفتح القدس ويقضي على دولة إسـرائيل الدجّالة، ويعاقب اليهود. وهكذا سيحرِّرُ أتباعُ محمدٍ، صلى الله عليه وسـلم، الأرضَ المقدسة. إليكم فيما يلي، مرة أخرى، نبوءة النبيِّ محمدٍ، صلى الله عليه وسلم في هـذا الشأن:

"روى أبو هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "يخرُجُ من خُراسانَ [تقع أجزاء منها في أفغانستان وباكستان وقليل منها في إيران وأسيا الوسـطى، إلخ.] راياتٌ سودٌ فلا يَردُّها شيءٌ حتَّى تُنصَبَ بإيلِيَاءَ."

(سنن الترمذي)

لهذا السبب يجب قراءة 'القدس في القرآن' مراراً وتكـراراً، ويجـب أن يحفـز الكتابُ كلَّ قارئٍ له على دراسة القرآن الكريم دراسة متعمقة، ودراسة تفسيرات النبي محمدٍ، صلى الله عليه وسلَّم، للقرآن. وقد تكلم النبي، صلىالله عليه وسلم، مطوَّلاً عن القدس وعن دورها في آخر الزمان. ومن بين ما قاله ما يلي:

"سمعت عوف بن مالك قال:أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهـو في قبة [خيمة] من أدم [جلد مدبوغ]، فقال: 'اعدُدْ سِتاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مَوَتان يأخذ فيكم كقِعاصِ الغنم، ثم استفاضةُ المال حتى يُعطىَ الرجلُ مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر [الـروم]، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية [راية]، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً.'".

(صحيح البخاري)

" عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال: 'تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله.' "

(صحيح البخاري)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود.' "

(صحيح مسلم)

ربما تكون هذه أول مرة في التاريخ تُحارَبُ فيها حَربٌ 'بالحجارة'. ما زالـــت الانتفاضة الإسلامية الفلسطينية تقدِّمُ رُدودَها على الطغيان الإســـرائيلي 'بالحجـــارة'. والحقيقة هي أن هذه آيةٌ منذرةٌ بالويل لإسرائيل. يضاف إلى ذلك أن إسرائيل تقـــوم بقطع 'الأشجار' واقتلاعها بلا تمييز في الأرض المقدسة. وقد اقتلعت إسرائيل آلافاً من أشجار الزيتون في مجهود شيطاني لزيادة الصعوبات الاقتصادية المفروضة على الشعب الفلسطيني بمسلميه ومسيحييه. وبلغ الغضبُ العارمُ على هذا الفساد (الطغيان والـــشر المخيفين) حداًّ بدأت معه 'الأشجارُ' و'الحجارةُ' في الأرض المقدســـة 'تـــتكلمُ' الآن تحقيقاً لنبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم. لا يمكن سماع الشجر والحجر طبعاً بـــالأذن الخارجية، ولكن آلة السمع الداخلي في القلوب التي يعمُرُها الإيمانُ هي التي يُسمَعُ بها صوتُ 'الشجر' و'الحجر' عندما يتكلمان! وربما كان هذا هو السبب الـــذي يجعـــل الحكومات التركية والأردنية والباكستانية، وكذلك كثيراً من الحكومات في مختلـــف أنحاء العالم تبدو عاجزةً عن سماع الحجارة تتكلم في الأرض المقدسة!

في رأينا أن نبوءة النبي، صلى لله عليه وسلم، المذكورة أعلاه قد بدأت بالفعـــل تتحقق اليوم في الانتفاضة الفلسطينية. وكلما مرَّ الزمن ستتكلم الحجارة بصوت أعلى

فأعلى. ولن يعجز عن سماع صوتها إلا المصابون بالصمم الروحاني وبالموت الروحاني. وإذا كانت الحجارةُ نفسُها تستصرخ المسلمين اليوم في كل مكان من العالم لتحرير الأرض المقدسة من الاحتلال والطغيان اليهودي، فمعنى ذلك أن على المسلمين أن يعبِّئوا أنفسَهم ويبذلوا كل جهودهم وكل مواردهم لهذا النضال؛ ويجب أن يُعطىَ هذا النضال أولوية على الأهداف الدنيوية العادية، كرفع مستوى معيشة الناس الذين يعيشون حياة مريحة على أي حال، مثلاً. ويُستَنتَج من ذلك، كما يقول المنطق، أن المسلمين لا يستطيعون العيش في الأقاليم التي يكون فيها تأييدُ الحرب على الإسلام وتأييدُ إسرائيل على أشدهما، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، إلخ. ويجب على المسلمين أن يهاجروا من هذه الأقاليم ويذهبوا للإقامة في أماكن يكونون فيها أكثر تمكُّناً من المحافظة على دينهم ومساندتهم للنضال من أجل تحرير الأرض المقدسة. فالعالم يُرغَمُ اليوم بصورة متزايدة على الاعتراف بالطغيان الذي خلقته إسرائيل وأدامته، الطغيان الذي سيظل يزداد باطِّرادٍ إلى أن يحدث، كما جاء في نبوءة النبي، صلى الله عليه وسلم، أن:

"... يمرَّ الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر. وليس به الدِّين إلا البلاء."

(صحيح مسلم)

ربما كان أهم تحذيرٍ يوجهه هذا الكتاب هو أن كل غدٍ يأتي الآن سيشهد زيادة في الطغيان ضد المسلمين الذين يظلون أوفياء للإسلام. بل إنه منذ 11 أيلول/سبتمبر ازداد هذا الطغيان على المسلمين في كل أنحاء العالم. ويمر المسلمون الآن بفتنة هي 'أمُّ الفتن كلها'. **فالدولة الحاكمة** في العالم اليوم (الولايات المتحدة الأمريكية) تقود الجهود الرامية إلى جعل العالم أكثر أمناً **للدولة الحاكمة** القادمة للعالم (إسرائيل).

الهُدىَ الذي يقدمه القرآن الكريم في سورة الكهف هو الهُدى الوحيد الذي يمكن فيه للمسلمين أن يبقَوا على قد الحياة في هذه العاصفة الهوجاء. والمرشد الوحيد الذي

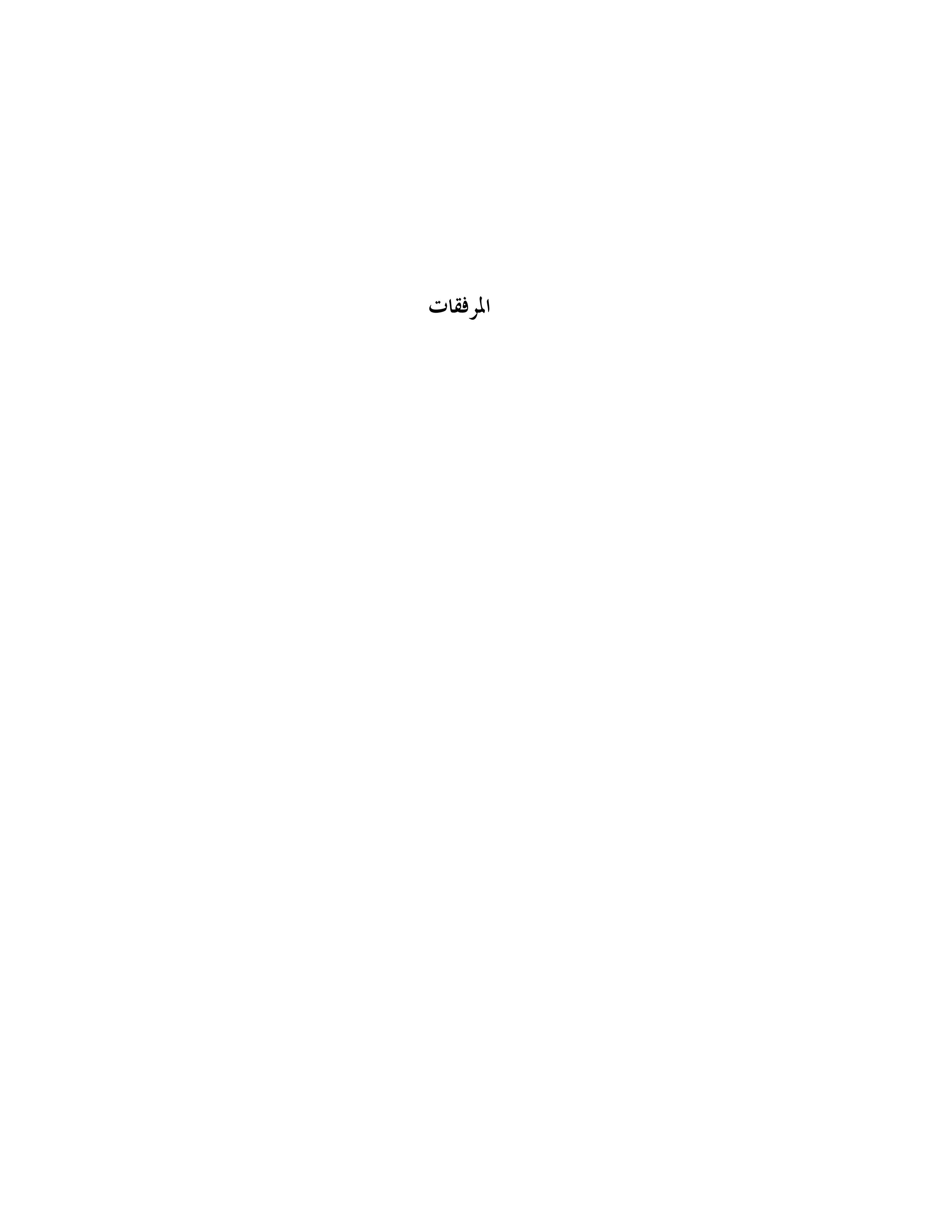
يستطيع أن يقود المسلمين بنجاح في هذا العصر هو المرشد الذي يفهم العصر الــذي نعيش فيه الآن والذي يكون فهمُهُ مستمَداً من القرآن الكريم والأحاديث الــشريفة – أحاديث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم. فهذا المرشد يفهم شِرِكَ الدولة العلمانيــة الحديثة، ونظام سياستها الانتخابية، وينصح المسلمين بالامتناع عن ذلــك الــشرك، وذلك بالامتناع عن قَسَمِ يمينِ الولاء للدستور العلماني وعدم المــشاركة في الــسياسة الانتخابية للدولة العلمانية. ويَفْهَمُ أيضاً الربا الذي يقوم عليه الاقتصاد الحديث وينصَحُ المسلمين بالامتناع عن كل شكل من أشكال الربا إلى أقصى حدٍّ ممكن. ويــدرك أن 'العملة الورقية' حرام، ويتخذ خطوات لتشجيع المسلمين على الرجوع إلى اســتخدام النقود الذهبية والفضية، التي يمكن استخدامها في السوق كعملة قانونية. (من المستبعد جداً أن يسمح 'اليهودي الدولي' لماليزيا بأن تعيد طرح الذهب والفضة في الأســواق بوصفها 'عملة قانونية'.

وسيعرف المرشد الربا الآتي من الباب الخلفي، الذي تمارسه البنــوك الإســلامية وجمعيات التسليف والمؤسسات المالية الأخرى، ويحذِّر الناسَ منه. ويعلن هذا المرشــد أن هذا هو عصر يأجوج ومأجوج، وعصر **الدجّال**. وكل المرشدين الآخرين 'يصفرون في مهب الريح'.

سأحاول، إن شاء الله، في كتابي المعنون ***"Surah al-Kahf and the Modern Age"*** (**سورة الكهف والعصر الحديث**)، الذي هو قيد الإعداد الآن، أن أفسِّرَ الهُدىَ الذي تقدمه هذه السورة من القرآن الكريم. ويقع في صميم هــذا الهُــدىَ واجــب الانقطاع عن المدن الملحدة في العالم الحديث والانتقــال إلى الريــف حيــث الأرض رخيصة والماء موجود . ولذلك ينبغي إقامةُ قرىً مسلمةٍ في هذه المواقع ثم تُبذَلُ محاولةٌ لإقامة الإسلام كطريقةِ حياةٍ في هذه القرى. ويشكل كتاب أستاذي مولانا الــدكتور محمد فضل الرحمن أنصاري، الذي يقع في مجلدين، وهــو بعنــوان ***"The Qur'anic Foundations and Structure of Muslim Society"*** (**الأسس والهياكل القرآنية**

للمجتمع الإسلامي)، مخططاً للبقاء على قيد الحياة لأنه يقدم الهُدىَ المحـــدَّد الـــوارد في القرآن الكريم، والذي يجب تطبيقه لإقامة الإسلام الحقيقي في هذه القرى المسلمة. وقد توسَّع مؤلف هذا الكتاب في مقدمة الطبعة الأخيرة لكتاب الدكتور أنصاري، الـــذي أُزَكّيهِ لحضرات القرّاء.

مِنَ الأطفال الذين يتربَّون ويكبُرون في قرىً مسلمة، منقطعة عن العالم الملحـــد، سيبرز الجيش المسلم الذي يحرر الأرض المقدسة.



المرفقات

المرفق الأول

بحر الجليل

(يعرف أيضاً باسم بحيرة كنيرِت وبحيرة طبرية)

يُشكل بحر الجليل المصدر الرئيسي للماء العذب للأرض المقدسة بأسرها. ويعتمد عليه الإسرائيليون والفلسطينيون والأردنيون اعتماداً كبيراً للحصول على مياه الشرب. وإذا جف بحر الجليل (كما يتنبأ به الحديث الشريف المرويُّ عن النبي محمد، صلى الله عليه وسلم) فبإمكان الإسرائيليين أن يلجأوا بسهولة إلى تكرير ماء البحر للاستعاضة به عن الماء العذب ويحلّوا مشكلة نقص المياه لديهم. أما الفلسطينيون والأردنيون فليس لديهم بديل. وسوف يصبحون رهائن في أيدي الإسرائيليين، إذ سيضطرون إلى شراء الماء منهم للبقاء على قيد الحياة. ولن يستطيعوا دفع تكاليف الماء المكرر بسبب لجوء الإسرائيليين إلى السلاح الاقتصادي – الربا – الذي أوصلهم بالفعل إلى الفقر والفاقة. ونتيجةً لذلك سيُضطرّون إلى الإذعان سياسياً لإسرائيل ليتمكنوا من الحصول على الماء. وإن لم يفعلوا ذلك ماتوا عطشاً.

منسوب الماء في بحر الجليل الآن منخفض جداً إلى حدٍّ أنه لن يمر وقت طويل قبل أن تكون إسرائيل قادرةً على لعبة ورقة الماء الرهيبة.

أوري ساغوي، رئيس ميكوروت – مجلس شركة المياه الوطنية في دولة إسرائيل، أبدى التعليقات التالية، في اجتماع عقده مجلس الشركة مؤخراً (أوائل كانون الأول/ديسمبر 2000): "**إن الموارد المائية للبلد توشك أن تقع في كارثة والحكومة لا تفعل ما فيه الكفاية لتجنب وقوع الأزمة.**" ورفض اقتراح استيراد الماء من تركيا لحل أزمة إسرائيل المائية، قائلاً إنه غير واقعي. وقد نشأت هذه الأزمة نتيجة للانخفاض الحاد في منسوب المياه في بحيرة كنيرت، وخزانات الدولة الرئيسية للمياه الجوفية،

وطبقات المياه الجوفية الكامنة تحت الجبال وتحت الساحل. وقد بلغ منسوب الميـــاه في بحيرة كنيرت إلى أدنى حدٍّ وصله في التاريخ، كما انخفض منسوب طبقات المياه الجوفية الكامنة في المناطق الجبلية بنفس المقدار. والحقيقة هي أن منسوب الماء في بحيرة كنيرت قد انخفض إلى حد لم يبق فيه الكثير قبل أن يصل إلى حدٍّ ستضطرُّ معه ميكوروت إلى التوقف عن ضخ الماء من البحيرة إلى أنابيب الشركة الرئيسية. فقد صُمِّمَت الأنابيـــب أصلاً بحيث تتوقف تلقائياً عن الضخ إذا وصل منسوب الماء إلى هذا المستوى.

إلى أي حد انخفض منسوب الماء؟ قال إسحق غال، وهو عضو قديم في ســـلطة بحيرة كنيرت: "تبين من الأبحاث التي أجريناها أن هذا هو أدنى مستوى وصل إليه ماء البحيرة منذ 150 سنة. وبحثنا أيضاً في البيانات الأثرية ورجعنا في ذلك إلى عهد الرومان، ويبدو أن ماء البحيرة لم ينقص بمقدار ما هو ناقص الآن."

وحذر ساغوي قائلا: "إذا لم يحدث تغيير جذري (في سياسة الحكومة) في المستقبل المباشر، فلن يكون عندنا ماء في السنة القادمة يكفي لتلبية الاحتياجات الأساسية." وسيكون لهذه الكارثة عواقب وطنية لأن إسرائيل ملزمة دولياً بتقديم مـــاء للأردنيين والفلسطينيين من موارد آخذة في الجفاف بسرعة.

ووصف زفي أورينبيرغ، رئيس سلطة بحيرة كنيرت، وضع البحيرة بأنـــه "قاتم"، وقـــال: "سنصاب بكارثة إذا لم يهطل المطر الغزير الذي نأمل كلنا في هطوله ونصلي صلاة استسقاء هذا الشتاء." فملوحة الماء آخذة في الازدياد فعلاً والطحالـــب آخذة في التكاثر.

(نشرت جيروساليم بوست عدة مقالات في هذا الموضوع بقلم ديفيـــد روجّ ، من بينها مقال بعنوان: "الحكومـــة تتجاهـــل خطـــورة أزمـــة الميـــاه"، 5 كـــانون الأول/ديسمبر 2000؛ وآخَر: "أزمة المياه تـــترل مـــن الأنابيـــب"، 19 كـــانون الأول/ديسمبر 2000. وترسم مقالات أخرى نُشِرَت مؤخراً صورة أكثر قتامة. لكنَّ قلة الموارد المالية لا تمكِّننا من نشر هذه المقالات في هذا المرفق.

المرفق الثاني

ردٌّ إسلامي على الهجوم على أمريكا

عمران ن. حسين

﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ {35}﴾

(الآية 35 من سورة محمد 47).

﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً {100}﴾

(الآية 100 من سورة النساء 4).

مـــــقـــدمــــــــــة

تابعتُ بألمٍ لا يوصف الهجمات الإرهابية الأمريكية الجبانة علـــى المـــسلمين في أفغانستان، الذين وقفوا مع الإسلام، وهم أبرياء، براءة الذئب من دم ابن يعقوب، من الهجوم الإرهابي الذي وقع على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر. كان هجوماً إرهابيـــاً لأن العدو على درجة من الفزع لا تمكّنه من مقاتلة مسلمٍ وجهاً لوجه وفي ظـــروف متكافئة. يحاربون معاركهم الجبانة وهم محصَّنون في طائرات مقاتلة وقذائف موجَّهـــة، وما أشبه ذلك، في الفضاء بعيدين عن ميدان المعركة. ولكن الله سيأتينا بيوم، إن شاء

الله، نستطيع فيه أن نواجههم على الأرض في مثل هذا الميدان.**آمين!** وحتى يأتي ذلـــك اليوم، لا بد لنا من أن نواصل الجهاد دفاعاً عن أنفسنا متحلّين بالصبر، كلِّ الصبر.

كان الطالبان في وضعٍ شبيهٍ بوضع الغلام الفلسطيني ابن الاثنتي عـــشرة ســـنة، الذي يحارب الدبابات الإسرائيلية، الأمريكية الصنع، بحجرٍ في يده. لم يُهزم الطالبـــان على أيدي أمريكا ولا على أيدي تحالُف الشمال، 'عميل أمريكا' الذي ما زالت إيران مرتاحةً له. ولن يُهزَمَ الأولادُ الصغار الذين يقاتلون بالحجارة في الأرض المقدسة أبداً. لقد انسحب الطالبان إلى الجبال حيث لا تستطيع طائرات الجبناء المقاتلة وقـــذائفهم الوصولَ إليهم. وهكذا يعيش جنود الله هؤلاء ليقاتلوا في 'يومٍ' آخر. إننا نحيـــيهم! إن هذه الحرب لن تنتهي حتى يخرج الجيشُ الإسلاميُّ من خراسان ويـــسير منتـــصراً إلى القدس. وكلٌّ من يقرأون هذا الكتاب من المسلمين يجب أن تعتمل الرغبة في صدورهم ليكونوا جنوداً في هذا الجيش.

يحيّي هذا الكتاب ذكرى كل مسلم مـــات في أفغانـــستان نتيجـــة للإرهـــاب الأمريكي والبريطاني والإسرائيلي الجبان. إن دم ودموع أبنائنا البواسل، الذين قُتلوا في أفغانستان، والذين سيُقتَلون في أي مكان آخر، أو الذين يُسجَنون في سجون النظـــام العالمي الملحد المسيطر، لن تذهب سُدىً. وإنما ستغذي روح التصميم المنقطع الـــنظير لدى ملايين المسلمين (لا سيما الشباب المسلم) في كل مكان، الذين سيردّون علـــى هذا الطغيان الصارخ المخيف، الذي لا يحس مرتكبوه بخجل، بأن يُلزِمـــوا أنفـــسهم وأبناءَهم وأحفادَهم بالانخراط في ذلك الجهاد الإسلامي المسلح الذي ســـيحرر الأرض المقدسة في نهاية المطاف. لن يدوم هذا الليل الداجي، أكثر من خمسين سنة أخرى قبل أن يطلع ضوء الشمس مرة أخرى، إن شاء الله، وينتصر الحق على الباطل إلى الأبـــد، ويحكم الإسلامُ العالَمَ من القدس. كُتِبَ هذا الكتاب، '**القدس في القرآن**'، لِيُلْهِمَ هذا الشباب المسلم. وإني أدعو الله، سبحانه وتعالى، أن يقيِّض لي من يترجمون هذا الكتاب إلى كلِّ لغةٍ ينطق بها المسلمون لعله يصل إلى كل هؤلاء الشباب المسلمين. **آمين!**

المرفق الثاني: رد إسلامي على الهجوم على أمريكا

لقد شَكَّل الهجوم الإرهابيُّ على أمريكا نقطةَ تحوُّلٍ في التاريخ، لا تقلُّ أهميةً عن تلك اللحظة في صيف عام 1914 حين بدأ هجومٌ إرهابيٌّ آخَرُ الحربَ العالمية الأولى. وإني أعتقد أن أولئك المصممين على **حكم العالم بأسره** في النهاية هم المسؤولون عـــن هذين الهجومين الإرهابيين كليهما، وأن الموساد الإسرائيلي وحلفاءه عملوا نيابةً عنهم في تخطيط وتنفيذ الهجوم الذي وقع في 11 أيلول/سبتمبر. لقد صُمِّمَ هـــذا الهجـــوم الإرهابي وما يسمى بـــ 'الحرب على الإرهاب' التي استفزَّها، لجعلِ العالم أكثر أمنـــاً لليهود ولدولة إسرائيل. إن الإرهابيين الحقيقيين الذين هاجموا أمريكا في ذلك اليـــوم يعلمون مَن هُم، والله، سبحانه وتعالى، يعلمُهُم. ونـــدعو الله، ســـبحانه وتعـــالى، أن يكشف سرَّهم ويعرّيَهُم ويعاقبهم. **آمين!**

إن النظام العالمي البريطاني/الأمريكي/الإسرائيلي الحاكم يخوض الآن حرباً علـــى الإسلام، مكشوفةً أكثر منها في أي وقت مضى. ذلك لأنهم أوشكوا أن يـــصلوا إلى قمة حربهم التي دامت أكثر من ألف سنة. ولقد بذلنا في هذا الكتـــاب، '**القدس في القرآن**' محاولةً لتفسير هذه الحرب على الإسلام، واستباقِ ما تخبئه الأيام لذلك النظام العالمي وللمسلمين ولدولة إسرائيل.

إن أخطر المخلوقات على وجه الأرض اليوم وأكثرها إثارة للكراهية (بل أكثـــر الناس شراً تحت قبة السماء) همالمخدوعون من علماء الإســـلام والزعمـــاء المـــسلمين خديعةً تامةً بالعمل الإرهابي الذي وقع في 11أيلول/سبتمبر وردّوا عليه بلوم العـــرب والمسلمين وتحميلهم مسؤولية هذا الهجوم، وبمدِّ يَدِ التأييد الوطني لبريطانيا/الولايـــات المتحدة الأمريكية/إسرائيل في حربها على أفغانستان المسلمة. وأنا أرى أن أسامة بـــن لادن وحكومة الطالبان في أفغانستان بريئانِ كلَّ البراءة من الهجوم الذي وقع في 11 أيلول/سبتمبر. وإنَّ الحرب التي شُنَّت عليها حربٌ ظالمةٌ بكل معنى الكلمـــة. ويجـــب تحدّي هؤلاء العلماء والزعماء المسلمين المضَلَّلين في العالم أجمع.

لقد رددتُ على هجوم 11 أيلول/سبتمبر بعدوقوعه ببضعة أيامٍ بأن صَـــلَّيتُ لله سبحانه تعالى في المركز الإسلامي في كويتز، بمدينة نيويورك، ودعوتُهُ أن يـــترل أشـــدَّ العقاب بالمسؤولين عن ذلك الهجوم، وأن يظلَّ العقابُ نازلاً بهـــم إلى يـــوم الـــدين. وشاركني كل الحاضرين في ذلك المسجد هذا الدعاء. أما وقد فعلتُ ذلك، فإنني أدعو اليهود إلى أن يصلّوا ويدعوا دعاءً مماثلاً.

من هم المستفيدون من الهجوم على أمريكا؟

من المستبعد أن يودَّ يهوديٌّ في بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو الأرض المقدسة أن يقرأ هذا الكتاب. فلديه أشياء أهم من ذلك يفعلها – كبـــذلِ مجهـــودٍ لا هوادةَ فيه، مثلاً، يؤدي في النهاية إلى **حكم العالم** من القدس. ولكي يحقق هذا الهـــدف يجب أن يستعبد البشرية بأسرها (أي البشرية الأغيار) في ظلم سياســـي واقتـــصادي طاحن. وهو يسعى إلى تحقيق هذا الهدف 'طوعاً أو كرهاً' لأنه لا يعتبر مَنْ هُمْ غَيْـــرُ يهودٍ (أي الأغيار) بشراً يحقُّ لهم أن يُعامَلوا بنفس معايير العدالة والأخلاق التي تحـــقُّ لليهود (عندما يتعاملون مع اليهود أمثالهم).

ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعيار الأخلاقي المزدوج والازدراء بغير اليهـــود في الآية التالية:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ {75} ﴾

(الآية 75 من سورة آل عمران 3).

نحن نقتبس من القرآن لأن الله، سبحانه وتعالى، أمرنا أن نجاهد الكُفّار بالقرآن:

﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً {52} ﴾

(الآية 52 من سورة الفرقان 25).

كاد اليهود الأوروبِّيون أن يحققوا فعلاً هدفهم المتمثل في الاستعباد السياسي والاقتصادي للبشرية. وعندما يتم لهم تحقيق ذلك، وليس هناك ما يشير إلى أنهم لن ينجحوا في تحقيقه، سيبدو لهم أن ذلك إثباتٌ لصحة الادِّعاء اليهودي **بالحق**. ولا يهمهم طبعاً أن 'الإرهاب' والظلم والخديعة كلَّها لا تتفق مطلقاً مع الأخلاق الحقيقية التي تشكل صلب مِلَّة إبراهيم ، عليه السلام. ولكن العمى الروحاني – عمى البصيرة – الذي يعانيه اليهودُ، الذين كفروا بالمسيح الحقيقي وبالنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، جعلهم لا يعرفون هذه الحقيقة الأساسية. ونتيجة لذلك العمى الروحاني الداخلي يُساقُ اليهود إلى نار جهنم. ويؤكد القرآن الكريم هذه الصلة بين الاثنين (ترد تعليقاتي على الآية بخط صغير):

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {179} ﴾

(الآية 179 من سورة الأعراف 7).

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ . (لماذا؟) لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا (لأن قلوبهم ميتة). (وكذلك) وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا (لأنهم عُميٌ من الداخل – عُميُ البصيرة)، وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا (لأنهم صمٌّ من الداخل.) أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (عن آيات الله، سبحانه وتعالى)."

يستغرب اليهودي إذ يعلم أن الذين يدرسون القرآن وتعاليم النبي محمد، صـــلى الله عليه وسلم، يعرفون لا خططه وأهدافه فحسب، وإنمـــا الخديعـــة المرعبـــة الـــتي يستخدمها في جهوده التي لا هوادةَ فيها لتحقيق أهدافه أيضاً. و**الحقيقة** هي أنـــه وإن كان الزمن الحاضر قاتماً جداً للمسلمين، فإن المستقبل للإسلام، وكما يقول المثل: '**من يضحك آخراً يضحك أكثر**'! وهنا يكمن الفرق بين **المظهر** و**الحقيقة**.

لم يغِب عن بال المسلمين أن المستفيد الوحيد من هجوم 11 أيلول/سبتمبر هـــو دولة إسرائيل اليهودية. ومن المؤكد أن هذا الكتاب 'لا يقفز إلى استنتاج' حين يدرك أن الموساد الإسرائيلي والمجموعات اليهودية الأخرى المتحالفة معه (كـــاليهود الـــذين يعملون في حكومة الولايات المتحدة) هم المشتبه بهم الرئيسيون في التخطـــيط لهـــذا الهجوم وتنفيذه. وقد قال السياسي الأمريكي ليندون لاروش إن هجوماً كالذي وقـــع في 11 أيلول/سبتمبر يحتاج إلى معرفة داخلية بهيكل الحكومة الأمريكيـــة (انظر موقع لاروش على شبكة الإنترنت). وتوصَّل هذا الكتاب إلى استنتاجٍ مُشابِهٍ علـــى أســـاس دراسةٍ غير عاطفية للفوائد التي جنتها إسرائيل – إسرائيل وحدها – من هذا الهجـــوم. فما هي هذه الفوائد؟

الفائدة الأولى: مكسب هائل في العلاقات العامة

أَوَّلاً، زيارة شارون الاستفزازية المحسوبة بكل برود إلى المـــسجد الأقـــصى في القدس في أيلول/سبتمبر 2000 تعمَّدت استفزاز فصلٍ جديدٍ بشعٍ ودامٍ من فـــصول الطغيان الإسرائيلي، وفصلٍ آخرَ من المقاومة العربية الإسلامية المتحدِّية لهذا الطغيـــان. وبعد زيارة شارون، وحتى الهجوم على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر، بعد ســـنةٍ مـــن تلك الزيارة، شهد العالم جهوداً إسرائيلية مستمرة لتسعير لهيب الحرب بينما هي تدَّعي لنفسها — خداعاً — دورَ الجانب المعتدىَ عليه. لقد عرف العالم الطغيان الإســـرائيلي، وهذا أسفر عن كارثة لإسرائيل في العلاقات العامة حين وقف العالم كله وقفة واحدة

يدين إسرائيل في المؤتمر العالمي لمناهضة العنصرية، الذي عقد في دربان بجنوب إفريقيا في آب/أغسطس-أيلول/سبتمبر 2001.

غير أن هجوم 11 أيلول/سبتمبر على أمريكا أسفر عن عكسٍ فوريٍّ لكارثة العلاقات العامة التي شهدتها إسرائيل، وفجأةً وجد العربُ والمسلمون أنفسَهم يواجهون كارثةً في علاقاتهم العامة أسوأ بكثيرٍ مما مُنيت به إسرائيل. وقد بلغ التلفزيون فعلاً أَشُدَّه في 11 أيلول/سبتمبر حين انضمت كل محطات التلفزيون في العالم بلا حياء إلى التلفزيون الأمريكي في حملة إعلامية صليبية استخدمت مصطلح **الحرب على الإرهاب** كنايةً عن **الحرب على الإسلام**. ولِكونِ العرب والمسلمين أبرياءَ من الهجوم على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر كانت الحرب بمثابة فَركِ جروحهم بالملح ليزيدها إيلاماً.

الفائدة الثانية: تمهيد الطريق للحرب العظمى التي ستثبت صحة ادِّعاء إسرائيل بالحق

ثانياً، مكَّنَ عَكْسُ اتجاهِ كارثة العلاقات العامة إسرائيلَ أيضاً – بعد أن 'أفلتت من الصِّنّارَة' – من مواصلة اتِّباع سياستها القائمة على الاستفزاز المتعمد والتصعيد المستمر للصراع الدامي ضد العرب والمسلمين دون أيِّ إدانةٍ تُذكَر، حتى من حكومة الولايات المتحدة. وكان هذا إنجازاً ليس بالقليل.

كانت استراتيجية إسرائيل البعيدة المدى في حربها على الإسلام والقرآن والنبي العربي، خاتم الأنبياء والمرسلين (محمد، صلى الله عليه وسلم) أن تعطي بياناً باهراً لما يبدو أنه يثبت أن التوراة (والكتاب المقدس) هي '**الحق**'، ومن ثم أن القرآن هو '**الباطل**'. ومثل هذا البيان لا يحطُّ فقط من الروح المعنوية لدى كثيرٍ من المسلمين الجهلة، وإنما يُقنع اليهود أيضاً بأنهم ما زالوا هم الشعب 'المختار'. ويقتنعون بأن عودة 'العصر الذهبي' لليهودية – حين يحكم المسيحُ العالَمَ من عرش داود، عليه السلام –

توشك أن تتحقق. والواقع أن هذا الكتاب يشرح هذا الموضوع. ويرون أن 'إثبـــات' أن التوراة هي '**الحق**' سوف يتحقق من خلال حرب إسرائيلية مفاجئة تبهر العيـــون، تستهدف فيها كامل المنطقة المحيطة بالأرض المقدسة. هذا هو السبب وراء اســـتفزاز شارون المحسوب ببرودٍ كذريعةٍ كلاسيكية. ستسفر تلك الحرب، التي يجري الإعـــداد لها حتى ونحن نكتب هذا الكتاب، عن توسُّعٍ هائلٍ في إقليم الدولة اليهودية يحقق مـــا أعلنته التوراة (والكتاب المقدس) من أن حدود الأرض المقدسة (ومن ثم إسرائيل) تمتد من "**نهر مصر (أي السيطرة على قناة السويس) إلى نهر الفرات (أي السيطرة على نفط الخليج السعودي، والعراقي، والكويتي، إلخ.- لكن، ربما باستثناء النفط الإيراني)**". ويبدو أن عدد الأشخاص الذين يؤمنون بأن هذا التوسع الإقليمـــي هـــو 'مصير إسرائيل' البَـــيِّن' (وقد كانوا 15% في عـــام 1960) آخـــذٌ في الازديـــاد باستمرار.

من الواضح الآن أن القصد من حرب الخليج في عام 1991 هو سحق العـــراق لتمكين إسرائيل من ابتلاعه بلا عناء بعد عشر سنين أو نحو ذلك. هذا الهدف تَحَقَّـــقَ فعلاً. والعراق الآن ثمرةٌ جاهزةٌ للقطاف. ومن الواضح أيضاً أن القصد مما يبدو مؤكداً أنه هجوم موساد إسرائيلي على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر هو استفزاز الولايـــات المتحدة إلى شن هذه الحرب '**خبط عشواء**، ضد عدد كبير من دول المنطقة، مما يُسَهِّلُ حرب التوسُّع الإسرائيلي الكبرى. ويُفترض أيضا أن تحيِّدَ الحرب الأمريكيـــة قـــدرة أسلحة باكستان النووية وقدرةَ الصواريخ الإيرانية، اللتين يشكل تزاوجهمـــا العقبـــة الكبيرة الوحيدة الباقية أمام شن إسرائيل حربها الهائلة لتحقيق التوسُّع الإقليمي.

لم يتحقق هذا الهدف بعدُ لأن الطائرة المختطفة' التي كان يُفترض أن تـــصطدم بطائرة الرئيس الأمريكي، '**إير فورس وَن**' (أو بالبيت الأبـــيض)، لقتـــل الـــرئيس الأمريكي، وبذلك ترغم الولايات المتحدة على شن تلك الحرب العظمـــى، ســـقطت بدلاً من ذلك في بنسلفانيا. ولعل الموساد وحلفاءه لم يحسبوا حساب تلقّـــي بعـــض

الركاب رسائل هاتفية على هواتفهم الجوالة، كما جاء في وسائط الإعلام. وإن صح هذا القول فربما كانت هذه المكالمات الهاتفية قد تدخَّلت في عمل أجهزة الطائرة (بغض النظر عما إذا كانت هذه الأجهزة تدار عن بعد، أو تدار تلقائياً أو يدوياً)، وربما تكون قد تسببت في سقوط الطائرة. ويمكن أيضا أن يكون بعض المسافرين قد هاجموا 'المختطفين' وتسبَّبوا في سقوط الطائرة أثناء الصراع الذي حدث. وأياً كان السبب، يبدو من المؤكد أن هذا لم يكن جزءاً من الخطة الأساسية.

غير أن إسرائيل يمكن أن تستفيد من تغيير السلطة الرائع الذي حصل في باكستان قبل ذلك (أي قبل 11 أيلول/سبتمبر)، حين انتقلت السلطة من النظام المدني المنتخب إلى نظام عسكري. و لم يكن في إمكان أحدٍ غير نظام عسكري أن يتخذ قرار دعم الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على أفغانستان الإسلامية (من المؤكد أن نظاماً مدنياً لا يفعلها). ولذلك كان من الضروري أوَّلاً إقامة حكومة عسكرية في باكستان قبل أن يقع الهجوم على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر. و لم يكن أمام العسكريين الباكستانيين، الذين استولوا على السلطة من نواز شريف في ظروف يبدو أنها مؤامرة، بُدٌّ من الإذعان لطلب أمريكا تأييدهم لها في الحرب على حكومة طالبان الأفغانية. فرفضُ العسكريين الباكستانيين لطلب أمريكا كان سيعرّيهم ويكشف عنهم الغطاء الذي يحتاجون إليه للمحافظة على الادِّعاء بأن وصولهم إلى الحكم لم يكن بفعل مؤامرة. وحالما وافقت حكومة باكستان على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية في حربها على حكومة طالبان الأفغانية، نُصِبَ الفخ. وقد وقع صدام حسين في هذا الفخ قبل عشر سنين. ومشى العسكريون الباكستانيون على أقدامهم طائعين مختارين إلى الفخ بعده بعشر سنين.

يتوقع هذا الكتابُ أن يشن الحلف الذي تقوده الولايات المتحدة/المملكة المتحدة حرباً طويلة الأجل في أفغانستان وغيرها بقصدٍ صريحٍ وهو، من بين مقاصدَ أخرى، دفعُ الناس إلى حربٍ أهليةٍ في باكستان. فإذا ثارت عناصر من القوات المسلحة

الباكستانية وانضمت إلى القوى الشعبية المعارضة لسياسة الحكومة الباكستانية القائمة على تأييد الولايات المتحدة، ونشبت حربٌ أهليةٌ في باكستان، كانت تلـك إشـارة الانطلاق للولايات المتحدة الأمريكية لتقود حلفها الدولي في هجوم علـى المنـشآت النووية الباكستانية التي تنتج الأسلحة النووية. وإذا لم تسنح هذه الفرصة، فربما تكون لديها خطط بديلة تحقِّق بها هذا الهدف. والواقع أن الولايات المتحدة وحلفاءهـا قـد يمضون إلى تحويل باكستان إلى تركيا أخرى أو عراقٍ آخر، أو تتولى الإشراف علـى تمزيق باكستان مـرة أخـرى. وربما تضطر إسرائيل والهند أو لا تضطرّان إلى المشاركة في الهجوم على باكستان، ولكن من المؤكد أن تشترك إسـرائيل والهنـد في التخطيط الاستراتيجي لهذا الهجوم.

إذا كان الذكاء البسيط معزَّزاً بالحد الأدنى من البصيرة الروحانية الفطرية (وهذا شيء نادر الوجود إلى حد يثير الدهشة في الحضارة الغربية التي تحكـم العـالم الآن)، يدرك المرء أن الموساد الإسرائيلي وحلفاءه هم المشتبه بهم الرئيـسيون في التخطـيط والتنفيذ البارعين للهجوم الشيطاني على أمريكا. والحقيقة هي أنه إذا كان أسامةُ بـن لادن والمجموعةُ الصغيرةُ من مقاتلي القاعدة الذين معه استطاعوا أن يخططوا وينفـذوا هذا الهجوم المذهل، فلا بد من أن يكون ممكناً أيضاً لبقرةٍ أن تقفز من فوق القمر!

يجب أن يعتبر المسلمون أيضاً بالتحذير الصارم الذي حذرهم به القرآن من مغبة 'أن يأخذوا الأنباء التي تأتيهم من مصدرٍ فاسقٍ على عواهنها كيلا يؤذوا قوماً آخرين بغير علم ويعيشوا حياتهم نادمين على فعلتهم':

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ {6} ﴾

(الآية 6 من سورة الحجرات 49)

الحضارة الغربية والنسخ الكربونية التي نُسِخَت عنها في مختلف أنحاء العالم، والتي تتهم أسامة بن لادن بالمسؤولية عن الهجوم الذي وقع على أمريكا، ولا تقدِّم بيِّنَةً على ذلك للجمهور (أيْ بيِّنَةً يمكن استخدامها في المحكمة لإثبات الجريمة)، لا تستطيع الإفلات من اعتبارها في عداد 'الفاسقين'. ومن جهة أخرى، نفى أسامة بن لادن، الذي يعبد إلـٰـه إبراهيم الحقيقي، نفياً قاطعاً مسؤوليته عن هذا الهجوم. وقد عرَّف النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، المسلم بأنه **"من سلم المسلمون من لسانه ويده"**. ومن واجب كل المؤمنين — الذين هم مؤمنون حقاً — أن يقبلوا نفي أسامة بن لادن للمسؤولية عن الهجوم على أنه صحيح ما لم تُقَدَّم بيِّنةٌ على أنه لا يقول الصدق.

ثالثاً: تمهيد الطريق لإسرائيل لتصبح 'الدولة الحاكمة' في العالم

إن دراسة القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، بعناية، كما فعلنا في هذا الكتاب، '**القدس في القرآن**'، توضِّحُ بجلاء أن الهدف الإسرائيلي الأعلى، الذي كان — بوضوحٍ — الهدفَ الرئيسيَّ من الهجوم على أمريكا في 11 أيلول/سبتمبر، هو تمهيدُ الطريق لإسرائيل لتحلَّ محل أمريكا بوصفها '**الدولة الحاكمة**' في العالم. من المفروض أن المسيح '**الحقيقي**' سيحكم العالم من عرش داود (أي إسرائيل والقدس). ولكي ينجح المسيح الكذاب (**الدجال**) في إقناع اليهود بأنه هو المسيح الحقيقي، عليه أن يفعل ما يلي:

- أن يحرر الأرض المقدسة من حكم غير اليهود،
- أن يعيد اليهود إلى الأرض المقدسة ليستعيدوها باسم الديانة اليهودية،
- أن يقيم دولة إسرائيل ويُقنع اليهود بأنها هي إسرائيلُ داودَ وسليمانَ، عليهما السلام،
- أن يجعل دولة إسرائيل تلك هي **الدولة الحاكمة** في العالم،

- أن يَظهر هو بشخصه ليحكُمَ العالم من القدس.

يوجِّهُ هذا الكتاب الانتباه إلى حقيقة أن البنود الثلاثة الأولى المذكورة أعلاه قــد تحققت فعلاً، بينما البندُ الرابعُ يوشك أن يتحقق، وربما لن يستغرقَ البنــدُ الخــامسُ طويلاً حتى يتحقق.

والواقع أن العالم يقف الآن في لحظة من الزمن تشبه تماماً ما كان عليه الحال في صيف عام 1914، حين أسفر عملٌ إرهابيٌّ آخرُ مخططٌ له جيــداً (اغتيــال الــدوق الأكبر فرانز فرديناند، ولي عهد الإمبراطورية النمساوية-المجرية) عن قيام حربٍ جعلت بريطانيا، '**الدولة الحاكمة**' في العالم آنذاك، تجثو على ركبتيها، وجعلــت الولايــات المتحدة الأمريكية تحلُّ محلها بوصفها '**الدولة الحاكمة**' الجديدة في العالم. وقَدَّمَتْ تلك الحربُ لليهود وعدَ بلفور، ومعه عودة اليهود إلى الأرض المقدسة وإقامة دولة إسرائيل. وكانت الحضارة العلمانية الغربية في ذلك الحين على درجةٍ من العمــى الروحــاني — عمى البصيرة – لم تستطع معها أن ترى أنها كانت 'تُقادُ من أنفها' إلى حرب عالميــة أودت بأرواح ملايين الأوروبيين. وإن تلك الحضارة، التي لم تستطع معرفة مَــنْ هُــمُ المسؤولون عن ذلك العمل الإرهابي في عام 1914، تقف اليوم في موقــف مــشابهٍ عاجزةً عن معرفة ما قام به أولئك القومُ أنفُسُهُم في هجوم 11 أيلول/ســبتمبر علــى أمريكا.

من الواضح أنه لا يمكن إرغام الولايات المتحدة، '**الدولة الحاكمة**' في العــالم، على أن تجثو على ركبتيها، دون انهيار الاقتصاد الأمريكي والدولار الأمريكي. وهــذا بالضبط هو ما كان سيحدث لو اغتيل الرئيس بوش. وتشير التهديــداتُ المــستمرةُ للولايات المتحدة، حتى ونحن نكتب هذه السطور، بعد أن وقف العالم بأسره عــصبةً ضد الإسلام والقرآن والنبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وحتى بعد حرب الولايــات المتحدة على أسامة ورجاله، إلى أن الجهودَ اليهوديةَ لتحقيق انهيار الاقتصاد الأمريكــي ما زالت مستمرةً بنشاط.

حذَّر هنري فورد، رجل الصناعة الأمريكي الذي كان أول من أنتج السيارات بالجملة، أمريكا من هذا الخطر في موعدٍ مبكر، في الفترة 1919-1920. فقد أدرك بعد الحرب العالمية الأولى الفوضى التي يثيرها الممولون الدوليون اليهود. وكلَّف أخصائيين بإجراء أكثر البحوث ذكاءً لإجراء دراسة متعمقة ودقيقة لليهودي الدولي، ونشر نتائج بحوثهم في الفترة 1919-1920 في صحيفة 'ديربورن المستقلة' (***Dearborn Independent***)، الجريدة الرسمية لشركة فورد للسيارات. ثم نشرت فيما بعد في كتاب بعنوان "***The Intrnational Jew***" (***اليهودي الدولي***). وقد طبعت مطبعة "***The Other Press***" في ماليزيا هذا الكتاب كاملاً (أربعة مجلدات في مجلد واحد) مرة أخرى وهو متوفر في المكتبات المحلية على نطاق واسع.

لم يحدث انهيار الاقتصاد الأمريكي بعدُ، ولكن الكتابة على الجدران تبيِّنُ أنه يتعرض لهجوم من أعداء متمركزين داخل النظام نفسه.

وإذا حدث أن انهار الاقتصاد الأمريكي، وإذا حدث أن نجحت إسرائيل في إقامة سيطرتها العسكرية على المنطقة بأسرها، وفي توسيع رقعة إقليم الدولة توسيعاً كبيراً متحديةً في ذلك العالم بأسره، فإن إسرائيل عندئذٍ ستحل محل الولايات المتحدة بوصفها '**الدولة الحاكمة**' في العالم. وعندما يحدث ذلك سيُصابُ العالَمُ كلُّه بدهشةٍ عظيمة، ولكن أتباع النبي العربي الصادقين لن يدهشوا أبداً!

فالإسلام هو الذي يصف المصيرَ الذي ينتظر القدس عندئذٍ، وهو مصير سيشهد في نهاية المطاف إعادة ظهور الإسلام بوصفه '**الدولة الحاكمة**' في العالم. وستأتي لحظة انتصار الإسلام تلك عندما يخرج جيشٌ مسلمٌ من خراسان ويقضي في مسيرته على دولة إسرائيل ويحرر الأرض المقدسة:

" عن أبي هُرَيرَةَ، رضي الله عنه، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلِيهِ وسَلَّم: "**يخرُجُ** (وهـي منطقة تشمل الآن أفغانستان وشمال غرب باكستان وجنوب شرق إيران ومنطقة آسيا الوسطى الواقعة شمال أفغانستان، إلخ.) رايات **سودٌ فلا يَردُّها شيءٌ حتَّى تُنصبَ** بإيلِيَاءَ (القدس)."
(سنن الترمذي)

والواقع أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أمر المسلمين بالالتحاق بذلك الجيش "**حتى وإن اضطروا إلى الزحف على الجليد**"، أي حتى وإن اضطروا إلى تحدّي الحكومات الملحدة التي تسيطر اليوم على العالم، والتي ستبذل كل ما في وسعها من جهد لمنع المسلمين القاطنين في أقاليمها من طاعة النبي، صلى الله عليه وسلم.

يوضِّح هذا الحديثُ النبويُّ الشريف بكل جلاء أن القدس ستُحرَّرُ **بالجهاد الإسلامي المسلح.**

رد إسلامي على الحرب ضد الإسلام

الردُّ الإسلامي على 'الهجوم على أمريكا'، الذي استُغِلَّ استغلالاً ساخراً لشنِّ حربٍ وحشيةٍ على الإسلام والمسلمين، مختبئةً وراء ستار 'محاربة الإرهاب' هو أن يعيدوا تكريس أنفسهم للبقاء على إيمانهم بالله العلي العظيم ورسوله **بغض النظر عن الثمن الذي سيدفعونه لذلك!** يفعلون ذلك حين يُكَرِّسونَ حياقم للاستعداد للكفاح المسلح (الجهاد)، والمشاركة في هذا الجهاد الذي به تُحـرَّرُ الأرض المقدسة ويعود الإسلام منتصراً في العالم. ولا حاجةَ بأحدٍ إلى أن يعلن ذلك الجهاد لأن الجهاد بدأ فعلاً. وكذلك لا توجد قوة في العالم تستطيع أن توقف ذلك الجهاد حتى تُحـرَّرَ الأرضُ المقدسة. والاختبارُ الحقيقيُّ الذي يستطيع به المسلمون أن يعرفوا حكوماتهم الملحدة، التي تحكمهم الآن، ويكشفوا أمرها، هو أنها لن تقبل الجهاد المسلح ولن تأخذ به.

هذا ما يقوله القرآن في الجهاد المسلح.

المرفق الثاني: رد إسلامي على الهجوم على أمريكا

كان في ثاني شعبان يقضيه الرسول، صلى الله عليه وسلم، في المدينة المنـــورة أن أنزل الله، سبحانه وتعالى، الآيات التي تتعلق بالقتال. ربما يجد رئيس وزراء بريطانيـــا، ورئيس الولايات المتحدة، ورئيس وزراء إسرائيل، من الـــصعب علـــيهم أن يفهمـــوا الآيات التالية مـــن القـــرآن الكـــريم ويهـــضموها. ولكـــنْ، في ســـياق الهجـــوم البريطاني/الأمريكي/الإسرائيلي على المسلمين، يجب علينا أن نعيـــد توجيـــه أنظـــار المسلمين جميعاً إلى ما قاله الله، سبحانه وتعالى، في شأن القتال.

أوَّلاً، جعله إلزامياً. ومن الشرك أن تمنع أيةُ حكومةٍ، أو الأممُ المتحدة، ما أمـــر الله به. ومن الشرك أيضاً أن نعتبر ما أمر الله به في الآية التالية أمراً غير مشروع (تـــرد تعليقاتي على الآية بحروف صغيرة):

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ {216} ﴾

(الآية 216 من سورة البقرة 2).

الهدى القرآني واضح جداًّ: اللهُ، سبحانه وتعالى - لا اليهودُ-الأوروبيون والمسيحيون-الأوروبيون، الملحدون الذين يسيطرون على العالم الآن — هو الذي يعلم حقـــاًّ مـــا ينفـــع المسلمين وما يضرُّهُم.

ثانياً، القرآنُ يأمر المسلمين بالقتال دفاعاً عن أنفسهم حينمـــا يهـــاجمهم أحـــد (تعليقاتي واردة بخط صغير):

﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {190} ﴾

(الآية 190 من سورة البقرة 2).

وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ (هذا بالضبط هو ما يفعله اليهـود-الأوروبيـون والمسيحيون- الأوروبيون الذين يسيطرون علىالعـالم) وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ.

يوضح القرآن بما لا يدع مجالاً للشك أن المسلمين يجب أن يردّوا علـى الـذين يخرجوهم بغير حقٍّ من ديارِهم والأرضِ التي عاشوا فيها. ومـا أُخرجـوا إلا لأهـم مسلمون. ويقتَضي القرآنُ الكريمُ أن يكون الردُّ بجهادٍ مسلحٍ لتحرير أنفسهم من ذلك العدوان الغاشم. هذا بالضبط هو الحالُ القائمُ الآنَ في الأرض المقدسة. ولكن الـذين يحكمون المسلمين الآن عُميٌ لا يستطيعون أن يروا إثبات القرآن لصحة الجهاد المسلح الجاري في الأرض المقدسة. وإنما ينضمون إلى حكومة الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة يما يطلقون عليه اسم '**الحرب ضد الإرهاب**' وبذلك يصفون، عن علمٍ أو عن جهلٍ، المقاتلين الذين أَمَرَ القرآنُ نفسُهُ بجهادهم المسلح، بأهم إرهابيون شياطين. فيما يلي أمر القرآن بهذا الجهاد المسلح:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ {39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} ﴾

(الأيتان 39-40 من سورة الحج 22).

ثالثاً، المفروض في القتال أن يؤدي إلى إقامة عالَمٍ خالٍ من الطغيان والظلم، وهذا لا يمكن أن يُقام إلا إذا أقيمَ دينُ الله، سبحانه وتعالى، على الأرض:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ {193} ﴾

(الآية 193 من سورة البقرة 2).

رابعاً، أمَرَ اللهُ المسلمينَ وألزمهم بالقتال لتحرير المستضعفين الذين يصرخون طلباً للنجدة والتحرُّر من الاضطهاد:

﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً {75} ﴾

(الآية 75 من سورة النساء 4).

وأشار الله، سبحانه وتعالى، إلى امتناع اليهود عن القتال، ثم حذَّرَ من العواقب الوخيمة لهذا التردُّد:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً {77} ﴾

(الآية 77 من سورة النساء 4).

لا يُسمَحُ للمسلم بأن يقاتل إلا بقيادةِ مسلمٍ وإلا بمقتضى قانون الله عز وجـــل المتعلق بالقتال. والذين يقاتلون تحت أية قيادةٍ أخرى أو قانونٍ آخر إنما يقاتلون تحـــت قيادة الطاغوت:

﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً {76} ﴾

(الآية 76 من سورة النساء 4).

ولا يجوز للمسلم أن يمتنع عن القتال خشية الموت:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلًّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً {78} ﴾

(الآية 78 من سورة النساء 4).

سيقاتل الكفارُ المسلمين بغضبٍ وعنفٍ. ويعطي الله المؤمنينَ مهلةً ليهيئوا أنفسهم ويتخذوا الخطوات اللازمة للرد على الكفار:

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً {84} ﴾

(الآية 84 من سورة النساء 4).

خَيرُ المسلمين هم الذين يهبّون للقتالِ في سبيل الله. فمن المؤكد انهم أفضل مـــن القاعدين في بيوتهم:

﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً {95} ﴾

(الآية 95 من سورة النساء 4).

سيوجد من يعتذرون عن المشاركة في القتال بحجة أنهم لا حول لهم ولا قوَّة في هذا الأمر. فيقولون، مثلاً، إنهم يعيشون تحت حكم حكومات لا تسمح لهم بالقتال في سبيل الله. ولكن هذه الأعذار لن تُنجي هؤلاء المسلمين من نار جهنم لأنهم عندئذٍ سيُسألون: "ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها إلى مكان يكون لكم فيه حرية أكثر؟"

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً {97} إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً {98} فَأُوْلَـئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللّهُ عَفُوّاً غَفُوراً {99} * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً {100} ﴾

الآيات 97-100 من سورة النساء 4).

المرفق الثالث

ابن خلدون – إقبال – القدس والقرآن

حاول هذا الكتابُ أيضاً الوصولَ إلى من اقتنعوا بكتابات الدكتور محمد إقبـــال (*Reconstruction of Religious Thought in Islam*) (**إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام**) وابن خلدون (**المقدمة**)، وكلاهما رفض الإيمان بفكرةِ مجيءِ **الإمام المهدي**. وقد ارتكب هذان العالِمان المتميزان من علماء الإسلام خطأً جسيماً برفضهما الإيمان بمجيئه. وفي حالة الدكتور إقبال، يبدو أن ذلك دفعه أيضاً إلى رفض الإيمـــان بعـــودة الخلافة الإسلامية، وبظهور **الدجّال** (المسيح الكذاب)، وبعودة المسيح، عيـــسى ابـــن مريم، عليه السلام. فقد أُعجِبَ **بالاجتهاد** التركي القائل إن البرلمان الحـــديث بـــديلٌ صحيحٌ عن الخلافة. إليكم ما قاله إقبال في موضوع الإمام المهدي:

"يمكن أيضاً اعتبار (مبدأ خاتمية النبوة) علاجاً نفسانياًّ لموقف المجوس من التوقُّـــع المستمر، الذي يميل إلى إعطاء نظرة مزيفة للتاريخ. وقد انتقد ابنُ خلـــدون – إذ رأى روح وجهة نظره هو في التاريخ – الأساسَ التتريلي للإسلام، وأعتقدُ أنه قضى عليـــه نهائياًّ، معتبراً إياه فكرةً شبيهةً – على الأقل في آثارها النفسية – بـــالفكرة المجوســـية الأصلية، التي عادت إلى الظهور في الإسلام تحت ضغط الفكر المجوسي."

(إقبـــال، الـــدكتور محمـــد: Iqbal, Dr. Muhammad: "***Reconstruction of Religious Thought in Islam***", ed. by M. Saeed Sheikh. Lahore: Institute of Islamic Culture, 1986, p.115" . انظر أيضا رسالة إقبال إلى محمد أحسن التي رفـــض فيها الإيمان بما يصفه بأنه مسيحيات. إقبالنامة ***(Iqbalnama)***، المجلـــد الثـــاني، الـــصفحة 231.، الاقتبـــاس وارد في: M. Saeed Sheikh, "Editor's Introduction" to Iqbal's ***Reconstruction***…. ، المرجع المذكور، الصفحة 'xi'.

ابن خلدون وإقبال عالِمان متميزان جداً بحيث يجبُ على المرء أن يتردد كـــثيراً قبل أن يعلق عليهما تعليقاً ينتقد فكرهما. ولكن الفهم الصحيح لطبيعة مسيرة التاريخ بقدر ما تتعلق بمجيء المسيح كان سينقذهما من ارتكاب الخطأ الذي وقعا فيه لـــسوء الحظ. فماذا كانت طبيعة مسيرة التاريخ تلك؟ إنها كانت طبيعة حُلَّت فيهـــا مـــسألةُ التعريف القطعي للمسيح (حين ظهوره) على يدِ شخصٍ خاصٍّ بعثـــه الله،ســـبحانه وتعالى، وكان مكلَّفاً بإجراء ذلك التعريف القطعي. فلم يقف الأمر عند حدِّ إعـــلان يوحنا المعمدان [النبي يحيى، عليه السلام] مراراً وتكراراً لمن هبَّ ودبَّ أن المسيح قادم، وإنما – بالإضافة إلى ذلك – ظهر عيسى، عليه السلام، أمام يحيى، عليه السلام، حين عاد إلى الأرضِ المقدسة وقد اكتملت رجولته. وواجهه يحيى آنذاك وأعلن على المـــلأ قائلا: "**هذا هو الرجل الذي كنتم تنتظرونه؛ هذا هو المسيح!**" كان هذا هو الأسلوب الإلـــٰهي لضمان '**التعريف القطعي**' للمسيح!

وكذلك، عندما يعود المسيح، سيبعث الله رجلاً آخر يكـــون دورُهُ نفـــسَ دورِ يوحنا المعمدان. وبذلك تحافظ مسيرة التاريخ على اتِّساقها. ودورُ الإمام المهدي شبيهٌ بدور يوحنا المعمدان.

حين يخرج **الإمام** ويعلن للناس أنه هو المهدي، ستكون هذه علامـــة علـــى أن عودة المسيح قد اقتربت. ثم، عندما يعود عيسى، عليه السلام، سيترل أَمـــام الإمـــام، الذي سيعلن آنئذٍ أن: "**هذا هو ابن مريم!**" (انظر **صحيح مسلم**). وبـــذلك يحـــصل التعريف القطعي على المسيح في المرتين (حين يظهر في العالم)، وسيتم ذلـــك بـــنفس الطريقة، أي على يدِ شخصٍ يبعثه الله، سبحانه وتعالى، لهذه الغاية على وجه التحديد. ولو فَهِمَ ابنُ خلدون الدورَ الأساسيَّ ليوحنا المعمدان، عليه السلام، بالنسبة إلى عيسى المسيح، عليه السلام، فهماً صحيحاً لأنقذه ذلك من الوقوع في الخطأ الجسيم والخطير الذي وقع فيه برفضه كل الأحاديث التي تتحدث عن الإمام المهدي، ولوفَّر على إقبال عناء تكرار خطأ ابنِ خلدون والزيادة فيه.

ولعلنا نذكر ملاحظةً عابرةً هنا مفادُها أن الاعتقاد بالإمـــام المهـــدي، الـــذي سيكون مجيئُهُ متزامناً مع عودة المسيح، ابن مريم، يشبه – فيما يبدو – اعتقاداً يهوديـــاً بأن شخصين سوف يظهران في آخر الزمان، الأول مسيحٌ 'ملكيٌّ' والثـــاني مـــسيحٌ 'دينيٌّ'. وقد أبدى حاييم زفراني هذه الملاحظة الهامة بشأن لفائف البحر الميت:

"يبدو من المؤكد تماماً، بناءً على بعض فقرات أخرى في كتابات قُمران، أن هذه الطائفة التي كانت متدينة جداً، كانت تتوقع مجيء كاهنٍ عالي الرتبـــة مـــسيحٍ [أي ممسوحٍ بالزيت] بشكلٍ خاصٍّ ('مسيح هارونَ') وكذلك مجيءَ حاكمٍ دنيويٍّ مسيحٍ بشكلٍ خاصٍّ ('مسيح إسرائيلَ'). ومن الجدير بالذكر أن المسيح الملكـــي في وثيقـــة القاهرة دمشق لم يُدْعَ 'ملِكاً' وإنما دُعِيَ 'أميراً' (ربما، اتِّفاقاً مع مـــا جـــاء في سفر حزقيال، 34: 24؛ 37: 25، إلخ.). وربما يعود مفهوم المـــسيحَين: مـــسيحٍ ملكـــيٍّ ومسيحٍ دينيٍّ، إلى عهـــد زكريا 4: 14: 'هاتانِ ترمُزانِ إلى اللّذين اختارَهُما الرّبُّ ومسحَهُما بالزَّيتِ لِيَخدُماهُ، وهوَ ربُّ الأرض كُلِّها'."

(دائرة المعارف اليهودية – الدين – المسيحانية)

(Encyclopedia Judaica – Eschatology – Messianism)

بالإضافة إلى هذين الشخصين كان هناك شخصٌ ثالثٌ لا يمكن أن يكون أحداً غير النبي محمد، صلى الله عليه وسلم:

"القاعدة التي تلقَّوْها (أي أعضاء الطائفة الدينية في قمران) عنه (أي معلمهـــم) ستكون هي منهجَ حياتهم 'حتى يأتي نبيٌّ ومسيحُ هارون ومسيحُ إسرائيل'."

(*1 Qumran Scrolls 9:11*)

(Encyclopedia Judaica – Yahad – Eschatological hope)

المؤلف

الشيخ عمران ن. حسين عالم وكاتب إسلامي وُلد في جزيرة ترينيداد بـــالبحر الكـــاريبي وأقـــام في نيويورك حتى وقوع هجوم 11 أيلول/سبتمبر. درس الإسلام في معهد العليمية في الدراسات الإسلامية في كراتشي، باكستان تحت إشراف العلامة الإسلامي والشيخ الصوفي مولانا الدكتور محمـــد فـــضل الرحمن الأنصاري (1914–1974). ودرس الفلسفة أيضاً في جامعة كراتشي، والعلاقات الدولية في جامعة جزر الهند الغربية وفي المعهد الدولي للدراسات الدولية في جنيف. عمل في السلك الدبلوماســـي في وزارة خارجية ترينيداد وتوباغو، ثم استقال في عام 1985 ليعمل مدرساً في معهد العليمية. وعُيِّنَ مديراً للمعهد في عام 1986. ومنذ عام 1989 وهو يعمل في خدمة الإسلام في الولايات المتحـــدة الأمريكية. عمل بادئ الأمر مديراً لمعهد التعليم والبحوث في مدينة ميـــامي، ثم مـــديراً للدراســـات الإسلامية لدى اللجنة المشتركة للمنظمات الإسلامية في نيويورك الكبرى. عمل لفترة وجيـــزة إمامـــاً لمسجد دار القرآن في لونغ آيلاند ومديراً للدعوة في التنظيم الإسلامي لأمريكا الشمالية. وعمل أيـــضاً خطيباً لصلاة الجمعة في مقر الأمم المتحدة في مانهاتن، نيويورك، لمدة عشر سنين.

برز الشيخ عمران ككاتب غزير الإنتاج في 'الإسلام في االعصر الحديث' وصدرت له عدة مؤلفات، من بينها كتاب ممتاز في الديانة المقارنة باللغة الإنكليزية عنوانه:"***Islãm and Buddhism in the Modern World***" [الإسلام والبوذية في العصر الحديث]. كتبه في عام 1971، ولمـــاّ يتجـــاوز التاسعة والعشرين من عمره. وكتب منذ ذلك الحين أكثر من اثني عشرة كتاباً، منها كتابان في الربـــا. ومن بين كتبه التي كتبها في موضوع الأرض المقدسة هذا الكتاب الذي بين يـــدي القـــارئ وعنوانـــه بالإنكليزية: "***Jerusalem in the Qur'an***"؛ وكتاب بالإنكليزية أيضاً عنوانه: "***The Religion of Abraham and the State of Israel: A View from the Qur'an***"[دين إبراهيم ودولة إسرائيل: نظرة من القرآن].

الشيخ عمران كثير الأسفار في خدمة الإسلام في مختلف أنحاء العالم.

صفحات علىالإنترنت: www.listen.to/shaykhimran; www.onejamaaat.com.
www.jerusaleminthequran.com
عنوان بريدي: ihosein@onejamaaat.com

عنوان بريدي آخر: ahosein@aol.com

يظهر كتاب الشيخ عمران، "القدس في القرآن", في فترة حاسمة من الزمن بلغت فيها الروح المعنوية للمسلمين في كل أنحاء العالم أدنى مستوى بلغته في تاريخهم. فالتعديات الإسرائيلية الصارخة مستمرة على الأرض المقدسة، والمسلمون يرددون صدى كل الكلمات التي دعا بها إخوانهم ربهم حين كان الكفار في مكة يضطهدونهم: "متى نصر الله؟". وإن فراسة الشيخ عمران وتبصُّرَه بالأحداث الآخذة في الظهور في عالم اليوم مصدر إلهام للمسلمين لأنه يقدم الحجج المقنعة من تفسيراته القائمة على علمٍ لأوامر الله سبحانه وتعالى وسنة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، على أن نصر الله قريب، وأن الأرض المقدسة ستتحرر، وأن الإسلام سينهض ويكون "الدولة الحاكمة" في العالم. وسيسعد القارئ بقوة فهم المؤلف للسياسة العالمية. لقد جاء كتاب "القدس في القرآن" كشعاع من نور الشمس إلى المسلمين، وليفتح عيون من يُسمَّوْنَ بأهل الكتاب.

الدكتور أبو الفضل محسن إبراهيم، أستاذ الدراسات الإسلامية، جامعة ديربان وستفيل، جنوب إفريقيا.

... يدهشني أسلوب عمران في الكتابة. فمع أن "القدس في القرآن" أطروحة مكتوبة بدقة تجمع بين الوثائق الدينية والتاريخية والأحداث السياسية الحديثة وتفسيرات ثاقبة من القرآن والحديث. فحالما تبدأ قراءته يصعب عليك أن تتوقف. هذه هي صفة القصة بوجهٍ عامٍّ. يقرأها المرء مرة ثم يرمي الكتاب، لكنها ليست صفة الأطروحة الجادة، التي تستحثُّ الفكر، كالكتاب الذي نشره الأخ الشيخ عمران. إنه مرجع يحتاج المرء إلى الاحتفاظ به وإعادة قراءته كلما كانت المسألة موضع بحث. ... يعطينا الكتاب شرحاً جميلاً مفصَّلاً لهذه الأحداث بتفسيرات رائعة مستمدة من القرآن الكريم والسُّنَّة. ... ولن يتوانى أحد في تقديره لثاقب فكره وعمق روحانيته. ولذلك، أوصي من كل قلبي العلماء والعامة على السواء بقراءة هذا الكتاب.

الدكتور مالك البدري، الأستاذ بالمعهد الدولي للفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، كوالالمبور، ماليزيا.

الفهرس

A

القـــــدس في القـــــرآن

الفـهـرس

الفهرس

الفهرس

J

الفـهـرس

L

M

الفـهـرس

الفهرس

U

W

Y